

Tirage à part des *Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque impériale*, publiés par l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres.



ISTIT. ORIENTALE
N. inv. 16145
BIBLIOTECA M. RIBA

PARIS. — TYPOGRAPHIE DE FIRMIN DIDOT FRÈRES FILS ET C^{ie},
IMPRIMEURS DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
rue Jacob, 56.

1002

مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

D'EBN-KHALDOUN

TEXTE ARABE

PUBLIÉ, D'APRÈS LES MANUSCRITS DE LA BIBLIOTHÈQUE IMPÉRIALE,

PAR M. QUATREMÈRE.

TOME PREMIER. — DEUXIÈME PARTIE.

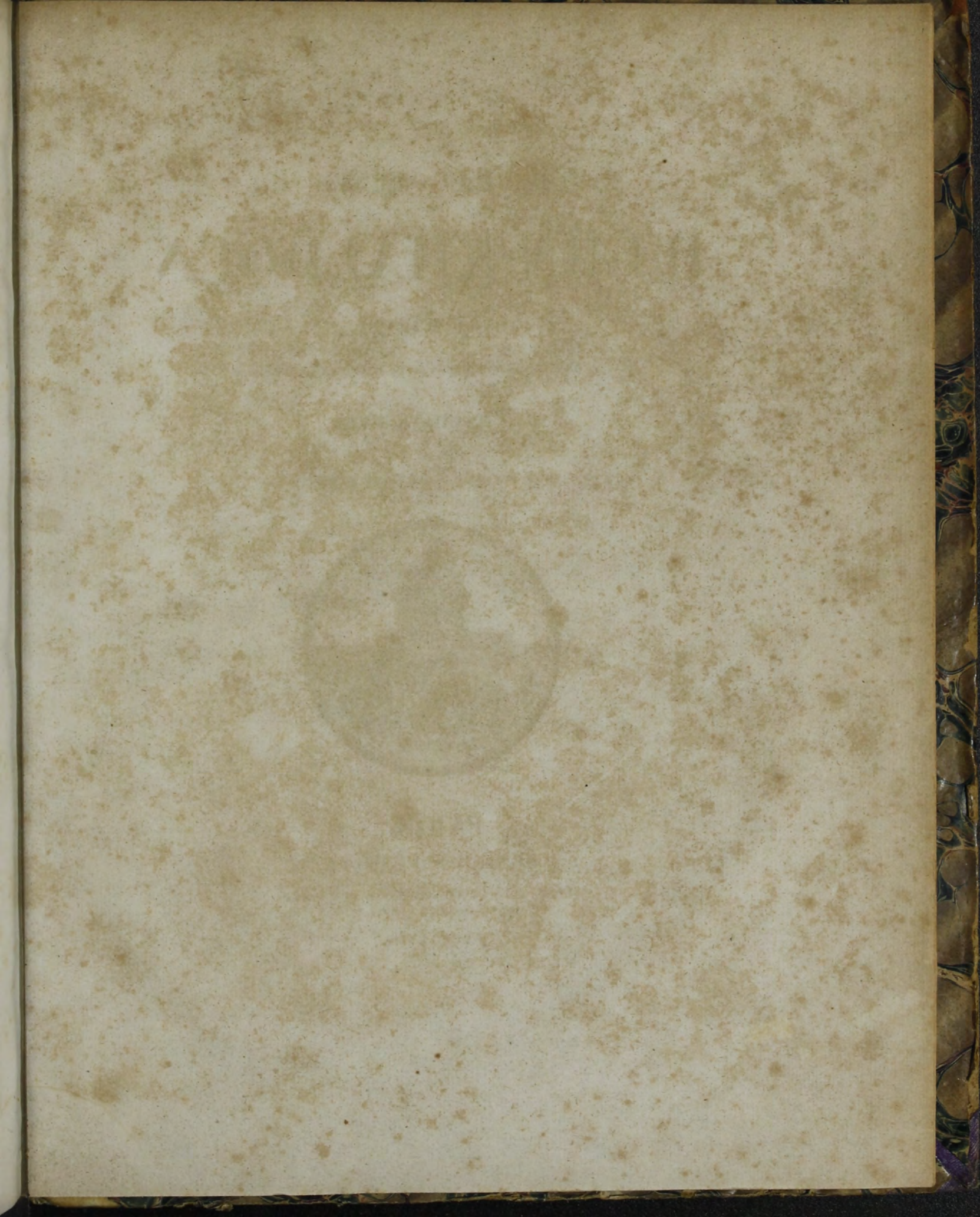


PARIS.

BENJAMIN DUPRAT,

LIBRAIRE DE L'INSTITUT IMPÉRIAL DE FRANCE,
RUE DU CLOÎTRE SAINT-BENOÎT, 7.

M DCCC LVIII.



مقدمة ابن خلدون

PROLÉGOMÈNES

D'EBN-KHALDOUN.

DEUXIÈME PARTIE.

فصل في مراتب الملك والسلطان والقابها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

اعلم ان السلطان في نفسه ضعيف يحمل امرا ثقيلًا فلا بد
له من الاستعانة بابناء جنسه واذا كان يستعين بهم في
ضرورة معاشه وسائر مؤنه فما ظنك بسياسة نوعه ومن استرعاه
الله في خلقه وعباده وهو محتاج الى حماية الكافة من عدوهم
بالمدافعة عنهم والى كف عدوان بعضهم عن بعض في انفسهم
بامضاء الاحكام الوازنة فيهم وكف العدوان عنهم في اموالهم
حتى باصلاح سابلتهم والى حملهم على مصالحهم وما تعتمهم
به البلوى في معاشهم ومعاملاتهم من تفقد الهعاش والمكائيل

والموازن حذرا من التطفيف والى النظر فى السكة لحفظ
النقود التى يتعاملون بها من الغش والى سياستهم بما يريد
منهم من الانقياد له والرضى بمقاصده فيهم وانفراده بالمجد
دونهم فيتحمل من ذلك فوق الغاية من معاناة القلوب
قال بعض الاشراف من الحكماء لمعاناة نقل الجبال من
اماكنها اهن على من معاناة قلوب الرجال (ثم) الاستعانة
اذا كانت باولى القربى من اهل النسب او التربية والاصطناع
القديم للدولة كانت اكمل لها يقع فى ذلك من مجانسة
خلقهم لخلقهم فى الاستعانة قال تعالى اجعل لى وزيرا من
اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى وهو اما
ان يستعين فى ذلك بسيفه او بقلمه او برايه ومعارفه او
بجبابه عن الناس ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن النظر فى
مهماته او يدفع النظر فى الملك كله اليه ويعول فى كفايته
فى ذلك واضطاعه به فلذلك قد توجد لرجل واحد وقد
تفرق فى اشخاص وقد يتفرع كل واحد منها الى فروع
كثيرة كالقلم يتفرع الى قلم الرسايل والمخاطبات وقلم الصكوك
والاقطاعات والى قلم المحاسبة وهو صاحب الجباية والعطاء
وديوان الجيش وكالسيف يتفرع الى صاحب الحرب وصاحب
الشرطة وصاحب البريد وولاية الثغور (ثم) اعلم ان الوظائف
السلطانية فى هذه الملة الاسلامية مندرجة تحت الخلافة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

لاشتمال منصب الخلافة على الدين والدنيا كما قدّمناه
فالأحكام الشرعيّة متعلّقة بجميعها وموجودة لكل واحدة منها
في سائر وجوهها لعموم تعلّق الحكم الشرعي بجميع أفعال
العباد فالفقيه ينظر في مرتبة الملك والسلطان وشروط تقليدها
استبدادا على الخلافة وهو معنى السلطان أو تفويضا منها وهو
معنى الوزارة عندهم كما ياتي في حدود نظره في الأحكام
والأموال وسائر السياسات مطلقا أو مقيدا وفي موجبات
العزل ان عرضت وغير ذلك من معاني الملك والسلطان
وكذا في سائر الوظائف التي تحت الملك والسلطان من
وزارة أو جباية أو ولاية لا بدّ للفقيه من النظر في جميع
ذلك لما قدّمناه من انسحاب حكم الخلافة الشرعيّة في
الملة الاسلاميّة على رتبة الملك والسلطان الا ان كلامنا في
وظائف الملك والسلطان ورتبه انما هو بمقتضى طبيعة العمران
ووجود البشر لا بها يخصّها من احكام الشرع فليس من غرض
كتابنا كما علمت فلا نحتاج الى تفصيل احكامها الشرعيّة
مع انها مستوفاة في كتب الاحكام السلطانية مثل
كتاب القاضي ابي الحسن الماوردي وغيره من اعلام
الفقهاء فان اردت استيعابها فعليك بيطالعتها هنالك وانما
تكلمنا (1) في الوظائف الخلافيّة وافردناها لنميز بينها وبين

(1) تكلفنا. Man. B.

الوظائف السلطانية فقط لا لتحقق (1) احكامها الشرعية فليس من غرض كتابنا فاننا انما نتكلم في ذلك بما تقتضيه طبيعة العمران في الوجود الانساني والله الموفق (الوزارة) وهي ام الخطط السلطانية والرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فان الوزارة ماخوذة اما من الموازنة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره وانقاله وهو راجع الى المعاونة المطلقة وقد كنا قدّمنا في اول الفصل ان احوال السلطان وتصرفاته لا تعدو اربعة انحاء لانها اما ان تكون في امور حماية الكافة واسبابها من النظر في الجند والسلاح والحروب وسائر امور الحماية والمطالبة وصاحب هذا هو الوزير المتعارف في الدول القديمة بالمشرق ولهذا العهد بالمغرب واما ان تكون في امور مخاطباته لمن بعد عنه في الهكان والزمان وتنفيذه الاوامر فيمن هو محجوب عنه وصاحب هذا هو الكاتب واما ان تكون في امور جبايته للمال وانفاقه وضبط ذلك من جميع وجوهه ان يكون بهضعة وصاحب هذا هو صاحب المال والجباية وهو المسمى بالوزير لهذا العهد بالمشرق واما ان تكون في مدافعة الناس ذوى الحاجات عنه ان يزدحموا عليه فيشغلوه عن مهمته وهذا راجع لصاحب الباب الذى يحجبه فلا تعدو احواله

(1) لتحقيق. D. لتحقيق. Man. A. et B.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

هذه الاربعة بوجه وكل خطة او رتبة من رتب الملك
والسلطان فاليها ترجع الا ان الارفع منها ما كانت الاعانة
فيه عامّة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف الذى
هو يقتضى مباشرة السلطان دايمًا او مشاركته فى كل صنف
من احوال ملكه واما ما كان خاصًا ببعض الناس او
ببعض الجهات فيكون دون الرتبة الاخرى كقيادة ثغر او
ولاية جباية خاصّة او النظر فى امر خاص كحسبة الطعام او
النظر فى السكّة فان هذه كلها نظر فى احوال خاصّة
فيكون صاحبها تبعًا لاهل النظر العام وتكون رتبته مرؤسة
لاولئك وما زال الامر فى الدول قبل الاسلام هذا حتى اذا
جاء الاسلام وصار الامر خلافة فذهبت هذه الخطط كلها
بذهاب رسم الملك الا ما هو طبيعى من المعاونة بالراى
والمفاوضة فيه فلم يمكن زواله اذ هو امر لا بدّ منه فكان
صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه ويفاضهم فى مهمّاته
العامّة والخاصّة ويختصّ مع ذلك ابا بكر بخصوصيات اخرى
حتى كان العرب الذين عرفوا الدول واحوالها فى كسرى
وقيصر والنجاشى يسمون ابا بكر وزيره ولم يكن لفظ الوزير
يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسداجة الاسلام
وكذا عمر مع ابي بكر وعلى وعثمان مع عمر واما حال الجباية
والانفاق والحسبان فلم يكن عندهم برتبة لان القوم كانوا عربًا

أميين لا يحسنون الكتاب ولا الحساب فكانوا يستعملون
 في الحساب اهل الكتاب او افرادا من موالى العجم ممن
 يجيده وكان قليلا فيهم واما اشرافهم فلم يكونوا يجيدونه لان
 الامية كانت صفتهم التي امتازوا بها وكذا حال المخاطبات
 وتنفيذ الامور لم يكن عندهم رتبة خاصة للامية التي فيهم
 والامانة العامة في كتمان القول وتاديتة ولم تحوج السياسة
 الى اختياره لان الخلافة انما هي دين وليست من السياسة
 الملكية في شئ وايضا فلم تكن الكتابة صناعة فيستجد
 للخليفة احسنها لان الكل كانوا يعبرون عن مقاصدهم بابلغ
 العبارات ولم يبق الا الخط فكان الخليفة يستنيب في
 كتابه متى عن له من يحسنه واما مدافعة ذوى الحاجات
 عن ابوابهم فكان محظورا بالشريعة فلم يفعلوه فلما انقلبت
 الخلافة الى الهلك وجاءت رسوم السلطان والقابله كان اول
 شئ بدى به في الدولة شأن الباب وسدّه دون الجمهور
 لما كانوا يخشون على انفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم
 كما وقع بعمر وعلى وبعواوية وعهرو بن العاص وغيرهم مع
 ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن
 المهمات فاتخذوا من يقوم لهم بذلك وسموه الحاجب
 وقد جاء ان عبد الملك لها ولى حاجبه قال له وليتكن
 حجابة بابى الا عن ثلاثة المؤذن للصلاة فانه داعى الله

وصاحب البريد فامر ما جاء به وصاحب الطعام لئلا يفسد
 (ثم استفحل الملك بعد ذلك فظهر المشاور والمعين في امور
 القبائل والعصايب واستيلا فهم واطلق عليه اسم الوزير وبقي امر
 الحسابان في الهوالى والذميين واتخذ للسجلات كاتب مخصوص
 حوطة على ساير اسرار السلطان ان تشتهر فتفسد سياسته مع
 قومه ولم يكن بمثابة الوزير لانه انما احتيج له من حيث
 النخط والكتاب لا من حيث اللسان الذى هو الكلام اذ
 اللسان لذلك العهد على حاله لم يفسد فكانت الوزارة
 لذلك ارفع رتبهم يومئذ هذا ساير دولة بنى امية فكان
 النظر للوزير عامًا في احوال التفويض والمفاوضات وساير امور
 الحمايا والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند
 وفرض العطاء بالاهلة وغير ذلك فلما جاءت دولة بنى
 العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت عظم
 شان الوزير وصار اليه النيابة في انفاذ الحيل والعقد وتعيينت
 مرتبته في الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت الرقاب وجعل
 له النظر في ديوان الحسابان لما تحتاج اليه خطته من قسم
 الاعطيات في الجند فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه
 واصيف اليه النظر فيه ثم جعل له النظر في القلم والترسيل
 لصون اسرار السلطان ولحفظ البلاغة لها كان اللسان قد فسد
 عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من

الذبيح والشياع ودفع اليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتى
السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعونة حتى لقد دعى
جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد اشارة الى عموم نظره
وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من المراتب السلطانية كلها
الا الحجابة التى هى القيام على الباب فلم تكن له
لاستنكافه عن مثل ذلك ثم جاء فى الدولة العباسية شأن
الاستبداد على الخلفاء (1) وتعاور فيها استبداد الوزراء مرة
والسلطان اخرى وصار الوزير اذا استبد محتاجا الى استنابة
الخليفة اياه لذلك لتصح الاحكام الشرعية وتجري على
حالتها كما تقدم فانقسمت الوزارة حينئذ الى وزارة تنفيذ
وهى حال ما يكون السلطان قائما على نفسه والوزير كالوكيل
فى تنفيذ احكامه والى وزارة تفويض وهى حال ما يكون
الوزير مستبدا عليه وقد فوض اليه الخليفة جميع امور خلافته
وجعلها لنظره واجتهاده وجرى حينئذ الخلاف فى العقد
لوزيرين معا بوزارة التفويض مثل ما جرى من العصد لامامين
معا وقد تقدم فى الاحكام الخلافية ثم استمر الاستبداد
وصار الامر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم يكن
لاولئك المنغلبين ان ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من
مشاركة الوزراء فى اللقب لانهم حول لهم فسموا بالامارة

(1) Man. C. et D. السلطان.

والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى امير الامراء او بالسلطان الى ما يحل به الخليفة من القاب كما نراه في القابهم وتركوا اسم الوزارة الى من يتولاها للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم الى آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصار صناعة ينتحلها بعض الناس فامتھنت وترقع الوزراء عنها لذلك ولانهم عجم وليس تلك البلاغة هي المقصودة من لسانهم فتخير لها من ساير الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير (واختص) اسم الامير بصاحب الحروب والجنود وما يرجع اليها ويده مع ذلك عالية على اهل الرتب وامره نافذ في الكل اما نيابة او استبدادا واستمر الامر على هذا (ثم) جاءت دولة الترك اخرا بمصر فراوا الوزارة قد ابتدلت بترفع اولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ونظرة مع ذلك معقب بنظر الامير فصارت مروسة ناقصة فاستنكف اهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب الاحكام والنظر في الجنود يسمى عندهم بالنايب لهذا العهد واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية (واما دولة بني امية بالاندلس) فابقوا اسم الوزير (1) في مدلوله اول الدولة ثم قسموا خطته اصنافا وافردوا لكل صنف وزيرا فجعلوا لحسبان المال وزيرا ولترسل

(1) Man. A. et B. الوزارة.

وزيرا وللنظر في حوايج المتظلمين وزيرا وللنظر في احوال
اهل الشغور وزيرا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش
منصدة لهم وينفذون امر السلطان هنالك كل فيما جعل له
وافرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم
بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم
وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم
فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سايز الرتب حتى صار
ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فاكبرهم يومئذ يسمى
الحاجب كما نذكره (ثم جاءت دولة الشيعة بافريقية والقيروان)
وكان للقائمين بها رسوخ في البداوة فاغفلوا امر هذه الخطط
اولا وتنقيح اسمائها حتى ادركت دولتهم الحضارة فصاروا
الى تقليد الدولتين قبلهم في وضع اسمائها كما نراه في اخبار
دولتهم (ولما جاءت دولة الموحديين) من بعد ذلك اغفلت
لامر اولا للبداوة ثم صارت الى انتحال الاسماء واللقاب
وكان اسم الوزير في مدلوله ثم اتبعوا دولة الامويين وقلدوها
في مذاهب السلطان واصاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان
في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند
الحدود في تحييتهم وخطابهم وآداب التي تلزم في الكون
بين يديه ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاؤا ولم يزل الشأن
ذلك الى هذا العهد (واما) في دولة الترك بالمشرق فيسبون

هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجلس السلطان والتقدم بالوفود بين يديه يسهونه الدوادار ويضيفون اليه استتباع كاتب السر واصحاب البرد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وفي الحضرة وحالهم على ذلك لهذا العهد والله متولى الامور (والحجابه) قد قدّمنا ان هذا اللقب كان مخصوصا في الدولة الاموية والعباسية بمن يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفتحه لهم على قدره وفي موافقته وكانت هذه منزلة يومئذ عن الخطط مرؤسة لها اذ الوزير متصرف فيها بما يراه وهكذا لسائر ايام بني العباس والى هذا العهد فهي بهصر مرؤسة لصاحب الخطة العليا المسمى بالنايب واما في دولة بني امية بالاندلس فكانت الحجابه لمن يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ويكون واسطة بينه وبين الوزراء فمن دونهم فكانت في دولتهم ربيعة غاية كما تراه في اخبارهم كابن حدير وغيره من حجابهم (ثم) لها جاء الاستبداد على الدولة اختص المستبد باسم الحجابه لشرفها فكان المنصور بن ابي عامر وابناءه كذلك ولما بدوا في مظاهر الملك واطواره جاء من بعدهم من ملوك الطوائف فلم يتركوا لقبها وكان يعدونه شرفا لهم وكان اعظمهم ملكا بعد انتقال القاب اليه واسمائه لا بد له من ذكر الحاجب وذى الوزارتين يعنون به السيف والقلم

ويدلّون بالحجاجة على حجابة السلطان عن العامة والخاصة
وبدى الوزارتين على جهعه لخطتى السيف والقلم ثم لم يكن
فى دول المغرب وافريقية ذكر لهذا الاسم للباوة التى كانت
فيهم وربها يوجد فى دولة العبيديين بمصر عند استغلاظها
وحضارتها الا انه قليل ولها جاءت دولة الموحدين لم تستمكن
فيها الحضارة الداعية الى انتحال الالقاب وتمييز الخطط
وتعيينها بالاسماء الا اخرها فلم يكن عندهم من الرتب
الا الوزير فكانوا اولا يخصون بهذا الاسم الكاتب المتصرف
المشارك للسلطان فى خاص امره كابن عطية وعبد السلام
الكومى وكان له مع ذلك النظر فى الحساب والاشغال
المالية ثم صار بعد ذلك اسم الوزير لاهل نسب الدولة من
الموحدين كابن جامع وغيره ولم يكن اسم الحاجب معروفا
فى دولتهم يومئذ واما بنو ابي حفص بافريقية فكانت الرياسة
فى دولتهم اولا والتقدم لوزير الراى والمشورة وكان يخص
باسم شيخ الموحدين وكان له النظر فى الولايات والعزل
وقود العساكر والحروب واختص الحساب والديوان برتبة
اخرى سمي متوليها بصاحب الاشغال ينظر فيها النظر المطلق
فى الدخل والخرج ويحاسب ويستخلص الاموال ويعاقب
على التفريط وكان من شرطه ان يكون من الموحدين واختص
عندهم القلم ايضا بمن يجيد الترسيل ويؤمن على الاسرار

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

لان الكتابة لم تكن من منتحل القوم ولا الترسييل بلسانهم فلم يشترط فيه النسب واحتاج السلطان لاتساع ملكه وكثرة المرتزقين في دارة الى قهرمان خاص بداره في احواله يجريها على قدرها وترتيبها من رزق وعطاء وكسوة ونفقة في الهطابح والاسطبلات وغيرها وحصر الذخيرة وتنفيذ ما يحتاج اليه في ذلك على اهل الجباية فخصوه باسم الحاجب وربما اضافوا له كتاب العلامة على السجلات اذا اتفق ان يحسن صناعة الكتابة وربما جعلوه لغيره واستمر الامر على ذلك وحجب السلطان نفسه عن الناس فصار هذا الحاجب واسطة بين الناس وبين اهل الرتب كلهم ثم جمع له آخر الدولة السيف والحرب ثم الراى والمشورة فصارت الخطة ارفع الرتب واوعبها للخطط ثم جاء الاستبداد والحجر مدة من بعد السلطان الثانى عشر منهم ثم استبد بعد ذلك حافده السلطان ابو العباس على نفسه واذهب آثار الحجر والاستبداد باذهاب خطة الجباية التى كانت سلما اليه وباشر اموره كلها بنفسه من غير استعانة باحد والامر فى ذلك لهذا العهد (واما) دول زناتة بالمغرب واعظمها دولة بنى مرين فلا اثر لاسم الحاجب عندهم واما رياسة الحرب والعساكر فهى للوزير ورتبة القلم فى الحسبان والرسايل راجعة الى من يحسنها من اهلها وان اختصت ببعض البيوت من

المصطنعين في دولتهم وقد تجمع عندهم وقد تفرق واما باب
السلطان وحجبه عن العامة فهي رتبة عندهم يسمى صاحبها
بالمزوار ومعناه المقدم على الجنادرية المتصرفين بباب
السلطان في تنفيذ اوامره وتصريف عقوباته وانزال سطواته
وحفظ المعتقلين في سجونهم والعريف عليهم في ذلك
فالباقي له واخذ الناس بالوقوف عند الحدود في دار العامة
راجع اليه فكان وزارة صغرى (واما) دولة بنى عبد الواد
فلا اثر عندهم لشيء من هذه الالقاب ولا تمييز الخطط لبدوة
دولتهم وقصورها وانما يخصون باسم الحاجب في بعض
الاحوال منفذ الخاص بالسلطان في داره كما كان في دولة
بنى ابي حفص وقد يجمعون له الحساب والسجلات كما
كان فيها حملهم على ذلك تقليد الدولة كما كانوا في
بيعتها وقايمين بدعوتها منذ اول امرهم (واما) اهل الاندلس
لهذا العهد فالمخصوص عندهم بالحساب وتنفيذ حال السلطان
وساير الامور المالية يسهونه بالوكيل واما الوزير فكالوزير الا انه
قد يجمع له الترسيل والسلطان عندهم يضع خطه على
السجلات كلها فليس هناك خطه للعلامة كما لغيرهم من
الدول (واما) دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم
موضوع لحاكم من اهل الشوكة وهم الترك ينفذ الاحكام
بين الناس في المدينة وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم

تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في اهل الدولة وفي العامة على الاطلاق وللنايب التولية والعزل في بعض الوظائف على الاحيان ويقطع القليل من الارزاق ويشبثها وينفذ اموره ومراسمه كما بنفذ المراسم السلطانية وكان له النيابة المطلقة عن السلطان والحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجنود عند الترافع اليهم واجبار من لا ينقاد للحكم وطورهم تحت طور النيابة والوزير في دولة الترك هو صاحب جباية الاموال في الدولة على اختلاف اصنافها من خراج او مكس او جزية ثم تصريفها في الاتفاقات السلطانية او الجرايات المقدرة وله مع ذلك التولية والعزل في ساير العمال المباشرين لهذه الجباية والتنفيذ على اختلاف مراتبهم وتباين اصنافهم ومن عوايدهم ان يكون هذا الوزير من صنف القبط القايمين على ديوان الحسبان والجباية لاختصاصهم بذلك في مصر منذ عصور قديمة وقد يوليها السلطان بعض الاحيان لاهل الشوكة من رجالات الترك او ابنائهم على حسب الداعية لذلك والله مدبر الامور ومصرفها بحكمته لا اله الا هو

ديوان الاعمال والجبايات

هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على

اعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخراج
واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير ارزاقهم وصرف اعطياتهم
في اباناتها والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها
قومة تلك الاعمال وقهارة الدولة وهي كلها مسطورة في
كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخراج مبني
على جزء كبير من الحسابان لا يقوم به الا المهرة من اهل
تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك
مكان جلوس العمال والمباشرين لها ويقال ان اصل هذه
التسمية ان كسرى نظر يوما الى كتاب ديوانه وهم يحسبون
مع انفسهم كانهم يحادثون فقال ديوانه اي مجانين بلغة
الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال
تخفيفا ف قيل ديوان ثم نقل هذا الاسم الى كتاب هذه
الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات وقيل انه اسم للشيطان
بالفارسية وسمى الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم
الامور ووقوفهم على الجلي منها والخفي وجمعهم لما شد
وتفرق ثم نقل الى مكان جلوسهم لتلك الاعمال وعلى هذا
فيتناول اسم الديوان كتاب الرسايل ومكان جلوسهم بباب
السلطان على ما ياتي بعده وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر
واحد ينظر في ساير هذه الاعمال وقد يفرد كل صنف منها
بناظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم

وحسبان اعطياتهم او غير ذلك على حسب مصطلاح الدولة وما قرره اولوها واعلم ان هذه الوظيفة انما تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في اعطاف الهلك وفتون التمهيد واول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر رضى الله عنه يقال بسبب مال اتى به ابو هريرة من البحرين استكثروه وتعجبوا في قسمه فسوها الى احصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فاشار خالد بن الوليد بالديوان وقال رايت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر وقيل بل اشار عليه به الهرمزان لما راه يبعث البعوث بغير ديوان فقال له ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم فان من تخلف منهم اخل (1) بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فاثبت لهم ديوانا وسال عمر عن اسم الديوان ففسر له ولما اجمع على ذلك امر عقيل بن ابى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتديا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش وروى الزهرى عن سعيد ابن المسيب ان ذلك كان في المحرم سنة عشرين (واما ديوان الخراج والجبایات) فبقى بعد الاسلام على ما كان عليه من قبل

(1) Man. C. et D. اخل.

ديوان العراق بالفارسية وديوان الشام بالرومية وكتاب
الدواوين من اهل العهد من الفريقيين فلما جاء عبد الملك
بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غصاصة
البداءة الى رونق الحضارة ومن سداجة الامية الى حدق
الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتاب
والحساب فامر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن
لعنده ان ينقل ديوان الشام الى العربية فاكمله لسنة من
يوم ابتداءه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال
لكتاب الروم اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها
الله عنكم (واما ديوان العراق) فامر الحجاج كاتبه صالح بن
عبد الرحمن وكان يكتب بالعربية والفارسية ولقن ذلك عن
زادان فروخ كاتب الحجاج قبله ولما قتل زادان في حرب
عبد الرحمن بن الاشعث استخلف الحجاج صالحا هذا مكانه
وامره ان ينقل الديوان من الفارسية الى العربية ففعل ورغم
لذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول
لله در صالح ما اعظم منته على الكتاب ثم جعلت هذه
الوظيفة في دولة بنى العباس مضافة الى ما كان له النظر
فيه كما كان شان بنى برمك وبنى سهل بن نوبخت
وغيرهم من وزراء تلك الدولة فاما ما يتعلق بهذه الوظيفة من
الاحكام الشرعية مما يختص بالجيش او بيت المال في الدخل

والخراج او تمييز النواحي بالصالح والغنوة وفي تقليد هذه
الوظيفة مهم يكون وشروط الناظر فيها والكاتب وقوانين
الحسابات فامر راجع الى كتب الاحكام السلطانية وهي
مسطورة هنالك وليست من غرض كتابنا وانما نتكلم فيها
من حيث طبيعة الملك الذي نحن بصدد الكلام فيه
وهذه الوظيفة جزء عظيم من الملك بل هي ثلاثة اركانه لان
الملك لا بد له من الجند والمال والمخاطبة لهن غاب عنه
فاحتاج صاحب الملك الى الاعوان في امر السيف وامر
القلم وامر المال فينفرد صاحبها لذلك بجزء من رياسة
الملك وكذلك كان الامر في دولة بني امية بالاندلس
والطوائف بعدهم واما في دولة الموحدين فكان صاحبها
انما يكون من الموحدين مستقل بالنظر في استخراج الاموال
وجمعها وضبطها وتعقب نظر الولاة والعمال فيها ثم تنفيذها
على قدرها وفي مواقيتها وكان يعرف بصاحب الاشغال وكان
ربما يليها في الجهات غير الموحدين مهم يحسنها ولها
استبدت بنو ابي حفص بافريقية وكان شأن الجالية من الاندلس
فقدم عليهم اهل البيوتات وفيهم من كان يستعمل في ذلك
بالاندلس مثل بنى سعيد اصحاب القلعة جوار غرناطة
المعروفين ببني ابي الحسين فاستكفوا بهم في ذلك
وجعلوا النظر لهم في الاشغال كما كان لهم بالاندلس وداولوا

فيها بينهم وبين الموحدين ثم استقل بها اهل الحسبان
والكتاب وخرجت عن الموحدين ثم لما استغلظ امر الحاجب
ونفذ امره في كل شأن من شؤون الدولة تعطل هذا الرسم
وصار صاحبه مرؤسا للحاجب واصبح من جملة الجباة
وذهبت تلك الرياسة التي كانت له في الدولة واما في
دولة بنى مرين لهذا العهد فحسبان الخرج والعتاء مجموع
لواحد وصاحب هذه الرتبة هو الذي يصحح الحسابات كلها
ويرجع الى ديوانه ونظرة معقب بنظر السلطان او الوزير
ونخطه معتبر في صحة الحسبان في العطاء والخراج هذه اصول
الرتب والخطط السلطانية وهي الرتب العالية التي هي عامة
النظر ومباشرة للسلطان واما هذه الرتبة في دولة الترك
فمتنوعة وصاحب ديوان العطاء يعرف بناظر الجيش
وصاحب المال مخصوص باسم الوزير وهو الناظر في ديوان
الجباية العامة للدولة وهو اعلى رتب الناظرين في الاموال
لان النظر في الاموال عندهم يتنوع الى رتب كثيرة لانفساح
دولتهم وعظيم سلطانهم واتساع الاموال والجبائيات عن ان
يستقل بضبطها الواحد من الرجال ولو بلغ في الكفاية (1)
مبالغة فتعين للنظر العام منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو
مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان واهل عصبته

(1) الكتابة B. الكتاب A. Man. (1)

وارباب السيوف في الدولة يرجع نظر الوزير الى نظره ويجتهد
جهده في متابعتها ويسمى عندهم استاذ الدار وهو احد الامراء
الاكابر في الدولة من الجند وارباب السيوف وتتبع هذه
الخطة عندهم خطط اخرى كلها راجعة الى الاموال والحسبان
مقصورة النظر على امور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشر
لاموال السلطان الخاصة به من اقطاعه او سهمانه من
اموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس من اموال المسلمين
العامة التي لنظره وهو تحت يد الامير استاذ الدار وان كان
الوزير من الجند فلا يكون لاستاذ الدار نظر عليه وناظر
الخاص ايضا تحت يد الخازن لاموال السلطان من مماليكه
المسمى خازن دار لاختصاص وظيفته بمال السلطان الخاص
به هذا مسمى هذه الخطة في دولة الترك بالمشرق بعد ما
قدمنا من امرها بالمغرب والله مصروف الامور لا رب غيره

ديوان الرسايل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك بطبيعته لاستغناء كثير
من الدول عنها رأسا كما في الدول العربية في البدو التي
لم ياخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنایع وإنما اكد
الحاجة اليها في الدولة الاسلامیة شأن اللسان العربي
والبلاغة في العبارة عن المقاصد فصار الكتاب يودي كنه

الحاجة بابلغ من العبارة اللسانية في الأكثر وكان الكاتب
 للامير يكون من اهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء
 وامراء الصحابة بالشام والعراق لعظيم امانتهم وخلص
 اسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه
 (وكانت) عند بنى العباس ربيعة وكان الكاتب يصدر السجلات
 مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختتم عليها بخاتم السلطان
 وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان او شارته يغمس في طين
 احمر مذاق بالماء ويسمى طين الختم ويطبع به على طرفي
 السجل عند طيه والصاقه ثم صارت السجلات من بعدهم
 تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته اولا واخرا
 على حسب الاختيار في محلها وفي لفظها ثم قد تنزل هذه
 الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من اهل
 المراتب في الدولة او استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا
 الكاتب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب
 صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع
 في آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار امرها
 الى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التي للكاتب
 ملغى وصورتها ثابتة اتباعا لها سلف من امرها فصار
 الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابته ذلك بخط يضعه
 ويتخير له من صيغ الانفاذ ما شاء فياتهر الكاتب له ويضع

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoon.

العلامة المعتادة وقد يختص السلطان بنفسه بوضع ذلك اذا كان مستبداً بامرته قايمًا على نفسه في رسم الامر للكاتب ليضع علامته (ومن خطط الكتابة التوقيع) وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكاما والفصل فيها متلقاة من السلطان باوجز لفظ وابلغه فاما ان يصدر كذلك واما ان يحدوا الكتاب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع الى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه (وقد) كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى القصة الى صاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها حتى قيل انها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول واعلم ان صاحب هذه الخطة لا بد وان يتخير من ارفع طبقات الناس واهل الهروة والحشمة منهم وزيادة العلم وعارضة البلاغة فانه معرض للنظر في اصول العلم لما يعرض في مجالس الملوك ومقاعده احكامهم من امثال ذلك مع ما تدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الآداب والتخلق بالفضائل ومع ما يضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة واسرارها وقد تكون الرتبة في بعض الدول مستندة الى ارباب السيف

لما يقتضيه طبع الدولة من البعد عن معاناة العلوم لاجل
سداجة العصبية فيختص السلطان اهل عصبته بخط دولته
وساير رتبة فيقلد المال والسيف والكتابة منهم فاما رتبة
السيف فتستغنى عن معاناة العلم واما المال والكتابة فيضطر
الى ذلك للبلاغة في هذه والحسبان في الاخرى فيختارون
لها من هذه الطبقة لما دعت اليه الضرورة ويقلدونه الا ان
يكون يد احر من اهل العصبية عالية على يده ويكون نظره
منصرفا عن نظره كما هو في دولة الترك لهذا العهد بالمشرق
فان رياسة الكتابة عندهم وان كانت لصاحب الانشاء الا انه
تحت يد امير من اهل عصبية السلطان يعرف بالدويدار
تعويل السلطان ووثوقه به واستنامته في غالب احواله اليه
وتعويله على الاخر في احوال البلاغة وتطبيق المقاصد وغير
ذلك من توابعها (واما) الشروط المعتبرة في صاحب هذه
الرتبة التي يلاحظها السلطان في اختياره وانتقائه من اصناف
الناس فهي كثيرة واحسن من استوعبها عبد الحميد الكاتب
في رسالته الى الكتاب وهي هذه (اما بعد) حفظكم الله يا
اهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وارشدكم فان الله
عز وجل جعل الناس بعد الانبياء والمرسلين صلوات الله
عليهم اجمعين ومن بعد الملوك المكرمين اخيافا (1) وان كانوا

(1) اصنافا. Man. C.

في الحقيقة سواء وصرفهم في صنوف الصناعات وضروب
المحاولات الى اسباب معاشهم وابواب ارزاقهم فجعلكم
معشر الكتاب في اشرف الجهات اهل الادب والمرؤة
والعلم والرواية بكم تنتظم للخلافة محاسنها وتستقيم امورها
وينصايحكم يصالح الله للخلق سلطانهم ويعمر بلدانهم
لا يستغنى الملك عنكم ولا يوجد كافي الا منكم فموقعكم من
الملوك موقع اسماعهم التي بها يسمعون وابصارهم التي بها
يبصرون والستهم التي بها ينطقون وايديهم التي بها
يبطشون فامتعم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ولا تزع
عنكم ما اصفاه من النعمة عليكم وليس احد من اهل الصناعات
كلها احوج الى اجتهاع خلال الخير المحمودة ونحوال الفضل
المذكورة المعدودة منكم ايها الكتاب اذا كنتم على ما ياتي في
هذا الكتاب من صفتكم فان الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج
منه صاحبه الذي يثق به في مهمات اموره ان يكون حليما
في موضع الحكم فهما في موضع الحكم ومقداما في موضع
الاقدام ومحجما في موضع الاحجام مؤثرا للعفاف والعدل والانصاف
كتوما للاسرار وفيما عند الشدايد عالما بما ياتي من النوازل
يضع الامور مواضعها والطوارق اماكنها قد نظر في كل فن
من فنون العلم فاحكمه فان لم يحكمه اخذ منه بمقدار ما
يكتفي به يعرف بعريزة عقله وحسن ادبه وفضل تجربته ما

يرد عليه قبل وروده وعاقبة ما يصدر عنه قبل صدره فيعدّ
 لكل امر عدته وعتاده ويهيئ لكل وجه هيئته وعادته فتنافسوا
 يا معشر الكتاب في صنوف الآداب وتفقهوا في الدين
 وابدؤا بعلم كتاب الله عز وجل والفرايض ثم العربية فانها
 ثغاف الستكم ثم اجدوا الخَط فانه حلية كتبكم وارووا
 الاشعار واعرفوا غريبها ومعانيها وايام العرب والعجم واحاديثها
 وسيرها فان ذلك معين لكم على ما تسوموا اليه هممكم
 ولا تضيعوا النظر في الحساب فانه قوام كتاب الخراج
 وارغبوا بانفسكم عن المطالع سنيها اودنيها وسفساف الامور
 ومحارها فانها مذلة للرقاب مفسدة للكتاب ونزهوا
 صناعتكم عن الدناءات واربوا بانفسكم عن السعاية والنيمة (I)
 وما فيه اهل الجهالات واياكم والكبر والسخف والعظمة
 فانها عداوة مجتلبة من غير احنة وتحابوا في الله عز وجل
 في صناعتكم وتواصوا عليها بالذي هو اليق باهل الفضل
 والعدل والنبيل من سلفكم وان نبا الزمان برجل منكم فاعطفوا
 عليه وواسوه حتى ترجع اليه حاله ويثوب اليه امره وان
 اعد احدكم الكبر عن مكسبه ولقاء اخوانه فزوروه وعظموه
 وشاوروه واستظهمروا بفضل تجربته وقديم معرفته وليكن الرجل
 منكم على من اصطنعه واستظهمر به ليوم حاجته اليه احوط

(I) Man. C. النهمة.

منه على ولده واخيه فان عرضت في الشغل محمدا فلا يضيفها
 الا الى صاحبه وان عرضت مذمة فيحملها هو من دونه
 وليحذر السقطة والزلة والملل عند تغير الحال فان العيب
 اليكم معشر الكتاب اسرع منه الى القراء وهو لكم افسد منه
 لها فقد علمتم ان الرجل منكم اذا صحبه من يبذل له من
 نفسه ما يجب له عليه من حقه فواجب عليه ان يعتقد له
 من وفائه وشكره واحتماله وصبره ونصيحته وكتمان سره
 وتدبير امره ما هو جزاء لحقه ويقصد ذلك بفعاله عند
 الحاجة اليه والاضطرار الى ما لديه فاستشعروا ذلك
 وفقكم الله من انفسكم في حالة الرخاء والشدّة والحرمات
 والمواساة والاحسان والسراء والضراء فنعيت الشيمة هذه لمن
 وسم بها من اهل هذه الصناعة الشريفة واذا ولي الرجل منكم
 او صير اليه من امر خلق الله وعياله امرا فليراقب ربه عز وجل
 وليوثر طاعته وليكن على الضعيف رفيقا وللمظلوم منصفا
 فان الخلق عيال الله واحبهم اليه ارفقهم بعياله ثم ليكن
 بالعدل حاكما وللارشاف مكرما وللنفى موفرا وللبلاد
 عامرا وللرعية متالفا وعن اذاهم متخلفا وليكن في مجلسه
 متواضعا حليفا وفي سجلات خراجه واستقصاء حقوقه رفيقا
 واذا صحب احدكم رجلا فليختبر خلائقه فاذا عرف
 حسنها وقبيحها اعانه على ما يوافقه من الحسن واحتال

لصرفه عما يهواه من القبيح بالطف بحيلة واجمل وسيلة
وقد علمتم ان سايس البهيمية اذا كان بصيرا بسياستها
التمس معرفة اخلاقها فان كانت رموحا لم يهجمها اذا ركبها
وان كانت شبوبا اتقاها من قبل يديها وان خاف منها
شرودا توقاها من ناحية راسها وان كانت حرونا قمع برفق
هواها في طرفها وان استمرت عطفها يسيرا فيسلس له قيادها
وفي هذا الوصف من السياسة دلائل لمن ساس الناس
وعاملهم وخدمهم وداخلهم والكاتب بفضل ادبه وشريف
صنعتة ولطيف حيلته ومعاملته لمن يحاوره من الناس وينظر
وبفهم عنه او يخاف سطوته اولى بالرفق لصاحبه ومداراته
وتقويم اوده من سايس البهيمية التي لا تحير جوابا ولا تعرف
صوابا ولا تفهم خطابا الا بقدر ما يصيرها اليه صاحبها الراكب
عليها فارفقوا رحمكم الله في النظر واعملوا فيه ما امكنكم من
الروية والفكر تامنوا باذن الله ممن صحبتوه النبوة والاستئصال
والجفوة ويصير منكم الى الموافقة وتصيروا منه الى المواخاة
والشفقة ان شاء الله تعالى ولا يجاوزن الرجل منكم في هنة
مجلسه وملبسه ومركبه ومطعمه ومشربه وبنائه (1) وخدمه وغير
ذلك من فنون امره قدر حقه فانكم مع ما فضلكم الله به
من شرف صنعتكم خدمة لا تحملون في خدمتكم على التقصير

(1) ثيابه. Man. D.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وحفظة لا تحتهل منكم افعال التصيير والتبذير واستعينوا على عفافكم بالقصد في كل ما ذكرته لكم وقصصته عليكم واحذروا متالف السرف وسوء عاقبة الترف فانهما يعقبان الفقر ويذلان الرقاب ويفضحان اهلها ولا سيما الكتاب وارباب الآداب والامور اشباه وبعضها دليل على بعض فاستدلوا على موتنف اعمالكم بما سبقت اليه تجربتكم ثم اسلكوا من مسالك التدبير اوضحها محجة واصدقها حجة واحمدها عاقبة واعلموا ان للتبذير افة متلفة وهو الوصف الشاغل لصاحبه عن انفاذ علمه ورويته فليقصد الرجل منكم في مجلسه قصد الكافي من منطقته وليوجز في ابتدائه وجوابه ولياجز بمجامع حججه فان ذلك مصالحة لفعله ومدفعة للتشاغل عن اثاره وليضرع الى الله في صلة توفيقه وامداده بتسديده مخافة وقوعه في الغلط المضر ببدنه وعقله وادبه فانه ان ظن منكم ظان او قال قائل ان الذي برز من جميل صنعته وقوة حركته انما هو بفضل حيلته وحسن تدبيره فقد تعرض بظنه او مقالته الى ان يكله الله عز وجل الى نفسه فيصير منها الى غير كاف وذلك على من تأمله غير خاف ولا يقل احد منكم انه ابصر بالامور واحمل لعب (I) التدبير من مرافقه في صناعته ومصاحبه في خدمته

(I) Man. A. et B. لعبت.

فان اعقل الرجلين عند ذوى الالباب من روى بالعجب وراء ظهره وراى ان صاحبه اعقل منه واحمد فى طريقته وعلى كل واحد من الفريقين ان يعرف فضل نعم الله جل ثناؤه من غير اغترار برايه ولا تزكية لنفسه ولا تكاثر على اخيه او نظيره وصاحبه وعشيرته وحمد الله واجب على الجميع وذلك بالتواضع لعظمته والتدلل لعزته والتحدث بنعمته وانا اقول فى كتابى هذا ما سبق به المثل من تلزمه النصيحة يلزمه العمل وهو جوهر هذا الكتاب وغرة كلامه بعد الذى فيه من ذكر الله عز وجل فلذلك جعلته آخرة وتمته به تولانا الله واياكم يا معشر الطلبة والكتبة بما يتولى به من سبق علمه فى اسعاده وارشاده فان ذلك اليه وبيده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (الشرطة) ويسمى صاحبها لهذا العهد بافريقية الحاكم وفى دولة اهل الاندلس صاحب الهدينة وفى دولة الترتك الوالى وهى وظيفة مروسة لصاحب السيف فى الدولة وحكمه نافذ فى صاحبها بعض الاحيان وكان اصل وضعها فى الدولة العباسية لمن يقيم احكام الجرائم فى حال استبرائها اولا ثم الحدود بعد استيفائها فان التهم التى تعرض فى الجرائم لانظر للشرع الا فى استيفاء حدودها وللسياسة النظر فى استبراء موجباتها باقرار يكرهه عليه الحاكم اذا اختفت به القرابين لما توجه المصلحة

العامّة في ذلك فكان الذي يقوم بهذا الاستبراء وباستيفاء
 الحدود بعده اذا تنزه عنه القاضي يسمى صاحب الشرطة
 وربما جعلوا اليه النظر في الدماء والحدود باطلاق وافردوها
 من نظر القاضي ونوهوا بهذه المرتبة وقتلدها كبار القواد وعظماء
 الخاصّة من مواليهم ولم تكن عامّة التنفيذ في طبقات
 الناس انما كان حكمه في الدهماء واهل الريب والضرب
 على يد الدعار والفجرة ثم عظمت نباهتها في دولة بنى
 امية بالاندلس ونوعت الى شرطة كبرى وشرطة صغرى
 وجعل حكم الكبرى على الخاصّة والدهماء وجعل له الحكم
 على ذوى المراتب السلطانيّة والضرب على ايديهم في
 الظلمات وعلى ايدي اقاربهم ومن اليهم من اهل الجاه وجعل
 صاحب الصغرى مخصوصا بالعامّة ونصب لصاحب الكبرى
 كرسي بباب دار السلطان ورجل يتبوّن المقاعد بين يديه
 فلا يبرحون عنها الا في تصريفه وكانت ولايتها للاكابر
 من رجالات الدولة حتى كانت ترشيحا للوزارة والحجابة
 واما في دولة الموحدين بالمغرب فكان لها حظ من التنويه
 وان لم يجعلوها عامّة وكان لا يليها الا رجالات الموحدين
 وكبراهم ولم يكن لهم التحكم على اهل المراتب
 السلطانيّة ثم فسد اليوم منصبها وخرجت عن ولاية رجال
 الموحدين وصارت ولايتها لمن قام بها من المصطنعين واما في

دولة بنى مرين لهذا العهد بالمغرب فولايتها في بيوت من مواليهم واهل اصطناعهم وفي دولة الترك بالمشرق في رجالات الترك واعقاب اهلا الدولة قبلهم من الكرد يتخبرونهم لها في القطرين بما يظهر منهم من الصلابة والمضاء في الاحكام لقطع مواد الفساد وحسم اسباب الدعارة وتخريب مواطن الفسوق وتفريق مجامعه مع اقامة الحدود الشرعية والسياسة كما تقتضيه رعاية المصالح العامة في المدينة والله مقلب الليل والنهار لا اله الا هو

قيادة الاساطيل

وهي من مراتب الدولة وخطتها في ملك المغرب وافريقية ومروسة لصاحب السيف وتحت حكمه في كثير من الاحوال ويسمى صاحبها في عرفهم باسم الملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الافرنجة فانه اسمها في اصطلاح لغتهم وانما اختصت هذه الرتبة بملك افريقية والمغرب لانها جميعها على ضفة البحر الرومي من جهة الجنوب وعلى عدوته الجنوبية بلاد البربر كلهم من سبتة الى اسكندرية الى الشام وعلى عدوته الشمالية بلاد الاندلس والافرنجة والصقالبة والروم الى بلاد الشام ايضا ويسمى البحر الرومي والبحر الشامي نسبة الى اهل عدوته والساكنون بسيف هذا البحر وسواحلها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun

من عدوتيه يعانون من احواله ما لا تعانیه امة من امم البحار وقد كانت الروم والافرنجة والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي وكانت اكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في اساطيله ولما اسف من اسف منهم الى ملك العدو الجنوبية مثل الروم الى افريقية والقوط الى المغرب اجازوا في الاساطيل وملكوها وتغلبوا على البربر بها وانتزعوا من ايديهم امرها وكان لهم بها المدن الحافلة مثل قرطاجنة وسبيطة وجلولا ومرناق وشرشال وطنجة وكان صاحب قرطاجنة من قبلهم يحارب صاحب رومة ويبعث الاساطيل لحربه مشحونة بالعساكر والعدد فكانت هذه عادة لاهل هذا البحر الساكنين حفايه معروفة في القديم والحديث (ولما) ملك المسلمون مصر كتب عمر ابن الخطاب الى عمرو بن العاص ان صف لي البحر فكتب اليه ان البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فاوعز حينئذ يهنع المسلمين من ركوبه ولم يركبه احد من العرب الا من افتات على عمر في ركوبه ونال من عقابه كما فعل بعرفة بن هزيمة الازدي سيد بجيلة لما اغراه عمان فبلغه فانكر عليه وعنفه انه ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى اذا كان لعهد معاوية اذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على اعوادة والسبب في

ذلك ان العرب لبداوتهم لم يكونوا اول الامر مهرة في ثقافته وركوبه والروم والفرنجة لممارستهم احواله ومرباهم في التقلب على اعواده مزنوا عليه واحكموا الدربة بثقافته فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم وصارت امم العجم حولا لهم وتحت ايديهم وتقرب كل ذى صنعة اليهم ببلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية اما وتكررت (1) ممارستهم للبحر وثقافته استحدثوا بصرا بها فشرهوا الى الجهاد فيه وانشؤا السفن والشوانى وشحنوا الاساطيل بالرجال والسلاح وامطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من امم الكفر واختصوا بذلك من مهالكهم وثورهم ما كان اقرب الى هذا البحر وعلى صفتته مثل الشام وافريقية والمغرب والانديلس واوعز الخليفة عبد الملك الى حسان بن النعمان عامل افريقية باتخاذ دار صناعة بتونس لانشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية ايام زيادة الله الاول بن ابراهيم بن الاغلب على يد اسد بن الفرات شيخ الفتيا وفتح قوصرة ايضا فى ايامه بعد ان كان معاوية ابن خديج اغزى صقلية ابام معاوية بن ابنى سفيان فلم يفتح الله على يده وفتحت على يد ابن الاغلب وقايدة اسد بن الفرات وكانت من بعد ذلك

(1) Man. C. تقررت.

اساطيل افريقية والانديلس في دولة العبيديين والامويين تتعاقب الى بلادهما في سبيل الفتنة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى اسطول الانديلس الى ايام عبد الرحمن الناصر الى مايتى مركب او نحوها واسطول افريقية كذلك نحوه او قريبا منه (وكان) قايد الاساطيل بالانديلس ابن رماحس ومرفاها للحط والاقلاع بجاية والمريّة وكانت اساطيلها مجتمعة من سائر الممالك من كل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ورأس يدبر امر جريته بالريح او بالمجادف وامر ارسايه في مرفائه فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتل او غرض سلطاني مهم عسكرت بمرفاها المعلوم وشحنها السلطان برجاله وانجاد عساكرا ومواليه وجعلهم لنظر امير واحد من اعلا طبقات اهل مملكته يرجعون كلهم اليه ثم يسرحهم لوجهتهم ويتنظر اياهم بالفتح والغنيمه وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للامم النصرانية قبل باساطيلهم في شئ من جوانبه وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقة ومنرقة ويابسة وسردانية وصقلية .

وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والفرنج
 وكان ابو القاسم الشيعي وابناؤه يغزون اساطيلهم من المهديّة
 جزيرة جنوة فنقلب بالظفر والغنيمّة (وافتح) مجاهد العامري
 صاحب دانية من ملوك الطوائف جزيرة سردانية في
 اساطيله سنة خمس واربعماية وارتجعها النصارى لوقيتها
 والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على الاكثر
 من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم فيه
 جائية وذاهبة والعساكر الاسلاميّة تجيز البحر في الاساطيل
 من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشماليّة
 فتوقع بهلوك الفرنج وتشنخ في ممالكهم كما وقع في
 ايام بنى ابي الحسين ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة
 العبيديين وانحازت امم النصرانية باساطيلهم الى الجانب
 الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزائر
 الرومانية لا يعدونها واساطيل المسلمين قد ضربت عليهم
 ضراء الاسد بفريسته وقد ملات الاكثر من بسيط هذا البحر
 عدّة وعديدا واختلفت في طرقه سلما وحربا فلم تسبح النصرانية
 فيه الواح حتى اذا ادرك الدولة العبيديّة والاموية الفشل
 والوهن وطرقها الاعتلال مدّ النصارى ايديهم الى جزائر البحر
 الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة فملكوها ثم الحوا على
 سواحل الشام في تلك الفترة وملكوا طرابلس وعسقلان

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وصور وعكا واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام وغلبوا على بيت المقدس وبنوا عليها كنيسة ل يظهر دينهم وعبادتهم وغلبوا بنى خزرون على طرابلس ثم على قابس وصفاقس ووضعوا عليهم الجزى ثم ملكوا المهديّة مقرّ ملك العبيديّين من يد اعقاب بلكين بن زبرى وكانت لهم فى الماية الخامسة الكرة بهذا البحر وضعف شأن الاساطيل فى دولة مصر والشام الى ان انقطع ولم يغنوا بشىء من امره لهذا العهد بعد ان كان لهم به فى الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحدّ كما هو معروف فى اخبارهم فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربى من هذا البحر لذلك العهد موفور الاساطيل ثابت القوة لم يتخيفه عدوّ ولا كانت لهم به كره فكان قايد الاسطول لعهد لمتونة بنو ميمون روساء جزيرة قادس ومن ايديهم اخذها عبد الهمون بتسليمهم وطاعتهم وانتهى عدد اساطيلهم الى الماية من بلاد العدوتين جميعا ولما استفحلت دولة اليهودين فى الماية السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قايد اساطيلهم احمد الصقلى اصله من صدغيان الوطنيين (1) بجزيرة جربة من سدويكش (2) اسره النصارى من

(1) Man. D. الموطيين.

(2) Man. C. سدويكش. D. سدويكس.

سواحلها وربى عندهم واستخلصه صاحب صقلية واستكفاه
ثم هلك وولى ابنه فاسخه ببعض النزعات وخشى على
نفسه فاحق بتونس ونزل على السيد بها من بنى عبد
المومن واجاز الى مراكش فتلقاء الخليفة يوسف القسرى بن
عبد المومن بالهبة والكرامة واجزل له الصلة وقلده امر اساطيله
فجلى فى جهاد اسم النصرانية وكانت له آثار ومقامات
مذكورة فى دولة الموحدين وانتهت اساطيل المسلمين على
عهده فى الكثرة والاستجادة ما لم تبلغه من قبل ولا من بعد
فيما عهدناه (ولما) قام صلاح الدين يوسف بن ايوب ملك
مصر والشام لعهدده باسترجاع ثغور الشام من يد الامم النصرانية
وتطهير بيت المقدس من رجس الكفر وبنائه تتابعت
اساطيلهم الكفرية بالمدد لتلك الثغور من كل ناحية قريبة
لبيت المقدس الذى كانوا قد استولوا عليه فامدوهم بالعدد
والاقوات ولم تقاومهم اساطيل الاسكندرية لاستمرار الغلب لهم
فى ذلك الجانب الشرقى من البحر وتعدد اساطيلهم
فيه وضعف المسلمين منذ زمان طويل عن ممانعتهم هنالك
كما اشرنا اليه قبل فاوفد صلاح الدين على يعقوب المنصور
سلطان المغرب لعهدده من الموحدين رسوله عبد الكريم بن
منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر وكان ملكها من
ايديهم وابقى عليهم فى دولته فبعث عبد الكريم هذا منهم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الى ملك المغرب طالبا مدد الاساطيل لتحول في البحر بين اساطيل الكفرة وبين مرادهم من امداد النصرانية بتغور الشام واصحبه كتابه اليه في ذلك من انشاء الفاضل البيساني يقول في افتتاحه فتح الله لحضرة سيدنا ابواب المناجح والميامن حسبما نقله العماد الاصبهاني في كتاب الفتح القدسي فنقم عليهم المنصور تجافيتهم عن خطابه بامير المؤمنين واسرها في نفسه وحملهم على مناهج البر والكرامة وردهم الى مرسلهم ولم يجبه الى حاجته من ذلك وفي هذا اختصاص ملك المغرب بالاساطيل وما حصل للنصرانية في الجانب الشرقي من هذا البحر من الاستطالة وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد وما بعده بشأن الاساطيل البحرية والاستعداد منها للدول ولما هلك يعقوب المنصور واعتلت دولة الموحدين واستولت امم الجلالقة على الاكثر من بلاد الاندلس والجوا المسلمين الى سيف البحر وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ويحكم في بسط هذا البحر واشتدت شوكتهم وكثرت فيه اساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه الى المساواة معهم كما وقع لعهد السلطان ابي الحسن ملك زناتة بالمغرب فان اساطيله كانت عند مرامه الجهاد في مثل عدة النصرانية وعديدهم ثم تراجعت عن ذلك قوة

المسلمين في الاساطيل لضعف الدول ونسيان عوائد البحر
بكثرة العوايد البدوثة بالمغرب وانقطاع العوائد الاندلسية ورجع
النصارى فيه الى دينهم المعروف من الدرنة فيه والمهران
عليه والبصر باحواله وغلب الاسم في لجه وعلى اعواده وصار
المسلمون فيه كالأجانب الا قليلا من اهل البلاد الساحلية
لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الانصار والاعوان او قوة
من الدول تستجيش لهم اعوانا وتوضح لهم في هذا الغرض
مسلكا وبقيت الرتبة لهذا العهد في الدول المغربية محفوظة
والرسم في معاناة الاساطيل بالانشاء والركوب معهودا لما
عساه تدعو اليه الحاجة من الاغراض السلطانية في البلاد
البحرية والمسلمون يستهبون الريح على الكفر واهله فمن
المشتهر بين اهل المغرب عن كتب الحدثن انه لا بد
للمسلمين من الكرة على النصرانية وافتتاح ما وراء البحر
من بلاد الافرنجة وان ذلك يكون في الاساطيل والله ولي
المؤمنين

فصل في التفاوت بين مراتب السيف والقلم
في الدول

اعلم ان السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين
بها على امره الا ان الحاجة الى السيف في اول الدولة ما

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

دام اهلها في تمهيد امرهم اشد من الحاجة الى القلم اذ القلم في تلك الحال خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيوف شريك في المعونة وكذلك في آخر الدولة حيث تضعف عصبيتها كما ذكرناه ويقل اهلها بها ينالهم من الهم الذي قدمناه فتحتاج الدولة الى الاستظهار بآرباب السيوف ويقوى الحاجة اليهم في حماية الدولة والمدافعة عنها كما كان الشأن اول الامر في تمهيدها فتكون للسيوف مزية في الحالتين على القلم ويكون آرباب السيوف حينئذ اوسع جاها واكثر نعمة واسنى اقطاعا واما في وسط الدولة فيستغنى صاحبها بعض الشيء عن السيوف لانه قد تمهد امره ولم يبق همه الا في تحصيل ثمرات الملك من الجباية والضبط ومباهاة الدول وتنفيذ الاحكام والقلم هو المعين له في ذلك فتعظم الحاجة الى تصريفه وتكون السيوف مهملة في مضاجع غمودها الا اذا نابت نائبة او دعيت الى سد فرجة وما سوى ذلك فلا حاجة اليها فيكون آرباب الاقلام في هذه الحالة اوسع جاها واعلى رتبة واعظم نعمة وثروة واقرب من السلطان مجلسا واكثر اليه ترددا وفي خلواته نجيا لانه حينئذ آلة التي بها يستظهر على تحصيل ثمرات ملكه والنظر في اعطافه وتثقيف اطرافه والمباهاة باحواله ويكون الوزراء حينئذ واهل السيوف مستغنى عنهم مبعدين عن ناظر السلطان

حذرين على انفسهم من بوادره وفي معنى ذلك ما كتب
به ابو مسلم للمنصور حين امره بالقدوم اما بعد فانه مما
حفظناه من وصايا الفرس اخوف ما يكون الوزراء اذا سكنت
الدهماء سنة الله في عباده

فصل في اشارات الهلك والسلطان الخاصة به

اعلم ان للسلطان اشارات واحوالا تقتضيها الالبهة والبذخ
فيختص بها ويتييز بانتحالمها عن الرعية والبطانة وسائر
الروساء في دولة فنذكر ما هو مشتهر منها بمبلغ المعرفة
وفوق كل ذي علم عليم (آلة) فمن اشارات الهلك اتخاذ
آلة من نشر الالوية والرايات وقرع الطبول والنفخ في الابواق
والقرون وقد ذكرنا ارسطو في الكتاب المنسوب اليه في
السياسة ان السر في ذلك ارهاب العدو في الحرب فان
الاصوات الهائلة لها تأثير في النفوس بالروعة ولعمري انه امر
وجداني في مواطن الحروب يجده كل احد من نفسه
وهذا السبب الذي ذكره ارسطو ان كان ذكره فهو صحيح
ببعض الاعتبارات واما الحق في ذلك فهو ان النفس عند
سماع النغم او الاصوات يدركها الفرح والطرب بلا شك
فيصيب مزاج الروح نشوة يستسهل بها الصعب ويستमित
في ذلك الوجه الذي هو فيه وهذا موجود حتى في

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الحيوانات العجم فانفعال الابل بالحداء والخيل بالصفير والصريخ كما علمت ويزيد ذلك تأكيدا اذا كانت الاصوات متناسبة كما في الغنا وانت تعلم ما يحدث لسامعه من مثل هذا المعنى ولاجل ذلك يتخذ العجم في مواطن حروبهم آلات الموسيقى لا طبلا ولا بوقا فيحرق المغنون بالسلطان في موكبه بالآلهم ويغنون فيحركون نفوس الشجعان بطربهم الى الاستماتة ولقد رأينا في حروب العرب المنشد يتغنى امام الموكب بالشعر ويطرب فتجيش همم الابطال بما فيها ويسارعون الى محال الحروب وينبعث كل قرن الى قرنه وكذلك زناة من امم المغرب يتقدم الشاعر عندهم امام الصفوف ويتغنى فيحرك بغناؤه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة من لا يظن بها ويسمون ذلك الغناء تازصواكايت (1) واصله كله فرح يحدث في النفس فتنبعث عنه الشجاعة كما تنبعث عن نشوة الخمر بما حدث عنها من الفرح والله اعلم (واما تكثير الرايات) وتلوينها واطالتها فالقصد به التهويل لا اكثر وربما يحدث في النفوس من التهويل زيادة في الاقدام واحوال النفوس وتلوناتها غريبة والله الخلاق العليم (ثم) ان الهلوك والدول يختلفون في اتخاذ هذه الشارات فمن اكثر ومقلل بحسب اتساع الدولة

(1) Man. C. فارصواكايت.

وعظمها (فاما) الرايات فانها شعار الحروب مذ عهد الخليفة
ولم تنزل الامم تعقدها في مواطن الحروب والغزوات ولعهد
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده من الخلفاء (واما قرع
الطبول) والنفخ في الابواق فكان المسلمون لاول الملة
متجافين عنه تنزها عن غلظة الهلك ورفضا لاحواله واحتقارا
لابهته التي ليست من الحق في شئ حتى اذا انقلبت
الخلافة ملكا وتبجحوا زهرة الدنيا ونعيمها ولا بسهم الموالي
من الفرس والروم اهل الدول السالفة واروهم ما كان اولئك
يستحلونه من مذاهب البذخ والترف فكان مما استحسنوه
اتخاذ الآلة فاتخذوها واذنوا لعمالهم في اتخاذها تنويها
بالمك واهله فكثيرا ما كان العامل صاحب الثغراو قائد
الجيش يعقد له الخليفة من العباسيين او العبيديين لواء
ويخرج الى بعته او عمله من دار الخليفة او داره في موكب
من اصحاب الرايات والآلة فلا تميز بين موكب العامل
والخليفة الا بكثرة الالوية او قلتها او بما اختص به الخليفة
من الالوان لرايته كالسواد في رايات بنى العباس فان
راياتهم كانت سودا حزنا على شهدائهم من بنى هاشم ونعيا
على بنى امية في قتلهم ولذلك سمو المسودة (ولما)
افترق امر الهاشميين وخرج الطالبيون على العباسيين في
كل جهة وعصر ذهبوا الى مخالفتهم في ذلك فاتخذوا

الرايات بيضا وسموا المبيضة لذلك سائر أيام العبيديين
ومن خرج من الطالبين في ذلك العهد بالمشرق كالداغى
بطبرستان وداعى صعدة او من دعى الى بدعة الرافضة من
غيرهم كالقرامطة (ولها) نزع المامون عن لبس السواد وشعاره
فى دولته عدل الى لون الخضرة فجعل راياته خضرا واما
الاستكثار منها فلا ينتهى الى حدّ وقد كانت آلة العبيديين
لما خرج العزيز نزار الى فتح الشام خمسمائة من البنود
وخمسمائة من الابواق (واما) ملوك البربر بالمغرب من
صنهاجة وغيرهم فلم يختصوا بلون واحد بل وشعوا بالذهب
واتخذوها من الحرير الخالص ملونة واستهروا على الاذن فيها
لعمالهم حتى اذا جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم من
زناتة فقصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان وحظروها
على من سواه من عماله وجعلوها موكبا خاصا يتبع اثر
السلطان فى مسيره يسمى الساقة وهم فيه بين مكثر
ومقلل باختلاف مذاهب الدول فى ذلك فمنهم من يقتصر
على سبع من العدد تبركا بالسبعة كما هو فى دولة الموحدين
وبنى الاحمر بالاندلس ومنهم من يبلغ العشرة والعشرين
كما هو عند زناتة وقد بلغت ايام السلطان ابي الحسن فيما
ادر كناه مائة من الطبول ومائة من البنود ملونة بالحرير
منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير وياذنون للولاة والعمال

والقواد في اتخاذ راية واحدة صغيرة من الكتان بيضاء وطبل صغير ايام الحرب لا يتجاوزون ذلك (واما) دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيستخذون اولا راية واحدة عظيمة وفي راسها خصلة كبيرة من الشعر ويسمونها الجاليس (1) والحجر ومع العسكر على عيومه ثم على راس السلطان راية اخرى تسمى العصابة والشطفة وهي شعار السلطان عندهم ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهو الراية بلسانهم واما الطبول فيبالغون في الاستكثار منها ويسمونها الكوسات ويسبحون لكل امير او قائد عسكر ان يتخذ من ذلك ما شاء الا العصابة فانه خاص بالسلطان (واما) الجلالقة لهذا العهد من امم الافرنجة بالاندلس فاكثر شأنهم اتخاذ الالوية القليلة ذاهبة في الجو صعدا ومعها قرع الاوتار من الطنابير ونفخ الغيطات يذهبون فيها مذهب الغناء وطريقه في مواطن حروبهم هكذا بلغنا عنهم وعمن وراهم من ملوك العجم وفي خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم ايات للعالمين (السرير) واما السرير والمنبر والتخت والكرسى وهو اعواد منصوبة او ارائك منضدة لجلوس السلطان عليها مرتفعا عن اهل مجلسه ان يساويهم في الصعيد (2) ولم يزل ذلك من سنن الملك قبل الاسلام وفي دول العجم

(1) Man. C. et D. الشالش. Man. B. الجاليس. (2) Man. A. et B. الصعد.

وقد كانوا يجلسون على أسرة الذهب (وكان) لسليمان بن داود صلوات الله وسلامه عليه سرير من عاج مغشى بالذهب الا انه لا تاخذ به الدول الا بعد الاستفحال والترف شأن الابته كلها كما قلناه واما في اول الدولة عند البداوة فلا يتشوفون اليه (واول) من اتخذه في الاسلام معاوية واستاذن الناس فيه وقال لهم اني قد بدنت فاذنوا له فاتخذه واتبعه الملوك الاسلاميون فيه وصار من منازع الابته ولقد كان عمرو بن العاص بمصر يجلس في قصره على الارض مع العرب ويأتيه المقوقس الى قصره ومعه سرير من الذهب محمول على الايدي لجلوسه شأن الملوك فيجلس عليه وهم امامه ولا يغيرون عليه وفاء له بما اعتقد معهم من الذمة واطراحا لابته الملك (ثم) كان بعد ذلك لبني العباس والعبديين وسائر ملوك الاسلام شرقا وغربا من الاسرة والمنابر والتخوت ما عفا عن الاكاسرة والقياصرة والله مقلب الليل والنهار (السكة) وهي الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد تنقش فيه صور او كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدنانير او الدراهم فيخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة بعد ان يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد اخرى وبعد تقدير اشخاص الدنانير والدراهم بوزن معين

يصطاح عليه فيكون التعامل بها عددا وان تقدر اشخاصها
 يكون التعامل بها وزنا ولفظ السكة كان اسما للطابع وهي
 الحديدية المتخذة لذلك ثم نقل الى اثرها وهي النقوش
 المائلة على الدنانير والدراهم ثم نقل الى القيام على ذلك
 والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة فصار علما
 عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك اذ بها
 يتميز الخالص من البهرج بين الناس في النقود عند
 المعاملات ويثقون في سلامتها من الغش بختم السلطان
 عليها بتلك النقوش المعروفة (وكان) ملوك العجم يتخذونها
 وينقشون فيها تماثيل تكون مخصوصة بها مثل تمثال
 السلطان لعهدا او تمثال حصن او حيوان او مصنوع او غير
 ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم الى آخر امرهم (ولها)
 جاء الاسلام اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة العرب
 وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزنا وكانت دنانير الفرس
 ودراهمهم بين ايديهم يردونها في معاملتهم الى الوزن
 ويتصارفون بها بينهم الى ان تفاحش الغش في الدنانير
 والدراهم لغلة الدولة عن ذلك وامر عبد الملك الحجاج على
 ما نقل سعيد بن المسيب وابو الزناد ف ضرب الدراهم وميز
 المغشوش من الخالص وذلك سنة اربع وسبعين وقال
 المدائني سنة خمس وسبعين ثم امر بضربها في سائر

النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله احد الله الصمد
(ثم) ولي ابن هبيرة العراق ايام يزيد بن عبد الملك
فجود السكة ثم بالغ خالد القسري في نجويدها ثم يوسف
بن عمر بعده وقيل اول من ضرب الدنانير والدرهم مصعب
بن الزبير في العراق سنة سبعين بامر اخيه عبد الله لما
ولى بالحجاز وكتب عليها في احد الوجهين بركة وفي
الاخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة وكتب عليها
باسم الله الحجاج وقدروا وزنها على ما كانت استقرت ايام
عمر وذلك ان الدرهم كان وزنه في اول الاسلام ستة دوانيق
والمثقال وزنه درهم وثلاثة اسباع الدرهم فيكون عشرة دراهم
بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك ان اوزان الدراهم
ايام الفرس كانت مختلفة وكان منها على وزن المثقال
عشرون قيراطا ومنها اثنا عشر ومنها عشرة فلما احتيج الى
تقديره في الزكاة اخذ الوسط من الثلاثة وذلك اربعة
عشر قيراطا فكان المثقال درهما وثلاثة اسباع درهم وقيل ان
الدراهم كان منها البغلي بثمانية دوانق والطبري اربعة دوانق
والمغربى ثلاثة دوانق واليمنى دائق فامر عمر رضى الله عنه
ان ينظر الاغلب في التعامل فكان البغلي والطبري وهما
اثنا عشر دائقا فكان الدرهم ستة دوانق وان زدت ثلاثة
اسباعه كان مثقالا واذا نقصت ثلاثة اعشار المثقال كان درهما

فلما رأى عبد الملك اتخاذ السكة لصيانة النقدين
 الجاريين في معاملة المسلمين عن الغش فعين مقدارها
 على هذا الذي استقر لعهد عمر رضى الله عنه واتخذ طابع
 الحديد ونقش فيه كلمات لا صوراً لان العرب كان الكلام
 والبلاغة اقرب مناحيهم واطهرها مع ان الشرع ينهى عن
 الصور فلما فعل ذلك استمر بين الناس الى ايام الملة كلها
 وكان الدينار والدرهم على شكلين مدورين والكتابة عليهما في
 دوائر متوازية يكتب فيها من احد الوجهين اسماء الله تهليلة
 وتحميدا وصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وسلم وفى
 الوجه الثانى التاريخ واسم الخليفة هكذا ايام العباسيين
 والعباسيين والامويين واما صنهاجة فلم يتخذوا سكة
 الا آخر الامر اتخذها المنصور صاحب بجاية ذكر ذلك ابن
 حماد فى تاريخه ولما جاءت دولة الموحدين كان مما سن
 لهم المهدي اتخاذ سكة الدراهم مربع الشكل وان يرسم
 فى دائرة الدينار شكل مربع فى وسطه ويملاء من احد
 الجانبين تهليلة وتحميدا ومن الجانب الاخر كتب فى
 السطور باسمه واسم الخلفاء من بعده ففعل ذلك الموحدون
 وكانت سكتهم على هذا الشكل لهذا العهد وقد كان المهدي
 فيما نقل ينعت قبل ظهوره بصاحب الدرهم المربع نعته
 بذلك المتكلمون بالحدثان من قبله المخبرون فى ملاحظتهم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عن دولته (واما) اهل المشرق لهذا العهد فسكتهم غير مقدرة
وانما يتعاملون بالدنانير والدرهم وزنا بالصنجات المقدرة بعدة
منها ويطبعون عليها بالسكة نقوش الكلمات بالتهليل والصلاة
واسم السلطان كما يفعله اهل المغرب ذلك تقدير العزيز
العليم (تنبيه) ولنختم الكلام في السكة بذكر حقيقة الدرهم
والدينار الشرعيين وبيان مقدارهما وذلك ان الدرهم والدينار
مختلفا السكة في المقادير والموازين بالآفاق والامصار وسائر
الاعمال والشرع قد تعرض لذكرها وعلق كثيرا من الاحكام
بها في الزكاة والانكحة والحدود وغيرها فلا بد لها عنده
من حقيقة ومقدار يتعين في تقديره وارادته وتجرى عليهما
احكام دون غير الشرعي منهما فاعلم ان الاجماع منعقد
منذ صدر الاسلام وعهد الصحابة والتابعين ان الدرهم الشرعي
هو الذي يزن العشرة منه سبعة مثاقيل من الذهب والواقية
منه اربعين درهما وهو على هذا سبعة اعشار الدينار ووزن
المثقال من الذهب الخالص ثنتان وسبعون حبة من الشعير
الوسط فالدرهم الذي هو سبعة اعشار خمسون حبة وخمسا
حبة وهذه المقادير كلها ثابتة بالاجماع فان الدرهم الجاهلي
كان بينهم على انواع اجودها الطبرى وهو ثمانية دوانق
والبغلي وهو اربعة دوانق فجعلوا الشرعي بينهما ستة دوانق
وكانوا بها يوجبون الزكاة فى مائة درهم بغلية ومائة طبرية

خمسة دراهم وسطا وقد اختلف الناس هل كان ذلك من
 وضع عبد الملك واجماع الناس بعده عليه كما نقلناه ذكر
 ذلك الخطابى فى كتاب معالم السنن والماوردى فى
 كتاب الاحكام السلطانية وانكره المحققون من المتأخرين
 لما يلزم منه ان يكون الدرهم والدينار الشرعيان مجهولين
 فى عصر الصحابة ومن بعدهم مع تعلق الحقوق الشرعية
 بهما فى الزكاة والانكحة والحدود وغيرها كما ذكرناه والحق
 انهما كانا معلومى المقدار فى ذلك العصر يجريان الاحكام
 يومئذ بها يتعلق بهما من الحقوق وكان مقدارهما غير مشخص
 فى الخارج وان كان متعارفا بينهم بالحكم الشرعى المتقرر
 فى مقدارهما ووزنهما حتى استفحلت الدولة الاسلامية وعظمت
 احوالها ودعى الحال الى تشخيصهما فى المقدار والوزن كما
 هو عند الشرع ليستريحوا من كلفة النقدين وقارن ذلك ايام
 عبد الملك فشرح مقدارهما وعينهما فى الخارج كما هو
 فى الذهب ونقش عليها السكة باسمه وتاريخه اثر الشهادتين
 الايمانيتين وطرح النقود الجاهلية رأسا حتى خلصت ونقشت
 عليها سكتته وتلاشى وجودها وهذا هو الحق الذى لا محيد عنه
 ثم بعد ذلك وقع اختيار اهل السكة فى الدولة على
 مخالفة المقدار الشرعى فى الدينار والدرهم واختلفت فى
 ذلك الاقطار والآفاق ورجع الناس الى تصور مقاديرهما

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الشرعية ذهنا كما كان في الصدر الاول وصار اهل كل افق يستخرجون الحقوق الشرعية من سكتهم بمعرفة النسبة التي بينها وبين مقاديرها الشرعية (واما) وزن الدينار بشنتين وسبعين حبة من الشعير الوسط فهو الذي نقله المحققون وعليه الاجماع الا ابن حزم خالف ذلك وزعم انه اربعة وثمانون حبة نقل ذلك عنه القاضي عبد الحق وردة المحققون وعدوه وهما او غلطا وهو الصحيح والله يحق الحق بكلماته وكذلك تعلم ان الاوقية الشرعية ليست هي المتعارفة بين الناس لان المتعارفة مختلفة باختلاف الاقطار والشرعية متحدة ذهنا لا خلاف فيها والله خلق كل شئ فقدره تقديرا (الخاتم) واما الخاتم فهو من الخطط السلطانية والوظائف الملوكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر ف قيل له ان العجم لا يقبلون كتابا الا ان يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله قال البخاري جعل الثلاث كلمات في ثلاثة اسطر وختم به وقال لا ينقش احد مثله وقال وتختّم به ابو بكر وعمر وعثمان ثم سقط من يد عثمان في بئر اريس وكانت كثيرة الماء فلم يدرك قعرها بعد واغتم لذلك عثمان وتطيّر منه وصنع

اخر على مثاله وفي كيفية نقش ذلك الخاتم والختم به
 وجوه وذلك ان الخاتم يطلق على الآلة التي تجعل في
 الاصبع ومنه تختتم اذا لبسه ويطلق على النهاية والتمام ومنه
 ختمت الامر بلغت آخره وختمت القران كذلك ومنه
 خاتم النبيين وخاتمة الامر ويطلق على السداد الذي تسد
 به الاواني والدنان ويقال فيه ختام ومنه قوله تعالى ختامه
 مسك وقد غلط من فسّر هذا بالنهاية والتمام قال لان آخر
 ما يجدونه في شرابهم ريح المسك وليس المعنى عليه
 وانما هو من الختام الذي هو السداد لان الخمر يجعل لها
 في الدن سداد الطين او القار يحفظها ويطيب عرفها وذوقها
 فيبلغ في وصف خمر الجنة بان سدادها من المسك وهو
 اطيب عرفا وذوقا من الطين والقار المعهودين في الدنيا
 فاذا صح اطلاق الخاتم على هذه كلها صح اطلاقه على
 اثرها الناشئ عنها وذلك ان الخاتم اذا نقشت فيه كلمات
 او اشكال ثم غمس في مضاف من طين او مداد ووضع على
 صفح القرطاس بقي اثر الكلمات في ذلك الصفح
 وكذلك اذا طبع به على جسم لين كالشعخ فانما يبقى
 نقش ذلك المكتوب مرتسما فيه واذا كانت كلمات وارتسمت
 فقد تقرا من الجهة اليسرى ان كان النقش على الاستقامة من
 اليمنى وقد تقرا من الجهة اليمنى ان كان النقش من

الجهة اليسرى لان الختم يقلب جهة الخط في الصفح عما
كان في النقش من يمين او يسار فيحتمل ان يكون
الختم بهذا الخاتم بغمسه في المداد والطين ووضعها على
الصفح فتنتقش الكلمات فيه ويكون هذا في معنى
النهاية والتمام بمعنى صحة ذلك المكتوب ونفوذه كان
الكتاب انما يتم العمل به بهذه العلامة وهو من دونها ملغى
ليس بتام وقد يكون هذا الختم بالخط آخر الكتاب او اوله
بكلمات منتظمة من تحميد او تسبيح باسم السلطان او
الامير او صاحب الكتاب من كان او شئ من نعوته يكون
ذلك الخط علامة على صحة الكتاب ونفوذه ويسمى
ذلك في المتعارف علامة ويسمى خاتما تشبيها له باثر
الخاتم الاصبعى في النقش ومن هذا خاتم القاضي الذى
يبعث به للخصوم اى علامته وخطه التى ينفذ بها احكامه
ومنه خاتم السلطان او الخليفة اى علامته قال الرشيد
ليحيى بن خالد لما اراد ان يستوزر جعفر او يستبدل به من
الفضل اخيه فقال لابيها يحيى يا ابت ائتى اردت ان
احول الخاتم من يمينى الى شمالى فكنى له بالخاتم عن
الوزارة لما كانت العلامة على الرسائل والصكوك من وظائف
الوزارة لعهدهم ويشهد بصحة هذا الاطلاق ما نقله الطبرى
ان معاوية ارسل الى الحسن عند مراوضته اياه فى الصلاح

صحيفة بيضاء ختم على اسفلها وكتب اليه ان اشترط في
 هذه الصحيفة التي ختمت اسفلها ما شئت فهو لك
 ومعنى الختم هنا علامة في آخر الصحيفة بخط او غيره
 ويحتمل ان يختم به في جسم لئين فتنتقش فيه حروفه
 ويجعل على موضع الخزم من الكتاب اذا خزم وعلى
 المودعات وهو من السداد كما مر وهي في الوجهين آثار
 للخاتم فيطلق عليه خاتم و اول من احدث الختم على
 الكتب اى العلامة معاوية لانه امر لعمر بن الزبير عند زياد
 فى الكوفة بهاية الف ففتح الكتاب وصيرت المائة مائتين
 ورفع زياد حسابه فانكرها معاوية وطلب بها عمرا وحبسها
 حتى قضاها عند اخوه عبد الله واتخذ معاوية عند ذلك
 ديوان الخاتم ذكره الطبرى وقال اخره وخزم الكتب ولم
 تكن تخزم اى جعل لها السداد وديوان الخاتم عبارة عن
 الكتاب القائمين على انفاذ كتب السلطان والختم عليها اما
 بالعلامة او بالخزم وقد يطلق الديوان على مكان جلوس
 هولاء الكتاب كما ذكرناه فى ديوان الاعمال والخزم للكتب
 يكون اما بدسر الورق كما فى عرف كتاب المغرب
 واما بلصق راس الصحيفة على ما تنطوى عليه من الكتاب
 كما فى عرف اهل المشرق وقد يجعل مكان الدسر او
 اللصاق علامة يؤمن معها من فتحه والاطلاع على ما فيه

فاهل المغرب يجعلون على الدرر قطعة من الشمع يختتمون
عليها بخاتم نقشت فيه علامة لذلك فيرتسم النقش في
الشمع وكان في المشرق في الدولة القديمة يختتم على مكان
الصلق بخاتم منقوش ايضا قد غمس في مذاق من الطين
معد لذلك صبغه احمر فيرتسم ذلك النقش عليه وكان
هذا الطين معروفا في الدولة العباسية بطين الختم وكان
يجلب من سيراف فيظهر انه مخصوص بها فهذا الخاتم
الذي هو العلامة المكتوبة او النقش للسداد او الخزم على
الكتب خاص بديوان الرسائل وكان ذلك للوزير في الدولة
العباسية ثم اختلف العرف وصار لمن اليه الترسيل وديوان
الكتاب في الدول ثم صاروا في دول المغرب يعدون من
علامات الملك وشاراته الخاتم للاصبع فيستجيدون صوغه
من الذهب ويرصعونه بالفصوص من الياقوت والفيروزج
والزمرد ويلبسه السلطان شارة في عرفهم كما كانت البردة
والقضيبي في الدولة العباسية والهيظة في الدولة العبيدية
والله مصرف الامور بحكمته (الطراز) ومن آتية الملك
والسلطان ومذاهب الدول ان ترسم اسماءهم او علامات
تختص بهم في طرز اتوابهم المعدة للباسهم من الحرير او
الديباج او الابرسم تعتبر كتابة خطها في نسج الثوب
الحاميا وسدوا بخيط الذهب او يخالف لون الثوب من

الخياط الملوّنة من غير الذهب على ما يحكمه الصنّاع في تقدير ذلك ووضعه في صناعة نسجهم فتصير الثياب الملوكية معلّمة بذلك الطراز قصدا للتشويه بلا بسما من السلطان فمن دونه او التشويه بمن يختصه السلطان بملبوسه اذا قصد تشريفه بذلك او ولايته لوظيفة من وظائف دولته وكان ملوك العجم قبل الاسلام يجعلون ذلك الطراز بصور الملوك واشكالهم او اشكال وصور معينة لذلك ثم اعتاض ملوك الاسلام عن ذلك بكتب اسمائهم مع كلمات اخرى تجرى مجرى الفأل او السبجات وكان ذلك في الدولتين من انبه الامور وافخم الاحوال وكانت الدور المعدّة لنسج اتوابهم في قصورهم تسمى دور الطراز لذلك وكان القائم على النظر فيها يسمى صاحب الطراز ينظر في امور الصنّاع والآلة والحاكة فيها واجراء ارزاقهم وتسهيل الاتهم ومشاركة اعمالهم وكانوا يقلدون ذلك لخواص دولتهم وثقات مواليهم وكذلك كان الحال في دولة بنى امية بالاندلس والطوائف من بعدهم وفي دولة العبيديين بمصر ومن كان على عهدهم من ملوك العجم بالمشرق (ثم) لما ضاق نطاق الدول عن الترف والتفنن فيه بضيق نطاقها في الاستيلاء وتعددت الدول بطلت هذه الوظيفة والولاية عليها من اكثر الدول بالجملة (ولها) جاءت دولة الموحيدين

بالمغرب بعد بنى امية اول الماية السادسة فلم ياخذوا
بذلك اول دولتهم لما كانوا عليه من منازع الديانة
والسداجة التي لقتوها عن امامهم مجد بن تومرت المهدي
وكانوا يتورعون عن لبس الحرير والذهب فسقطت هذه
الوظيفة من دولتهم واستدرك منها اعقابهم آخر الدولة
طرفا لم يكن بتلك النباهة (واما) لهذا العهد فادركنا
بالمغرب فى الدولة المرينية لغفوانها وشموخها رسما جليلا
لقتوه من دولة ابن الاحمر معاصرهم بالاندلس واتبع هو فى
ذلك دول الطوائف فأتى منه بلمحة شاهدة بالآثر (واما)
دولة الترك بمصر والشام لهذا العهد ففيه من الطراز بحرز
اخر على مقدار ملكهم وعمران بلادهم الا ان ذلك لا يصنع
فى دورهم وقصورهم وليست من وظائف دولتهم وانما ينسج
ما تطلبه الدولة من ذلك عند صناعه من الحرير وممن
الذهب الخالص ويسمونه الزركش لفظة اعجمية ويرسم اسم
السلطان او الامير عليه وبعده الصانع لهم فيما يعدونه
للدولة من طرف الصناعة اللايقة بها والله مقدر الليل والنهار
وهو خير الوارثين لا اله غيره (الفساطيط والسياج) اعلم ان
من شارات الملك وترفه اتخاذ الاخبية والفساطيط والغازات
من ثياب الكتان والصوف والقطن يجدل الكتان والقطن
يباهى بها فى الاسفار وتنوع منها الالوان ما بين كبير

وصغير على نسبة الدولة في الثروة واليسار وإنما يكون الأمر
 في اول الدولة في بيوتهم التي جرت عاداتهم باتخاذها
 قبيل الملك وكان العرب لعهد الخلفاء الاولين من بنى
 امية انما يسكنون بيوتهم التي كانت لهم خياما من الوبر
 والصوف ولم تنزل العرب لذلك العهد بادين الا الاقل
 منهم فكانت اسفارهم لغزواتهم وحروبهم بطعونهم وسائ
 حللهم واحيائهم من الاهل والولدان كما هو شأن العرب
 لهذا العهد فكانت مساكرهم لذلك كثيرة الحلل بعيدة
 ما بين المنازل متفرقة الاحياء يغيب كل واحد منها عن
 نظر صاحبه من الاخرى كشأن العرب (ولذلك) ما كان
 عبد الملك يحتاج الى ساقه لحشر الناس على اثره ان
 يقيموا اذا ظعن (ونقل) انه استعمل في ذلك الحجاج حين
 اشار به روح بن زنباع وقصته في احراق فساطيط روح وخيامه
 لاول ولايته حين وجدهم مقيمين في يوم رحيل عبد الملك
 قصة مشهورة ومن هذه الولاية تعرف رتبة الحجاج بين العرب
 فانه لا يتولى اراذلهم على الظعن الا من يامن بوادر السفهاء
 من احيائهم بما له من العصبية الحائلة دون ذلك ولهذا
 اختصه عبد الملك بمثل هذه الرتبة ثقة بغناؤه فيها بعصبية
 وصرامته (فلما) تفتتت الدولة العربية في مذاهب الحضارة
 والبذخ ونزلوا المدن والامصار وانتقلوا من سكنى الخيام

PROLÉGOMÈNES
d'Ebû-Khaldoun.

الى سكنى القصور ومن ظهر الخقف الى ظهر الحافر اتخذوا
للسكنى فى اسفارهم ثياب الكتان يستعملون منها بيوتا
مختلفة الاشكال مقدرة الامثال من القور والمستطيلة والمربعة
ويختلفون فيها بابلغ مذاهب الاحتفال والزينة ويدير الامير او
القائد للعساكر على فساطيطه وفازانه من بينهم سياجا من
الكتان يسمى فى المغرب باللسان البربرى الذى هو لسان
اهله افراك بالكاف التى بين القاف والكاف
ويختص به السلطان بذلك القطر لا يكون لغيره واما فى
المشرق فيتخذها كل امير وان كان دون السلطان ثم جنحت
الدعة بالنساء والولدان الى المقام بقصورهم ومنازلهم فخفف
لذلك ظهرهم وتقارب السياج بين منازل العسكر
واجتمع الجيش والسلطان فى معسكر واحد يحصره البصر
فى بسيطه زهرا انيقا لاختلاف الوانه واستمر الحال على
ذلك فى مذاهب الدول فى بذخها وترفها وكذا كانت
دولة الموحدين وزناتة التى اظلتنا كان سفرهم اول امرهم
فى بيوت سكناهم قبل الهلك من الخيام والقياطن
حتى اذا اخذت الدولة فى مذاهب الترف وسكنى القصور
عادوا الى اتخاذ الاحبية والفساطيط وبلغوا من ذلك فوق
ما ارادوه وهو من الترف بمكان الا ان العساكر به تصير
عرضة للبيات لاجتماعهم فى مكان واحد تشملهم فيه

الصيحة ولخفتهم من اهل والولد الذي تكون الاستماتة
 دونهم فيحتاج في ذلك الى تحفظ اخر كما نذكره والله
 القوي العزيز

PROLÉGOMÈNES
 d'Ebn-Khaldoun.

المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وهما من الامور الخلافيّة ومن اشارات الملك الاسلامي ولم
 تعرف في غير دول الاسلام فاما البيت المقصورة لصلاة
 السلطان تتخذ سياجا على المحراب فتحوزه وما يليه فاول
 من اتخذها معاوية بن ابي سفيان حين طعنه الخارجي
 والقصة معروفة وقيل اول من اتخذها مروان بن الحكم
 حين طعنه اليهاني ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما وصارت
 سنة في تمييز السلطان عن الناس في الصلوة وهي انما
 تحدث عند حصول الترف في الدولة والاستفحال شأن
 احوال الابهة كلها وما زال الشأن ذلك في الدول الاسلاميّة
 كلها وعند افتراق الدولة العباسيّة وتعدّد الدول بالمشرق وكذا
 بالاندلس عند انقراض الدولة الامويّة وتعدّد ملوك الطوائف
 (واما المغرب) فكان بنو الاغلب يتخذونها بالقيروان ثم
 خلفاء العبيديين ثم ولانهم على المغرب من صنهاجة بنو
 باديس بالقيروان وبنو حماد بالقلعة (ثم) ملك الموحدون
 سائر المغرب والاندلس ومحو ذلك الرسم على طريقة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

البداءة التي كانت شعارهم ولما استفحلت الدولة واخذت بحظها من الترف وجاء يعقوب المنصور ثالث ملوكهم فاتخذ هذه المقصورة وبقيت من بعده سنة لملوك المغرب والاندلس وهكذا الشأن في سائر الدول سنة الله في عباده (واما الدعاء) على المنابر في الخطبة فكان الشأن اولا عند الخلفاء ولاية الصلاة بانفسهم فكانوا يدعون لذلك بعد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والرضاء عن اصحابه واول من اتخذ المنبر عمرو بن العاص لما بنى جامعه بمصر وكتب اليه عمر رضى الله عنه اما بعد انك اتخذت منبرا ترقى به على رقاب المسلمين او ما يكفيك ان تقوم قائما والمسلمون تحت عقبك فعزمت عليك لها كسرتة فلما حدثت الالبهة وحدث في الخلفاء المانع من الخطبة والصلاة واستنابوا فيهما فكان الخطيب يشيد بذكر الخليفة على المنبر تنويها باسمه ودعاء له بها جعل الله مصالحة العالم فيه وكان تلك الساعة مظنة للاجابة ولما ثبت عن السلف في قولهم من كانت له دعوة سالحة فليضعها في السلطان واول من دعا للخليفة في الخطبة ابن عباس دعا لعلى رضى الله عنهما في خطبته وهو بالبصرة عامل له عليها فقال اللهم انصر عليا الحق واتصل العمل على ذلك فيها بعد وكان الخليفة يفرد بذلك فلها جاء

الحجر والاستبداد صار المتغلبون على الدول كثيرا ما يشاركون
 الخليفة في ذلك ويشاد باسمهم عقب اسمه وذهب
 ذلك بذهاب تلك الدول وصار الامر الى اختصاص
 السلطان بالدعاء له على المنبر دون من سواه وحظر ان
 يشاركه فيه احد او يسهو اليه وكثيرا ما يغفل الهاهدون من
 اهل الدول هذا الرسم عند ما تكون في اسلوب الغضاضة
 ومناحي البداوة في التغافل والخشونة ويقنعون بالدعاء على
 الابهام والاجمال لمن ولي امور المسلمين ويسمون مثل هذه
 الخطبة اذا كانت على هذا المنحى عباسية يعنون بذلك
 ان الدعاء على الاجمال انما يتناول العباسي تقليدا في
 ذلك لما سلف من الامر ولا يحفلون بها وراء ذلك من
 تعيينه والتصريح باسمه يحكى ان يغمراسن بن ريان
 ماهد دولة بني عبد الواد لها غلبه الامير ابو زكريا يحيى بن
 ابي حفص على تلمسان ثم بدا له في اعادة الامر اليه على
 شروط شرطها كان فيها ذكر اسمه على منابر عمله فقال
 يغمراسن ذكر اعداهم يذكرون عليها من شاوا وكذلك
 يعقوب بن عبد الحق ماهد دولة بني مرين حضرة رسول
 المستنصر الخليفة بتونس من بني ابي حفص وثالث
 ملوكهم وتختلف بعض ايام عن الجمعة فقيل له لم يحضر
 هذا الرسول لخلو الخطبة من ذكر سلطان فاذن في

الدعاء له وكان ذلك سببا لاخذهم بدعوته وهكذا شأن
الدول في بدايتها وتمكنها في العضاضة والسداوة فاذا
انتبهت عيون سياستهم ونظروا في اعطاف ملكهم
واستتموا شياة الحضارة ومعاني البذخ والابته انتحلوا جميع
هذه السمات وتفتنوا فيها وتجاوزوا الى غايتها وانفوا من
المشاركة فيها وجزعوا من افتقادها وخلو دولتهم من آثارها
والعالم بستان والله على كل شىء رقيب

فصل فى الحروب ومذاهب الامم فى ترتيبها

اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تنزل واقعة فى الخليقة
منذ برأها الله واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض
ويتعصب لكل منهما اهل عصبية فاذا تدامروا لذلك
وتواقفت الطائفتان احديهما تطلب الانتقام والاخرى تدافع
كانت الحرب وهو امر طبيعى فى البشر لا تخلو عنه امة
ولا جيل وسبب هذا الانتقام فى الاكثر اما غيرة ومنافسة
واما عدوان واما غضبا لله ولدينه واما غضبا للملك
سعى فى وتمهيده فالاول اكثر ما يجرى بين القبائل
المتجاورة والعشائر المتناظرة والثانى وهو العدوان اكثر ما يكون
من الامم الوحشية الساكنين بالفقر كالعرب والترك
والتركمان والاكراد واشباههم لانهم جعلوا ارزاقهم فى

رماحهم ومعاشهم فيها بأيدي غيرهم ومن دافعهم عن متاعه
 آذنه بالحرب ولا بغية لهم فيها وراء ذلك من رتبة
 ولا ملك وانها همهم ونصب اعينهم غلب الناس على ما
 في ايديهم والثالث هو الهسبي في الشريعة بالجهاد والرابع
 هي حروب الدول مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها
 فهذه اربعة اصناف من الحروب الصنفان الاولان منها
 حروب بغى وفتنة والصنفان الاخران حروب جهاد وعدل
 (وصفة) الحروب الواقعة بين اهل الخليقة منذ اول وجودهم
 على نوعين نوع بالزحف ونوع بالكر والفر (واما) الذي
 بالزحف فهو قتال العجم كلهم على تعاقب اجيالهم واما
 الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من اهل المغرب
 وقتال الزحف اوثق واشد من قتال الكر والفر وذلك ان
 قتال الزحف ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح
 او صفوف الصلاة ويهشون بصفوفهم الى العدو قدما فذلك
 اثبت عند المصاع واصدق في القتال وارهب للعدو لانه
 كالحايط الممتد والقصر المشيد لا يطمع في ازالته وفي التنزيل
 ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان
 مرصوص اي يشد بعضهم بعضا بالثبات وفي الحديث المؤمن
 للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ومن هناك يظهر لك
 حكمة ايجاب الثبات وتحريم التولى في الزحف فان

PROLÉGOMÈNES
d'Ebu-Khaldoun.

المقصود بالصق في القتال حفظ النظام كما قلناه فمن ولي العدو ظهره فقد اخل بالوصاف وباء باثم الهزيمة كانه جرّها على المسلمين وامكن منهم عدوهم فعظم الذنب لعموم المفسدة وتعديها الى الدين بخرق سياجه فعد من الكبائر ويظهر من هذه الادلة ان قتال الزحف اثر عند الشارع واما قتال الكر والفر فليس فيه من الشدة والامن من الهزيمة ما في قتال الزحف الا انهم قد يتخذون وراءهم في القتال مصافا ثابتا ياجؤون اليه في الكر والفر ويقوم لهم مقام قتال الزحف كما نذكره بعد (ثم) ان الدول القديمة الكثيرة الجنود المتسعة الممالك كانوا يقسمون الجيوش والعساكر اقساما لانه لما كثرت جنودهم الكثرة البالغة وحشروا من قاصية النواحي استدعى ذلك ان يجهل بعضهم بعضا اذا اختلطوا في مجال الحرب واعتوروا مع عدوهم الطعن والضرب فيخشى من توقعهم فيما بينهم لاجل النكراء والجهل بعضهم ببعض فلذلك كانوا يقسمون العساكر جموعا وبضمتون المتعارفين بعضهم الى بعض ويرتبونها قريبا من الترتيب الطبيعي في الجهات الاربع ورئيس العساكر كلها من سلطان او قائد في القلب ويسمّون هذا الترتيب التعبئة وهو مذكور في اخبار فارس والروم والدولتين صدر الاسلام فيجعلون بين يدي الملك عسكريا منفردا بصفوفه متميِّزا بقائده ورايته

يسهونه المقدمة ثم عسكر اخر من ناحية اليمين عن موقف
الملك يسهونه اليمينه ثم عسكر اخر من ناحية الشمال
يسهونه الميسرة ثم اخر من وراء العسكر يسهونه الساقة ويقف
الملك واصحابه في الوسط بين هذه الاربع ويسهون موقفه
القلب فاذا تم لهم هذا الترتيب المحكم اما في مدًا واحد
للبر او على مسافة بعيدة اكشها اليوم واليومان بين كل
عسكرين منها او كيف ما اعطاه حال العساكر في القلّة
والكثرة فحينئذ يكون الزحف من بعد هذه التعبئة وانظر ذلك
في اخبار الفتوحات واخبار الدولتين وكيف كانت العساكر لعهد
عبد الملك يستخاف عن رحيله لبعده المدى في التعبئة
فاحتج الى من يسوقها من خلفه وعين لذلك الحجاج بن
يوسف كما اشرفنا اليه وكما هو معروف في اخباره وكان
في الدولة الاموية بالاندلس ايضا كثير منه وهو مجهول فيها
لدينا لانا انما ادركنا دولا قليلة العساكر لا تنتهي في مجال
الحرب الى التناكر بل اكثر الجيوش من الطائفتين معا
تجمعهم لدينا حلة او مدينة ويعرف كل منهم قرنه ويناديه
في حومة الحرب باسمه ولقبه فاستغنى عن تلك التعبئة
(فصل) ومن مذاهب اهل الكر والفر في الحروب ضرب
المصاف وراء عساكرهم من الجهادات والحيوانات العجم
فيتخذونها ما جاء للخيالة في كرههم وفرهم يطلبون به ثبات

المقاتلة ليكون ادوم للحرب واقرب الى الغلب وقد يفعله
اهل الزحف ايضا ليزيدهم ثباتا وشدة فقد كان الفرس وهم
اهل الزحف يتخذون الفيلة في الحروب ويحملون عليها
ابراجا من الخشب امثال الصروح مشحونة بالمقاتلة والسلاح
والرايات ويصفونها وراهم في حومة الحرب كانها الحصون
فتقوى بذلك نفوسهم ويزداد وثوقهم وانظر ما وقع من
ذلك في القادسية وان فارس في اليوم الثالث اشتدوا بهم
على المسلمين حتى اشتدت رجالات من العرب فخالطوها
ونفحوها بالسيوف على خراطيمها فنفرت ونكصت على
اعقابها الى مرابطها بالمداين فحق معسكر فارس لذلك
وانهزموا في اليوم الرابع (واما) الروم وملوك القوط بالاندلس
بل واكثر العجم فكانوا يتخذون لذلك الاسرة وينصبون
للملك سريرة في حومة الحرب ويحق به من خدمه وحاشيته
وجنوده من هو زعيم بالاستماتة دونه وترفع الرايات في
اركان السرير ويحدق به سياج اخر من الرماة والرجالة فيعظم
هيكل السرير ويصير فية للمقاتلة وماجاء للكر والفر وعمل
ذلك الفرس ايام القادسية وكان رستم جالسا فيها على سرير
نصبه لجلوسه حتى اختلت صفوف فارس وخالطه العرب
في سريرة ذلك فتحول عنه الى الفرة وقتل (واما) اهل
الكر والفر من العرب واكثر الامم البدوية الرحالة فيصفون

لذلك ابلهم والظهر الذي يحمل ظعائنهم فيكون فية لهمم
ويستونه المجبودة (I) وليس امة من الاسم الا وهى تفعل ذلك
فى حروبها وتراه اوثق من الجولة وامن من الغرة والمهزيمة وهو
امر مشاهد وقد اغفلته الدول لعهدنا بالجملة واعتاضوا عنه
بالظهر الحامل للثقال والفساطيط يجعلونها ساقه من خلفهم
ولا تغنى غناء الفيلة والابل فصارت العساكر بذلك عرضة
للهزائم مستشعرة للفرار فى المواقف وكان الحرب اول
الاسلام كله زحفا وان كان العرب انما يعرفون الكر والفر
لكن حملهم على ذلك اول الاسلام امران احدهما ان
عدوهم كانوا يقاتلون زحفا فيضطرون الى مقاتلتهم بمثل قتالهم
الثانى انهم كانوا مستميتين فى جهادهم لما رغبوا فيه من
الصبر ولما رسخ فيهم من الايمان والزحف الى الاستماتة
اقرب (واول) من ابطال الصف فى الحرب وصار الى
التعبية كراديس مروان بن الحكم فى قتال الضحاك
الخارجى والخيبى بعده قال الطبرى لما ذكر قتل
الخيبى فولى الخوارج عليهم شيبان بن عبد العزيز
اليشكرى ويلقب ابا الدلفا وقاتلهم مروان بعد ذلك
بالكراديس وابطل الصف من يومئذ انتهى فتنوسى قتال
الزحف بابطال الصف ثم تنوسى الصف وراء المقاتلة بما

(r) Man. C. محمودة. D. محمودة.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

داخل الدولة من الترف وذلك انها حين ما كانت بدوية
وسكناهم الخيام كانوا يستكثرون من الابل وسكنى النساء
والولدان معهم فى الاحياء فلما حصلوا على ترف الملك
والقوا سكنى القصور والحواضر وتركوا شأن البادية والقفرة نسوا
لذلك عهد الابل والطعائن وصعب عليهم اتخاذها فحلفوا
النساء فى الاسفار وحملهم الملك والترف على اتخاذ
الفساطيط والابخبية فاقتصروا على الظهر الحامل للاثقال
والآنية وكان ذلك صفهم فى الحرب ولا يغنى كل الغناء
لانه لا يدعو الى الاستماتة كما يدعو اليها الاهل والمال
فيحوق الصبر من اجل ذلك وتفرقهم الهيئات وتخرم
صفوفهم (فصل) ولما ذكرناه من ضرب المصاف وراء العسكر
وتاكده فى قتال الكر والقر صار ملوك المغرب يستخدمون
طوائف من الفرنج فى جندهم واختصوا بذلك لان قتال
اهل وطنهم كله بالكر والقر والسلطان يتأكد فى حقه ضرب
المصاف ليكون رداً للمقاتلة امامه فلا بد وان يكون اهل
ذلك الصف من قوم متعودين للشبات فى الزحف
والاجفلاوا على طريقة اهل الكر والقر فانهم السلطان والعسكر
بانجفاليهم فاحتاج الملوك بالمغرب ان يتخذوا جندا من
هذه الامة المعودة الشبات فى الزحف وهم الافريج ويرتبون
مصافهم المحقق بهم منها هذا على ما فيه من الاستعانة

باهل الكفر وانما استخفوا ذلك للضرورة التي اريناكمها من
 تخوف الانجفال على مصاف السلطان والفرنج لا يعرفون غير
 الثبات في ذلك لان عادتهم في القتال الزحف فكانوا
 اقوم بذلك من غيرهم مع ان الملوک في المغرب انما
 يفعلون ذلك عند الحرب مع امم العرب والبربر وقتالهم
 قبائلهم على الطاعة واما في الجهاد فلا يستعينون بهم حذرا
 من ممالاتهم على المسلمين هذا هو الواقع بالمغرب لهذا
 العهد وقد ابدينا سببه والله بكل شيء عليم (فصل) ويبلغنا
 عن امم الترك لهذا العهد قتالهم مناظلة بالسهم وان
 تعبئة الحرب عندهم بالهصاف وانهم يقسمون عسكرهم ثلاثة
 صفوف يضربون صفاً وراء صف ويترجلون عن خيولهم
 يفرغون سهامهم (1) بين ايديهم ثم يتناضلون جلوسا وكل صف
 رء للذى امامه ان يكبسهم العدو الى ان يتهيباً النصر لاحدى
 الطائفتين على الاخرى وهى تعبئة محكمة غريبة (فصل)
 وكان من مذاهب الاول في حروبهم حفر الخنادق على
 معسكرهم عند ما يتقاربون للزحف حذرا من معرفة البيات
 والهجوم على المعسكر بالليل لما في ظلمته ووحشته من
 مضاعفة الخوف فتلوذ الجيوش بالفرار وتجد النفوس في
 الظلمة ستر من عاره فاذا تساوا في ذلك ازحف المعسكر

(1) ينشون كئانهم. B. ينشلون كئانهم. Man. A.

ووقعت الهزيمة فكانوا لذلك يحتفرون الخنادق على
معسكرهم اذا نزلوا وضربوا ابنتهم ويديرون الحفائر نطاقا
عليهم من جميع جهاتهم حصنا ان يخالطهم العدو بالبيات
فيتخاذلوا وكانت للدول في امثال هذا قوة وعليه اقتدار
باحتشاد الرجل وجيع الايدي عليه في كل منزل من منازلهم
بما كانوا عليه من وفور العمران وضخامة الملك فلما خرب
العمران وتبعه ضعف الدول وقلة الجنود وعدم الفعلة نسي الشأن
جملة كانه لم يكن والله خير القادرين (وانظر) في وصية على
رضي الله عنه وتحريضه لاصحابه يوم صفين تجد كثيرا من
علم الحرب ولم يكن احد ابصر بها منه قال في كلام له
فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص وقدموا الذراع واتّخروا
المحاسر (1) وعضوا على الاضراس فانه انبا للسيوف عن الهام
والثبوت في اطراف الرماح فانه اصون (2) للاستة وعضوا الابصار
فانه اربط للجاش واسكن للقلوب واميتوا الاصوات فانه
اطرد للفشل واولى بالوقار وراياتكم فلا تميلوها ولا تزيلوها
ولا تجعلوها الا بايدي شجعانكم واستعينوا بالصدق والصبر
فانه بعد الصبر ينزل النصر (وقال) الاشتر يومئذ يحرض الازد
عضوا على النواجذ من الاضراس واستقبلوا القوم بهامكم
وشدوا شدة قوم موتورين يشارون بابائهم واخوانهم حنقا على

(1) Man. A. et B. المحاسر.

(2) Man. A. et B. اصول.

عدوهم قد وطنوا على الموت انفسهم كيلا يسبقوا بوتر
ولا يالحقهم في الدنيا عار وقد اشار الى كثير من ذلك ابو
بكر الصيرفي شاعر لمتونة واهل الاندلس في كلمة
يمدح فيها تاشفين بن علي بن يوسف ويصف ثباته في
حرب شهدها ويذكره بامور الحرب في وصايا وتحذيرات
تنبهك على معرفة الكثير من سياسة الحرب يقول فيها

يا ايها الملاء الذي يتشجع	من منكم الملك الهمام الروع
ومن الذي غدر العدو به دجى	فانفض كل وهو لا يتضعصع
تمضى الفوارس والطعان يصدها	عنه ويسدمرها الوفا فتراجع
والليل من وضح الشرائك انه	صبح على هام الجيوش مسمع
انى فزعتم بابنى صنهاجة	واليكم في الروع كان المسفرع
وصددتم عن تاشفين وانه	لعقابه لو شاء فيكم موضع
انسان عين لم يصنه (1) منكم	جفن وقلب اسلمته الاضلع
ما انتم الا اسود خفية	كل بكل كريمة مستطلع (2)
يا تاشفين اقم لجيشك عذرة	بالليل والقدر الذي لا يدفع (3)

(ومنها في سياسة الحروب)

اهديك من ادب السياسة ما به	كانت ملوك الفرس قبلك تولع
لا اننى ادرى بها كسنتها	ذكرى تخص الهومنين وتنفع
البس من الخلق المضاعفة التى	وصى بها صنع الصنائع تتبع
والهندوانى الرقيق فانه	امضى على جد الدلاص واقطع
واركب من الخيل السوابق عذة	حصنا حصينا ليس فيه مدفع
خندق عليك اذا ضربت محلة	سيان تتبع ظافرا او تتبع
والواد لا تعبره وانزل عنده	بين العدو وبين جيشه يقطع

(1) Man. A. B. يصبه. (2) Man. A. B. مستطلع. (3) Man. A. et B. ينفع.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

واجعل منازلة العدو (I) عشية ووراءك الصدق الذي هو امنع
واذا تضايقت الجيوش بمعرك ضحك فاطراف الرماح توسع
واصدمه اول وهلة لا تكتسرت شيا فاظهار النكول تضعضع
واجعل من الطلاع اهل شهامة الصدق فيهم شيمة لا مخدع
لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا لا راى للمكذوب فيهما يصنع

وقوله واصدمه من اول وهلة البيت مخالف لها عليه الناس
من امر الحرب فقد قال عمر لابي عبيد بن مسعود الثقفي لما
ولاه حرب فارس والعراق فقال له اسمع من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم واشركهم في الامر ولا تجيبن
مسرعا حتى يتبين فانها الحرب ولا يصلح لها الا الرجل
المكيث الذي يعرف الفرصة والكف وقال له في اخرى انه لم
تمنعني ان اوامر سليطا الا سرعته في الحرب وفي التسرع
في الحرب الا عن بيان ضياع والله لولا ذلك لامرته لكن
الحرب لا يصاحبها الا المكيث هذا كلام عمر وهو شاهد بان
التثاقل في الحرب اولى من الخفوف حتى يتبين حال
تلك الحروب وذلك عكس ما قاله الصيرفي الا ان
يريد ان الصدم بعد البيان فله وجه والله اعلم (فصل) ولا وثوق
في الحرب بالظفر وان حصلت اسبابه من العدة والعديد وانما
الظفر فيها والغلب من قبيل البخت والاتفاق وبيان ذلك ان
اسباب الغلب في الاكثر مجتمعة من امور ظاهرة وهى

[(I) Man. C. D. مناخزة الجيوش.

الجيش ووفورها وكمال الاساحة واستجاداتها وكثرة الشجعان
وترتيب المصافى وصدق القتال وما جرى مجرى ذلك
ومن امور خفية وهى اما من حيل البشر وخذعهم فى
الارجاف والتشاييع التى يقع بها التخذيل وفى التقدم الى
الاماكن المرتفعة ليكون الحرب من على فيتوهم المنخفض
لذلك ويتخاذل وفى الكمون فى الغياض ومطمئن الارض
والتوارى بالكدا عن العدو حتى تبدو لهم العساكر دفعة
وقد تورطوا فيتلفنون الى النجاة وامثال ذلك واما ان تكون
الاسباب الخفية امور سماوية لا قدرة للبشر على اكتسابها
تلقى فى القلوب فيستولى الرهب عليهم من اجلها فتختل
مراكزهم وتقع الهزيمة واكثر ما تقع الهزائم عن هذه الاسباب
الخفية لكثرة ما يعتمد كل واحد من الفريقين فيها حرصا
على الغلب فلا بد من وقوع التأثير فى ذلك لاحدهما
ضرورة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة
ومن امثال العرب رب حيلة انفع من قبيلة فقد تبين
ان وقوع الغلب فى الحروب غالبا عن اسباب خفية غير
ظاهرة ووقوع الاشياء عن الاسباب الخفية هو معنى البخت
كما تقرّر فى موضعه فاعتبره فتفهم من وقوع الغلب عن
الامور السماوية كما شرحناه معنى قوله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالرعب مسيرة شهر وما وقع من غلبه للمشركين

في حياته بالعدد القليل وغلب المسلمين ايتاهم بعده كذلك في الفتوحات فان الله سبحانه وتعالى تكفل لنبيه بالقضاء الرعب في قلوب الكافرين حتى يستولى على قلوبهم فينهمزوا معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان الرعب في القلوب سببا للهزائم في الفتوحات الاسلامية كلها الا انه خفي عن العيون (وقد ذكر الطرطوشي ان من اسباب الغلب في الحرب ان تفضل عدة الفرسان المشاهير من الشجعان في احد الجانبين على عدتهم في الجانب الاخر مثل ان يكون احد الجانبين فيه عشرة او عشرين من الشجعان المشاهير وفي الجانب الاخر ثمانية او ستة عشر فالجانب الزائد ولو بواحد يكون له الغلب واعاد في ذلك وابدا وهو راجع الى الاسباب الظاهرة التي قدمنا وليس بصحيح وانما الصحيح المعتبر في الغلب حال العصبية ان تكون في احدى الجانبين عصبية واحدة جامعة لكلهم وفي الجانب الاخر عصاب متعددة والجانبان معا متقاربان في العدة فان الجانب الذي عصبية واحدة اقوى واغلب من الجانب الذي هو عصاب متعددة لان العصاب اذا كانت متعددة يقع بينها من التخاذل مع يقع في الوجدان المقتربين الفاقدين للعصبية اذ تنتزل كل عصابة منهم منزلة الواحد ويكون الجانب الذي عصابه متعددة لا يقاوم الجانب الذي

عصبية واحدة لاجل ذلك فتفهمه واعلم انه اصح في الاعتبار مما ذهب اليه الطرطوشي ولم يحمله على ذلك الا نسيان شأن العصبية في جيله وبلده وانهم انما يريدون الدفاع والحماية والمطالبة الى الوجدان والجماعة الناشئة عنهم ولا يعتبرون في ذلك عصبية ولا نسبا وقد بينا ذلك في اول الكتاب مع ان هذا وامثاله على تقدير صحته انما هو من الاسباب الظاهرة مثل اتفاق الجيشين في العدة وصدق القتال وكثرة الاساحة وما اشبهها فكيف يجعل ذلك سببا كفيلا بالغلب ونحن قد قدرنا الآن ان شأ منها لا يعارض الاسباب الخفية مثل الحيل والخدع ولا الامور السماوية من الرعب والخذلان الالهى فاعلمه وتفهم احوال الكون فالله مقدر الليل والنهار (فصل) ويالحق بمعنى الغلب في الحروب وان اسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت فقل ان تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك او العلماء او الصالحين او المنتحلين للفضائل على العموم فكثير ممن اشتهر وبعد صيته وليس هناك وكثير ممن اشتهر بالشر وهو بخلافه وكثير ممن تجاوزت عنده الشهرة وهو احق بها واهلها وقد تصادف موضعها وتكون طبقا على صاحبها والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت انما هي بالانخبار والانخبار يدخلها الذهول

عن المقاصد عند التناقل ويدخلها التعصب والتشيع
ويدخلها الاوهام ويدخلها الجهل بهطابقة الحكايات للاحوال
لخفائها بالتلبيس والتصنع اولجهل الناقل ويدخلها التقرب
لاصحاب التجلّة والمراتب الدنيويّة بالثناء والهدح وتحسين
الاحوال واشاعة الذكر بذلك والنفوس مولعة بحبّ الثناء
والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه او ثروة وليسوا
في الاكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين اهلها واين
مطابقة الحق من هذه كلها فتحصل الشهرة عن اسباب
خفيّة من هذه وتكون غير مطابقة وكل ما حصل بسبب
خفيّ فهو الذي يعبر عنه بالبحث كما تقرّر

فصل في الجباية وسبب نقصها ووفورها

اعلم ان الجباية اول الدولة تكون قليلة الوزائع كثيرة الجملة
واخر الدولة تكون كثيرة الوزائع قليلة الجملة والسبب في
ذلك ان الدولة ان كانت على سنن الدين فليس
الا المغارم الشرعيّة من الصدقات والخراج والجزية وهي
قليلة الوزائع لان مقدار الزكاة من المال قليل كما علمت
وكذا زكاة الحبوب والماشية وكذا الجزى والخراج وجميع
المغارم الشرعيّة وهي حدود لا تتعدى وان كانت على سنن
العصبيّة والتغلب فلا بدّ من البداوة في اولها كما تقدّم

والبداوة تقتضى المسامحة والمكارمة وخفض الجناح والتجافى
 عن امور الناس والغفلة عن تحصيل ذلك الآ فى النادر
 فيقل لذلك مقدار الوظيفة الواحدة والوزيعة التى تجتمع
 الاموال من مجموعها واذا قلت الوزائع والوظائف على
 الرعايا نشطوا للعمل ورجبوا فيه فيكثر الاعتمار ويتزائد لحصول
 الاعتباط بقلة المغرم واذا كثر الاعتمار كثرت اعداد تلك
 الوظائف والوزائع فكثرت الجباية التى هى جملتها فاذا
 استمرت الدولة واتصلت وتعاقب ملوكها واحدا بعد
 واحد واتصفوا بالكيس وذهب سرّ البداوة والسذاجة وخلقها
 من الاغضاء والتجافى وجاء الملك الغضوض (1) والحضارة
 الداعية الى الكيس وتخلق اهل الدولة بخلق التحذلق
 وتكثرت عوائدهم وحاجاتهم بسبب ما انغمسوا فيه من
 النعيم والترف فيكثرون الوظائف والوزائع حينئذ على الرعايا
 والاكرة والفلاحين وسائر اهل المغارم ويزيدون فى كل
 وظيفة ووزيعة مقدارا عظيما لتكثر لهم الجباية ويضعون
 المكوس على البياعات وفى ابواب المدينة كما نذكر بعد
 ثم تتدرج الزبادات فيها مقدارا بعد مقدار لتدرج عوائد
 الدولة فى الترف وكثرة الحاجات والانفاق بسببه حتى تثقل
 المغارم على الرعايا وتبهضهم وتصير عادة مفروضة لان تلك

(1) Man. C. et D. العضوض.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الزيادة تدرجت قليلا قليلا ولم يشعر احد بمن زادها على
التعيين ولا من هو واضعها انما تثبت على الرعايا كأنها
عادة مفروضة ثم تزيد الى الخروج عن حد الاعتدال فتذهب
غبطة الرعايا في الاعتمار لذهاب الامل من نفوسهم بقلّة
النفع اذا قابل بين نفقته ومغارمه وبين ثمرته وفائدته
فينقبض كثير من الايدي عن الاعتمار جملة فتنقص جملة
الجباية حينئذ بنقصان تلك الوزائع منها وربما يزيدون في
مقدار الوظائف اذا راوا ذلك النقص في الجباية ويحسبونه
جبرا لما نقص حتى ينتهي كل وظيفة ووزيعة الى غاية ليس
وراءها نفع ولا فائدة لكثرة الانفاق حينئذ في الاعتمار وكثرة
المغارم وعدم وفاء الفائدة المرجوة به فلا تزال الجهلة في
نقص ومقدار الوزائع والوظائف في زيادة لما يعتقدونه من
جبر الجهلة بها الى ان ينتقص (1) العمران بذهاب الآمال من
الاعتمار ويعود وبال ذلك على الدولة لان فائدة الاعتمار عائدة
اليها واذا فهمت ذلك علمت ان اقوى الاسباب في
الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما امكن
فبذلك تنشط النفوس ليقينها بادراك المنفعة فيه والله
مالك الامور

(1) ينقص. B. ينقص. A. Man. (1)

فصل في ضرب الكوس آخر الدول

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khal'doun.

اعلم ان الدول تكون في اولها بدوية كما قلنا فتكون
لذلك قليلة الحاجات لعدم الترف وعوائده فيكون
خرجها وانفاقها قليلا فيكون في الجباية حينئذ وفاءً بازيد منها
بل يفضل منها كثير عن حاجاتها ثم لا يلبث ان تاخذ
بدين الحاضرة والترف وعوائدها وتجري على نهج الدول
السالفة قبلها فيكثر لذلك خرج الدولة ويكثر خرج السلطان
خصوصا كثرة بالغة بنفقته على خاصته وكثرة عطائه
ولا تفي بذلك الجباية فتحتاج الدولة الى الزيادة في
الجباية لما تحتاج اليه الحامية من العطاء والسلطان من
النفقة فتزيد في مقدار الوظائف والوزائع اولا كما قلناه ثم
يزيد الخرج والحاجات بالتدريج في عوائد الترف وفي
العطاء للحامية ويدرك الدولة الهرم وتضعف عصابتها عن
جباية الاموال من الاعمال والقاصية فتقل الجباية وتكثر
العوائد وتكثر بكثرتها ارزاق الجند وعطاؤهم فيستحدث
صاحب الدولة انواعا من الجباية يضربها على البياعات
 ويفرض لها قدرا معلوما على الاثمان في الاسواق وعلى اعيان
السلع في ابواب المدينة وهو مع هذا مضطر لذلك بما
دعاه اليه ترف الناس من كثرة العطاء مع زيادة الجيوش
والحامية وربما يزيد ذلك في آخر الدول زيادة بالغة فتكسد

PROLÉGOMÈNES
d'Ebu-Khaldoun.

الاسواق بفساد الآمال ويؤذن ذلك باختلال العمران ويعود
على الدولة ولا يزال ذلك يتزايد الى ان يضحل وقد كان
وقع منه بامصار المشرق في اخريات الدولة العباسية
والعبيدية كثير وفرضت المغارم حتى على الحاج في الموسم
واسقط صلاح الدين بن ايوب رحمه الله تلك الرسوم جملة
واعاضها باثار الخير وكذلك وقع بالاندلس لعهد الطوائف
حتى محى رسمه يوسف بن تاشفين امير المرابطين
وكذلك وقع بامصار الجريد بافريقية لهذا العهد حتى
استبد بها رؤساؤها والله سبحانه لطيف بعباده

فصل في ان التجارة من السلطان مضرة بالرعايا مفسدة للجباية

اعلم ان الدولة اذا ضاقت جبايتها بما قدمناه من الترف
وكثرة العوائد والنفقات وقصر الحاصل من جبايتها عن الوفاء
بحاجاتها ونفقاتها واحتاجت الى مزيد المال والجباية
فتارة بوضع المكوس على بيعات الرعايا واسواقهم كما
قدمنا ذلك في الفصل قبله وتارة بالزيادة في القاب
المكوس ان كانت قد استحدثت قبل وتارة
بمقاسحة العمال والجباة وامتلاك عظامهم لما يرون انهم قد
حصلوا على طائل من اموال الجباية لا يظهره الحساب وتارة

باستحداث التجارة والفاخ للسلطان حرصا على تنمية
 الجباية لما يرون التجار والفلاحين يحصلون على الفوائد
 والغلات مع يسارة اموالهم وان الارباح تكون على نسبة رؤس
 الاموال فيأخذون في اكتساب الحيوان والنبات لاستغلاله
 وفي شراء البضائع والتعرض بها لحوالة الاسواق يحسبون ذلك
 من ادرار الجباية وتكثير الفوائد وهو غلط عظيم وادخال للضرر
 على الرعايا من وجوه متعددة فاولا مضايقة الفلاحين والتجار
 في شراء الحيوان والبضائع وتيسير اسباب ذلك فان
 الرعايا متكافئون في اليسار او متقاربون ومزاحمة بعضهم
 بعضا ينتهي الى غاية موجودهم او تقرب واذا رافقهم السلطان
 في ذلك وماله اعظم كثيرا منهم فلا يكاد احد منهم يحصل
 على غرضه في شئ من حاجاته ويدخل على النفوس من
 ذلك غم او نكد ثم ان السلطان قد ينتزع الكثير من ذلك
 اذا تعرض له غصبا وبايسر ثمن اذ لا يجد من ينافسه فيبخس
 ثمنه على بائعه ثم اذا حصلت فوائد الفلاحة ومغلبها كله من
 زرع او حرير او عسل او سكر او غير ذلك من انواع
 الغلات وحصلت بضائع التجار من سائر الانواع فلا ينتظرون
 به حوالة الاسواق ولا نفاق البياعات لما تدعوهم اليه تكاليف
 الدولة فيكلفون اهل تلك الاصناف من تاجر او فلاح بشراء
 تلك البضائع ولا يرضون في اثمانها الا القيم وازيد فيستوعبون

فى ذلك ناض اموالهم وتبقى تلك البضائع بايديهم
 عروضاً جامدة ويمكثون عطلاً من الادارة التى فيها كسبهم
 ومعاشهم وربما تدعوهم الضرورة الى شئ من المال فيبيعون
 تلك السلع على كساد من الاسواق بابخس ثمن وربما
 يتكرر ذلك على التاجر او الفلاح منهم بما يذهب برأس
 ماله فيقعده عن سوقه ويتعدّد ذلك ويتكرر ويدخل به
 على الرعايا من الغنت والمضايقه وفساد الارباح ما يقبض
 اموالهم عن السعى فى ذلك جملة ويؤدى الى فساد الجباية
 فان معظم الجباية انما هى من الفلاحين والتجار لا سيما بعد
 وضع المكوس ونمو الجباية بها فاذا انقبض الفلاحون عن
 الفلاحة وقعد التجار عن التجارة ذهبت الجباية جملة
 او دخلها النقص المتفاحش واذا قايس السلطان بين ما
 يحصل له من الجباية وبين هذه الارباح القليلة وجدها
 بالنسبة اقل من القليل ثم انه ولو كان مفيداً فيذهب له
 بحظّ عظيم من الجباية فيها يعانیه من شراء وبيع فانه من
 البعيد ان يوخذ منه فيه مكس ولو كان غيره فى تلك
 الصفقات لكان مكسها كلها حاصلًا من جملة الجباية ثم فيه
 التعرض لفساد عمرانه واختلال الدولة بفساده ونقصه فان
 الرعايا اذا قعدوا عن تشيير اموالهم بالفلاحة والتجارة نقصت
 وتلاشت بالنفقات وكان فيها تلافى احوالهم فافهم ذلك

(ولقد) كان الفرس لا يملكون عليهم الا من اهل بيت
 المملكة ثم يختارونه من اهل الدين والفضل والادب والسخاء
 والشجاعة والكرم ثم يشترطون عليه مع ذلك العدل وان
 لا يتخذ ضيعة فيضرب بجيرانه ولا يتاجر فيحسب غلاء الاسعار
 في البضائع ولا يستخدم العبيد فانهم لا يشيرون بخير
 ولا مصلحة واعلم ان السلطان لا يثمر ماله ويدبر موجوده
 الا الجباية وادارها انما يكون بالعدل في اهل الاموال والنظر
 لهم فبذلك تنبسط آمالهم وتنشرح صدورهم للاخذ في تميم
 الاموال وتنميتها فتعظم منها جباية السلطان واما غير ذلك
 للسلطان من تجارة او فلاح فانما هو مضرة عاجلة للرعايا
 وفساد للجباية ونقص للعمارة ولقد ينتهي الحال بهؤلاء المنتحلين
 للتجارة والفلاحة من الامراء والمتغلبين في البلدان انهم
 يتعرضون لشراء الغلات والسلع من اربابها الواردين الى
 بلدهم ويفرضون لذلك من الثمن ما يشاؤون ويبيعونها في
 وقتها لمن تحت ايديهم من الرعايا بما يفرضونه من الثمن
 وهذه اشد من الاولى واقرب الى فساد الرعية واختلال احوالهم
 وربما يحمل السلطان على ذلك من يداخله في هذه
 الاصناف اعنى التجار والفلاحين بما هي صناعته التي نشاء
 عليها فيحمل السلطان على ذلك ويضرب معه بسهم
 لنفسه فيحصل على غرضه من جمع المال سريعا سيبا مع

ما يحصل له من التجارة بلا مغرم ولا مكس فانها اجدر
بندو الاموال واسرع في تشيرها ولا يفهم مع ذلك ما
يدخل على السلطان من الضرر بنقص جبايته فينبغي
للسلطان ان يحذر من هولاء ويعرض عن سعائتهم المضرّة
بجبايته وسلطانه والله سبحانه وتعالى يلهينا رشد انفسنا
وينفعنا بصالح اعمالنا لا ربّ غيره

فصل في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون
في وسط الدولة

والسبب في ذلك ان الجباية في اول الدولة تتوزع على
القبيل واهل العصبية بهقدار غنائمهم وعصبيتهم ولان الحاجة
اليهم في تمهيد الدولة كما قلناه من قبل فرئيسهم في ذلك
متجانس لهم عما يسمون اليه من الجباية معتاض عن ذلك
بها هو يروم من الاستبداد عليهم فلهم عليه عزة وله اليهم
حاجة فلا يطير في سهمانه من الجباية الا الاقل من حاجته
فتجد حاشيته لذلك واذياله من الوزراء والكتّاب والموالي
مملقين في الغالب وجاههم متقلص لانه من جاء مخدومهم
ونطاقه قد ضاق بهن يزاحمه فيه من اهل عصبية فاذا
استفحلت طبيعة الملك وحصل لصاحب الدولة الاستبداد
على قومه قبض ايديهم عن الجبايات الا ما يطير لهم بين

الناس في سببهم وتقل حظوظهم اذ ذاك لقلّة غنائهم
 في الدولة بما انكبح من اعتنتهم وصار الموالى والصنائع
 مساهمين لهم في القيام بالدولة وتمهيد الامر فينفرد صاحب
 الدولة حينئذ بالجباية او معظمها ويحتوى على الاموال
 ويحتجها للنفقة في مهيات الاحوال فتكثر ثروته وتمتلى
 خزائنه ويتسع نطاق جاهه ويعتز على سائر قومه فيعظم حال
 حاشيته وذويه من وزير وكاتب وحاجب ومولى وشرطى
 ويتسع جاههم ويقتنون الاموال ويتائلونها ثم اذا اخذت
 الدولة في الهرم بتلاشى العصبية وفناء القبيل الماهدين
 للدولة احتاج صاحب الامر حينئذ الى الاعوان والانصار لكثرة
 الخواارج والمنازعين والشوار ويوهم الانتقاص فصار خراجه
 لظهرائه واعوانه وهم ارباب السيوف واهل العصبية
 وانفق خزائنه وحاصله في مهمات جبر الدولة وقتت مع
 ذلك الجباية لما قدمناه من كثرة العطاء والانفاق فيقل
 الخراج وتشتد حاجة الدولة الى المال فينتقل ظل النعمة
 والثرف عن الخواص والحجاب والكتاب بتقلص الجاه
 عنهم وضيق نطاقه على صاحب الدولة ثم تشتد حاجة
 صاحب الدولة الى المال وينفق ابناء البطانة والحاشية ما
 تائل اباؤهم من الاموال في غير سبيلها من اعانة صاحب
 الدولة ويقبلون على غير ما كان عليه اباؤهم وسلفهم من

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

المناصحة ويرى صاحب الدولة انه احق بتلك الاموال التي اكتسبت في دولة سلفه وبجاههم فيصطلمها وينترعها منهم لنفسه شئاً فشيئاً وواحداً بعد واحد على نسبة رتبهم وتتنكر (1) الدولة لهم ويعود وبال ذلك على الدولة بقاء حاشيتها ورجالاتها واهل الثروة والنعمة من بطانتها وبتقوض بذلك كثير من مباني المجد بعد ان يدعمه اهله ويرفعوه وانظر ما وقع من ذلك لوزراء الدولة العباسية في بني قحطبة وبني برمك وبني سهل وبني طاهر وامثالهم ثم في الدولة الاموية بالاندلس عند انخلالهم ايام الطوائف في بني شهيد وبني ابي عبدة وبني حدير وبني برد وامثالهم وكذا في الدولة التي ادركناها لعهدنا ستة الله ولن تجد لستة الله تبديلاً (فصل) ولما يتوقعه اهل الدولة من امثال هذه المعاطب صار الكثير منهم ينزعون الى الفرار عن الرتب والتخلص عن ربة السلطان بها حصل بايديهم من مال الدولة الى قطر اخر ويرون انه انما لهم واسلم في انفاقه وحصول ثمرته وهو من الاغلاط الفاحشة والاوهام المفسدة لاحوالهم ودنياهم واعلم ان الخلاص من ذلك بعد الحصول فيه عسير ممتنع فان صاحب هذا الغرض ان كان هو الملك نفسه فلا تمكنه الرعية من ذلك طرفة عين ولا اهل العصبية

(1) تنكى. Man. A. et B.

المزاحمون له بل في ظهور ذلك منه هدم ملكه وتلاف
 نفسه لمجاري العادة بذلك لان رتبة الملك يعسر
 الخلاص منها سيما عند استفحال الدولة وضيق نطاقها وما
 يعرض فيها من البعد عن المجد والخلال والتخلق بالشر
 واما ان كان صاحب هذا الغرض من بطانة السلطان
 وحاشيته واهل الرتب في دولته فقل ان يخلى بينه
 وبين ذلك اما اولا فلما يراه الملوک ان ذويهم وحاشيتهم
 بل وسائر رعاياهم مهاليك لهم مطلعون على ذات صدورهم
 فلا يسمحون بحل ربقته من الخدمة ضمانة باسرارهم
 واحوالهم ان يطلع عليها احد وغيره من خدمته لسواهم ولقد
 كان بنو امية بالاندلس يمنعون اهل دولتهم من السفر لفريضة
 الحج لها يتوهمونه من وقوعهم بايدي بنى العباس فلم
 يحج سائر ايامهم من اهل دولتهم وما ابیح الحج لاهل
 الدول من الاندلس الا بعد فراغ شأن الاموية ورجوعها
 الى الطوائف واما ثانيا فانهم وان سمحوا بحل ربقته فلا
 يسمحون بالتجافي عن ذلك المال لها يرون انه جزء من
 مالهم كما كان ربه جزءا من دولتهم اذ لم يكتسب الا بها
 وفي ظل جاهها فتحوم نفوسهم على انتزاع ذلك المال
 او ابقائه كما هو جزءا من الدولة ينتفعون به ثم اذا توهمنا انه
 خلص بذلك المال الى قطر اخر وهو في السادر الاقل

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فتمتدّ اليه اعين الملوك بذلك القطر وينتزعونه بالارهاب
والتخويف تعريضا او بالقهر ظاهرا لما يرون انه مال الجبائية
والدول وانه مستحقّ للانفاق فى المصالح فاذا كانت عيونهم
تمتدّ الى اهل الثروة واليسار المكتسبين من وجوه المعاش كما
ذكرنا فاحرى بها ان تمتدّ الى مال الجبائية والدول التى
تجد السبيل اليه بالشرع والعادة وانظر ما وقع لقاضى جبلة
الشاير بها على ابن عمار صاحب طرابلس لما غلبه الفرنج
عليها ونجا الى دمشق ثم الى بغداد وفيها السلطان بركياروق
بن ملكشاه وذلك آخر المائة الخامسة فجاءه وزير
السلطان واستقرض منه غالب ماله ثم استصفوه جميعا وكان
لا يعبر عنه كثرة ولقد حاول السلطان ابو يحيى زكريا بن
احمد اللحيانى تاسع او عاشر ملوك الحفصيين بافريقية
الخروج عن عهدة الهلك واللاحق بمصر فرارا من طلب
صاحب الثغور الغربية لما استجمع لغزو تونس فاستعمل
اللحيانى الرحلة الى ثغر طرابلس يورى بتهييده وركب
السفن من هناك وخلص الى الاسكندرية بعد ان حمل
جميع ما وجد ببيت المال من الصامت والذخيرة وباع
كلها كان بخزائنها من المتاع والعقار والجوهر حتى الكتب
واحتمل ذلك كله الى مصر ونزل على الهلك الناصر محمد
بن قلاوون سنة تسع عشرة من الهياة الثامنة فاكرم نزله ورفع

مجلسه ولم يزل يستخلص ذخيرته شأ فشأ بالتعريض الى ان حصل عليها ولم يبق معاش ابن الاحياني الا في جرايته التي فرض له الى ان هلك ستة ثمان وعشرين حسبما نذكره في اخباره فهذا وامثاله من جملة الوسواس الذي يعترى اهل الدول لما يتوقعونه من ملوكهم من الهعاطب وانما يخلصون ان اتفق لهم الخلاص بانفسهم وما يتوههونه من الحاجة فغاط ووهم والذي حصل لهم من الشهرة بخدمة الدول كاف في وجدان المعاش لهم بالجرايات السلطانية او بالجاه في انتحال طرق الكسب من التجارة والفلاحة والدول انساب لكن النفس راغبة اذا رغبتهها واذا ترد الى قليل تقنع والله الرزاق ذو القوة المتين

فصل في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

والسبب في ذلك ان الدولة والسلطان هي السوق الاعظم للعالم ومنه مادة العمران فاذا احتجج السلطان الاموال والجبايات او فقدت فلم يصرفها قل حينئذ ما بايدي الحاشية وانقطع ايضا ما كان يصل منهم لحاشيتهم وذويهم وقلت نفقاتهم جملة وهم معظم السواد ونفقاتهم اكثر مادة للاسواق من سواهم فيقع الكساد حينئذ في الاسواق وتضعف الارباح في المتاجر لقلة الاموال فيقل الخراج لذلك لان

الخراج والحباية انها يكون من الاعتمار والمعاملات ونفاق الاسواق وطلب الناس للفوائد والارباح ووبال ذلك عائد على الدولة بالنقص لقلّة اموال السلطان حينئذ بقلة الخراج فان الدولة كما قلناه هي السوق الاعظم امّ الاسواق كلها واصلها ومادتها في الدخل والخرج فاذا كسدت وقل مصارفها فاجدر بما بعدها من الاسواق ان يلحقها مثل ذلك واشد منه وايضا فالمال انما هو متردد بين الرعيّة والسلطان منهم اليه ومنه اليهم فاذا حبسه السلطان عنده فقدته الرعيّة سنّة الله في عباده

فصل في ان الظلم مؤذن بخراب العمران

اعلم ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يروونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهب آمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الاعتداء ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب فان كان الاعتداء كثيرا وعمّا في جميع ابواب المعاش كان القعود عن الكسب كذلك لذهابه بالآمال جملة بدخوله من جميع ابوابها وان كان الاعتداء يسيرا كان الانقباض عن الكسب على نسبته والعمران ووفوره ونفاق اسواقه انما

هو بالاعمال وسعى الناس في المصالح والمكاسب ذاهبين
وجآين فاذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن
المكاسب كسدت اسواق العمران وانتقضت الاحوال واندعر
الناس في الآفاق من غير تلك الايالة وفي طلب الرزق
فيما خرج عن نطاقها فحق ساكن القطر وخلت دياره
وخربت امصاره واختل باختلاله حال الدولة والسلطان
لما انها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها ضرورة وانظر في
ذلك ما حكاه المسعودي في اخبار الفرس عن الموبدان
صاحب الدين عندهم ايام بهرام بن بهرام وما عرض به
للملك في انكار ما كان عليه من الظلم والغفلة عن عائدته
في الدولة بضرب المثال في ذلك على لسان اليوم حين
سمع الهلك اصواتها وسأله عن فهم كلامها فقال ان يوما
ذكرنا يروم نكاح يوم انثى وانها شرطت عليه عشرين قرية
من الخراب في ايام بهرام لتسوح فيها فقبل شرطها وقال
لها ان دامت ايام الهلك اقطعك الف قرية وهذا اسهل
مرام فتنبه الملك من غفلته وخلا بالموبدان وسأله عن
مراده فقال ايها الملك ان الملك لا يتم عزه الا بالشريعة
والقيام لله بطاعته والتصرف تحت امره ونهيه ولا قوام
للشريعة الا بالملك ولا عز للملك الا بالرجال ولا قوام للرجال
الا بالمال ولا سبيل الى المال الا بالعمارة ولا سبيل للعمارة

الآ بالعدل والعدل الميزان المنصوب بين الخليفة نصبه الرب
 وجعل له قیما وهو الملك وانك ايها الملك عمدت
 الى الضياع فانترعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج
 ومن توخذ منهم الاموال واقطعتها الحاشية والخدم وارباب
 البطالة فتركوا العمارة والنظر في العواقب وما يصلح الضياع
 وسومحوا في الخراج لقربهم من الملك ووقع الحيف
 على من بقى من ارباب الخراج وعمار الضياع فانجلوا عن
 ضياعهم وخلصوا ديارهم واووا الى ما بعد او اتعذر من الضياع
 فسكنوها فقلت العمارة وخربت الضياع وقلت الاموال
 وهلك الجنود والرعية وطمع في ملك فارس من
 جاورهم من الملوك لعلمهم بانقطاع المواد التي لا تستقيم
 دعائم الملك الآ بها فلما سمع الملك ذلك اقبل على النظر
 في ملكه وانتزعت الضياع من ايدي الخاصة وردت الى
 اربابها وحملوا على رسومهم السالفة واخذوا بالعمارة وقوى
 من ضعف منهم فعمرت الارض واخصبت البلاد وكثرت
 الاموال عند جباية الخراج وقويت الجنود وقطعت مواد
 الاعداء وشحنت الثغور واقبل الملك على مباشرة اموره
 بنفسه فحسنت ايامه وانتظم ملكه فتفهم من هذه
 الحكاية ان الظلم مخرب للعمران وان عائدة الخراب في
 العمران على الدولة بالفساد والانتقاص ولا تنظر في ذلك

الأ (1) ان الاعتداء قد يوجد بالامصار العظيمة من الدول التي بها ولم يقع فيها خراب واعلم ان ذلك انما جاء من قبل المناسبة بين الاعتداء واحوال اهل المصر فلما كان المصر كبيرا وعمرانه كثيرا واحواله متسعة بها لا ينحصر كان وقوع النقص فيه بالاعتداء والظلم يسيرا اذ النقص انما يقع بالتدريج فاذا خفي بكثرة الاحوال واتساع الاعمال في المصر لم يظهر اثره الا بعد حين وقد تذهب تلك الدولة المعتدية من اصلها قبل خراب المصر وتجي الدولة الاخرى فترقعها (2) بجذتها وينجبر النقص الذي كان خفيا فيه فلا يكاد يشعر به الا ان ذلك في الاقل والمراد من هذا ان حصول النقص في العمران عن الظلم والعدوان امر واقع لا بد منه لها قدمناه ووباله عائد على الدول ولا تحسبن الظلم انما هو اخذ المال او الملك من يد مالكة من غير عوض ولا سبب كما هو المشهور بل الظلم اعم من ذلك وكل من اخذ ملك احد او غصبه في عمله او طالبه بغير حق او فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الاموال بغير حقا ظلمة واليهتدون عليها ظلمة والمنتبهون لها ظلمة والمانعون لحقوق الناس ظلمة وغصاب الاملاك على العموم ظلمة ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لذهاب

(1) Man. A. et B. الى.

(2) فترقعها. Man. A. et B..

لأموال من أهله وأعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وهي الحكمة العامة المراعاة للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة (1) من حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال فلما كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النوع لها أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الحظر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وادلته من القران والسنة كثيرة أكثر من أن يأخذها قانون الضبط والحصر ولو كان كل أحد قادراً عليه لوضع بازائه من العقوبات الزاجرة ما وضع بازاء غيره من المفسدات للنوع التي يقدر كل أحد على اقترابها من الزناء والقتل والسكر إلا أن الظلم لا يقدر عليه إلا من لا يقدر عليه لأنه إنما يقع من أهل القدرة والسلطان فيبلغ في ذمه وتكثير الوعيد فيه عسى أن يكون الوازع فيه للقادر عليه من نفسه وما ربك بظالم للعبيد ولا تقولن إن العقوبة قد وضعت بازاء الحرابة في الشرع وهي من ظلم القادر لأن المحارب زمن حرابته قادر فإن الجواب عن ذلك من طريقين أحدهما أن تقول العقوبة التي وضعت في ذلك إنما هي بازاء ما يقترفه من الجنايات في نفس أو مال على ما ذهب إليه كثير وذلك إنما يكون بعد القدرة عليه والمطالبة

(1) الحسنة. Man. A. et B.

بجنايته وأما نفس الحرابة فهي خلو من العقوبة الطريق
الثانى ان نقول المحارب لا يوصف بالقدرة لأننا إنما نعنى
بقدره الظالم اليد المبسوطة التى لا تعارضها قدرة فهى
المؤذنة بالخراب وإنما قدرة المحارب فانما هى اخافة
يجعلها ذريعة لاختذ الاموال والمدافعة عنها بيد الكل موجودة
شرعا وسياسة فليست من القدرة المؤذنة بالخراب والله
قادر على ما يشاء (فصل) ومن اشد الظلمات واعظها
افسادا لل عمران تكليف الاعمال وتسخير الرعايا بغير حق
وذلك ان الاعمال من قبيل التمولات لما سنبين فى
باب الرزق ان الكسب والرزق إنما هو قيم اعمال اهل
ال عمران فاذا مساعيتهم واعمالهم كلها متمولات ومكاسب لهم
بل لا مكاسب لهم سواها فان الرعيّة المعتملين فى العمارة
انما معاشهم ومكاسبهم من ائتمالهم ذلك فاذا كلفوا العمل
فى غير شأنهم واتخذوا سُخْرِيًا فى غير معاشهم بطل كسبهم
واغتصبوا قيمة عملهم ذلك وهو متمولهم فدخل عليه الضرر
وذهب لهم حظ كبير من معاشهم بل هو معاشهم بالجملة
وان تكرر ذلك عليهم افسد آمالهم فى العمارة وقعدوا عن
السعى فيها جملة فادى ذلك الى انتقاض عمران وتخريبه
والله يرزق من يشاء بغير حساب (فصل) واعظم من ذلك
فى الظلم وافسد لل عمران والدولة التسلط على الناس فى

شراء ما بأيديهم بابخس الاثمان ثم فرض البضائع عليهم
 بارفع الاثمان على وجه الغصب والاكراه في الشراء والبيع
 وربما يفرض عليهم تلك الاثمان على التراخي والتأجيل
 فيتعللون في الخسارة التي تاحقهم بما تحدثهم به الطامع
 من جبر ذلك بحوالة الاسواق في تلك البضائع التي
 فرضت عليهم بالغلاء ثم يطالبون بتلك الاثما معجلة
 فيضطرون الى بيعها بابخس الثمن وتعود خسارة ما بين
 الصنفتين على رؤس اموالهم وقد يعم ذلك اصناف
 التجار المقيمين بالمدينة والواردين من الافاق في البضائع وسائر
 السوق واهل الدكاكين في المأكول والفواكه واهل
 الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين فتشمل الخسارة
 سائر الاصناف والطبقات وتتوالى على البياعات وتحجف
 برؤس الاموال ولا يجدون عنها وليجة الا القعود عن الاسواق
 لذهاب رؤس الاموال في جبرها بالارباح ويتناقل الواردون
 من الافاق لشراء البضائع وبيعها من اجل ذلك فتكسد
 الاسواق ويبطل معاش الرعايا لان عاتته من البيع والشراء
 واذا كانت الاسواق عطلا منها بطل معاشهم وتنقص جباية
 السلطان او تفسد لان معظمها من اواسط الدولة وما بعدها
 انما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤل ذلك
 الى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل

على التدرّج ولا يشعر به هذا فيما كان بامثال هذه الذرائع
والاسباب الى اخذ الاموال واما اخذها مجانا والعدوان على
الناس في اموالهم وحرمتهم ودمائهم وابشارهم واعراضهم فهو
يفضى الى الخلل والفساد دفعة وتنقض الدولة سريعا لما
ينشأ عنه من الهرج المفضى الى الانتقاض ومن اجل هذه
المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في البيع
والشراء وحظر اكل اموال الناس بالباطل سدا لابواب المفاسد
المفضية الى انتقاض العمران بالهرج او بطلان المعاش واعلم
ان الداعي لذلك كله انما هو حاجة الدولة والسلطان الى
الاكثار من الاموال بها يعرض لهم من الترف في الاحوال
فتكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على
القوانين المعتادة فيستحدثون القابا ووجوها يوسعون بها
الجبابة ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد
والخرج بسببه يكثر والحاجة الى اموال الناس تشتد ونطاق
الدولة يضيق الى ان تمحى دائرتها ويذهب رسمها ويغلبها
طالبها والله مقدر الامور لا رب غيره

فصل في الحجاب كيف يقع في الدولة وانه يعظم
عند الهرم

اعلم ان الدولة في اول امرها تكون بعيدة عن منازع

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الملك كما قدّمناه لانها لا بدّ لها من العصبية التي بها يتمّ امرها ويحصل استيلاؤها والبداءة هي شعار العصبية فالدولة ان كان قيامها بالدين فانه بعيد عن منازع الملك وان كان قيامها بعزّ الغلب فقط فالبداءة التي بها يحصل الغلب بعيدة ايضا عن منازع الملك ومذاهبه فاذا كانت الدولة في امرها بدويّة كان صاحبها على حال الغضاضة والبداءة والقرب من الناس وسهولة الاذن فاذا رسخ عزّه وصار الى الانفراد بالمجد واحتاج الى الانفراد بنفسه عن الناس للحديث مع اوليائه في خواصّ شؤنه لما يكثر حينئذ من غاشيته فيطلب الانفراد من العامّة ما استطاع ويتخذ الاذن ببابه على من لا بدّ منه من اوليائه واهل دولته فيكون حاجبا له عن الناس ويقيمه ببابه لهذه الوظيفة ثم اذا استفحل الملك وجاءت مذاهبه ومنازعه استحالت خلق صاحب الدولة الى خلق الملك وهي خلق غريبة مخصوصة يحتاج مباشرها الى مداراتها ومعاملتها بها يجب لها وربما جهل تلك الخلق منهم بعض من يباشرهم فوقع فيها لا يرضيهم فسخطوه وصاروا الى حالة الانتقام منه فانفرد بمعرفة هذه الآداب معهم الخواصّ من اوليائهم وحجّبوا غير اولئك الخاصّة عن لقائهم في كل وقت حفظا على انفسهم من معاينة ما يسخطهم وعلى الناس من التعرّض لعقابهم فصار

لهم حجاب اخر اخص من الحجاب الاول يفضى اليهم منه
 خواصهم من الاولياء ويحجب دونه من سواهم والحجاب
 الثانى يفضى الى مجالس الاولياء ويحجب دونه من سواهم
 من العامة فالحجاب الاول يكون فى اول الدولة كما ذكرنا
 كما حدث ايام معاوية وعبد الملك وخلفاء بنى امية
 وكان القائم على ذلك الحجاب يسمى عندهم الحاجب
 جريا على مذهب الاشتقاق الصحيح ثم لما جاءت دولة
 بنى العباس وحدث للدولة من الترف والعز ما هو معروف
 وكملت خلق الملك على ما يجب فيها فدعى ذلك
 الى الحجاب الثانى وصار اسم الحاجب اخص به وصار
 بباب الخلفاء داران للغاشية دار للخاصة ودار للعامة كما
 هو مسطور فى اخبارهم ثم حدث فى الدول حجاب ثالث
 اخص من الاولين وهو عند محاولة الحجر على صاحب الدولة
 وذلك ان اهل الدولة وخواص الملك اذا نصبوا الابناء
 من الاعقاب وحاولوا الاستبداد عليهم فاول ما يبداء به ذلك
 المستبد ان يحجب عنه بطانة ابيه وخواص اوليائه توهه (1)
 ان فى مباشرتهم اياه خرق حجاب الهيبة وفساد قانون
 الادب ليقطع بذلك عنه لقاء الغير ويعوده ملاسة اخلاقه
 هو حتى لا يتبدل به سواه الى ان يستحكم الاستيلاء عليه

(1) Man. A. B. et D. يوهه.

فيكون هذا الحجاب من دواعيه وهذا الحجاب لا يقع في
الغالب الا اواخر الدول كما قدّمناه في الحجر ويكون دليلا
على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه اهل الدول على
انفسهم لانّ القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم
عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من اعقاب ملوكها لما
ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصا
مع الترشح لذلك وحصول دواعيه ومباده والله غالب
على امره

فصل في انقسام الدولة الواحدة الى دولتين

اعلم ان اول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها
وذلك ان الملك عند ما يستفحل ويبلغ احوال الترف
والنعيم الى غايتها ويستبدّ صاحب الدولة بالمجد وينفرد به
يانف حينئذ عن المشاركة ويصير الى قطع اسبابها ما استطاع
باهلاك من استراب به من ذوى قرابته المرشّحين
لمنصبه فرّما ارتاب المساهمون له في ذلك بانفسهم
ونزعوا الى القاصية واجتمع اليهم من يلحق بهم في مثل
حالهم من الاسترابة والاعتزاز ويكون نطاق الدولة قد اخذ
في التضائق ورجع عن القاصية فيستبدّ ذلك النازع من
القرابة فيها ولا يزال امره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى

يقاسم الدولة او يكاد وانظر ذلك في الدولة الاسلامية العربية حين كان امرها عزيزا مجتمعاً ونطاقها مهتداً في الاتساع وعصبية بني عبد مناف واحدة غالبية على سائر مضر فلم ينبض عرق من الخلف سائر ايامهم الا ما كان من نزعة الخوارج المستهينين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رياسة ولم يتم امرهم لمزاحمتهم العصبية القوية ثم لما خرج الامر من بني امية واستقل بنو العباس بالامر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالتفلس عن القاصية نزع عبد الرحمن الداخل الى الاندلس قاصية دولة الاسلام فاستحدث بها ملكاً واقتطعها عن دعوتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس الى المغرب وخرج به وقام بامرته وامر ابنه من بعده البرابرة من اوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربيين ثم ازدادت الدولة تقلصاً فاضطربت الاغالبية على الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بامرهم كتامة وصنهاجة واستولوا على افريقية والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الادارسة وقسموا الدولة دولتين اخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس بمركز العرب واصلهم ومادة الاسلام ودولة بني امية المجددين بالاندلس ملكهم القديم وخلافتهم بالمشرق ودولة العبديين بافريقية ومصر والشام والحجاز ولم

نزل هذه الدول الى ان كان انقراضها متقاربا او جميعا
وكذلك انقسمت دولة بنى العباس بدول اخرى فكان
بالجزيرة والموصل بنو حمدان وبنو عقيل بعدهم وبمصر
والشام بنو طولون وبنو طغج بعدهم وكان بالقاصية بنو سامان
في ما وراء النهر وخراسان والعلوية في الديلم وطبرستان وآل
ذلك الى استيلاء الديلم على فارس والعراقين وعلى بغداد
والخلفاء ثم جاء السلجوقية فملكوا جميع ذلك ثم
انقسمت دولتهم ايضا بعد الاستفحال كما هو معروف في
اخبارهم وكذلك اعتبره في دولة صنهاجة بالمغرب وافريقية
لها بلغت الى غايتها ايام باديس بن المنصور وخرج عليه
عمّه حماد واقتطع ممالك المغرب لنفسه ما بين جبل
اوراس الى تلمسان وملوية واخطّ القلعة بجبل كتامة (1) حيال
الهييلة ونزلها واستولى على مركزهم اشير بجبل تيطري
واستحدث ملكا اخر قسيما (2) لملك آل باديس وبقي آل
باديس بالقيروان وما اليها ولم يزل ذلك الى انقراض امرهما
جميعا وكذلك دولة الموحدين لما تقلص ظلها ثار بافريقية
بنو ابي حفص فاستقلوا بها واستحدثوا ملكا لاعقابهم
بنواحيها ثم لها استفحل امرهم واستولى على الغاية خرج
بالممالك الغربية من اعقابهم الامير ابو زكريا يحيى بن

(1) Man. A. et B. كيانه.

(2) Man. A. قسيما. C. et D.

السلطان ابي اسحق ابراهيم رابع خلفائهم واستحدث
ملكا بجاية وقسنطينة وما اليها اورثه بنيه وقسموا به
الدولة قسمين ثم استولوا على كرسى الحضرة بتونس ثم
انقسم الملك ما بين اعقابهم ثم عاد الاستيلاء فيهم وقد
ينتهي الانقسام الى اكثر من دولتين وثلاثة فى غير اعياص
الملك من قومه كما وقع فى ملك الطوائف بالاندلس
وملوك العجم بالمشق وفى ملك صنهاجة بافريقية فقد
كان لآخر دولتهم فى كل حصن من حصون افريقية ثائر
مستقل بامرهم كما نذكره وكذا حال الجريد والزاب من
افريقية قبيل هذا العهد كما نذكره ايضا وهكذا شأن كل
دولة لا بد وان تعرض فيها عوارض الهرم بالشرف والدعة
وتقلص ظل الغلب فيقتسم اعياصها او من يغلب من رجال
دولتها الامر وتتعدد فيها الدول والله وارث الارض ومن عليها

فصل فى ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم واسبابه واحدا بعد
واحد وبتينا انها تحدث للدولة بالطبع وانها كلها امور
طبيعية لها واذا كان الهرم طبيعيا فى الدولة كان حدوده
بمثابة حدود الامور الطبيعية كما يحدث الهرم فى المزاج
الحيوانى والهرم من الامراض المزمنة التى لا يمكن دواؤها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ولا ارتفاعها لما انه طبيعيّ والامور الطبيعيّة لا تتبدّل وقد يتّبه
كثير من اهل الدول ممن له يقظة في السياسة فيرى ما
نزل بدولتهم من عوارض الهرم واسبابه وبحسبه ممكن الارتفاع
فياخذ نفسه بتلافي الدولة واصلاح مزاجها عن ذلك الهرم
ويظنّ انه لحقها لتقصير من قبله من اهل الدولة او غفلتهم
ليس كذلك فانها امور طبيعيّة للدولة والعوائد هي المانعة
من تلافيها والعوائد تنزل منزلة طبيعة اخرى فان من
ادرك مثلا اباة وكبراء اهل بيته يلبسون الحرير والديباج
ويتحلّون بالذهب في السلاح والمراكب ويحتجبون عن
الناس في المجالس والصلوات فلا يمكنه مخالفة سلفه في
ذلك الى الخشونة في اللباس والزّي والاختلاط بالناس
اذ العوائد حينئذ تمنعه وتقبح عليه مرتكبه ولو فعله لرُمى
بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد دفعة وخشى عليه
عائدة ذلك وعاقبته في سلطانه وانظر شأن الانبياء في
انكار العوائد ومخالفتها لولا التأييد الالهي والنصر السماويّ
(وربّما) تكون العصبية قد ذهبت فتكون الالبهة تعوض
عن موقعها من النفوس فاذا ازيلت تلك الالبهة مع ضعف
العصبية تجاسرت الرعايا على الدولة بدوام اوهام الالبهة
فتتدرّع الدولة بتلك الالبهة ما امكنها حتى ينقضى الامر
وربّما تحدث عند آخر الدولة قوة توهم ان الهرم قد ارتفع

عنها ويومض ذبالها ايماضة الخمود كما يقع في الذبال
 المشتعل فانه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضة توهم انها
 اشتعال وهي انطفاء فاعتبر ذلك ولا تغفل سر الله وحكمته
 في اطراد وجوده على ما قدر فيه فلكل اجل كتاب

فصل في كيفية طروق الخلل للدول

اعلم ان مبنى الملك على اساسين لا بدّ منهما فالاول
 الشوكة والعصبية وهو الهجر عنه بالجند والثاني المال الذي
 هو قوام اولئك الجند واقامة ما يحتاج اليه الملك من
 الاحوال والخلل اذا طرق الدولة طرقها من هذين الاساسين
 فلنذكر اولا طروق الخلل في الشوكة والعصبية ثم نرجع
 الى طروقه في المال والسجاية واعلم ان تهديد الدولة وتاسيسها
 كما قلناه انما يكون في العصبية وانه لا بدّ من عصبية كبرى
 جامعة للعصايب مستتبعة لها وهي عصبية صاحب الدولة
 الخاصة به من عشيره وقبيله فاذا جاءت للدولة طبيعة
 الملك والترف وجدع انوف اهل العصبية كان اول ما يجدهم
 انوف عشيره وذوى قرباه المقاسمين له في اسم الملك
 فيشتدّ في جدع انوفهم بابلغ من سواهم وياخذهم الترف
 ايضا اكثر من سواهم لهكانهم من الملك والعز والغلب
 فيحيط بهم هادمان وهما الترف والقهر ثم يصير القهر آخر

الى القتل لما يحصل من مرض قلوبهم عند رسوخ الملك
 لصاحب الامر فتقلب غيرته منهم الى الخوف على ملكه
 فيأخذهم بالقتل والاهانة وسلب النعمة والتصرف الذى
 تعودوا الكثير منه فيهلكون ويقتلون وتفسد عصبية صاحب
 الدولة منهم وهى العصبية الكبرى التى كان يجمع بها
 العصاب ويستتبعها فتحل عروتها وتضعف شكيته ويستبدل
 منها بالبطانة من موالى النعمة وصنائع الاحسان ويتخذ منهم
 عصبية لانها ليست مثل تلك فى شدة الشكيمة لفقدان
 الرحم والقرباة منها وقد كنا قدّمنا ان شأن العصبية وقوتها انما
 هى بالقرباة والرحم لما جعل الله فى ذلك فينفرد صاحب
 الدولة عن العشير والانصار اهل النعمة الطبيعية ويحس
 بذلك اهل العصاب الاخرى فيتجاسرون عليه وعلى بطانته
 تجاسرا طبيعيا فيهلكهم صاحب الدولة ويتبعهم بالقتل
 واحدا بعد واحد ويقلد الاخر من اهل الدولة فى ذلك
 الاول مع ما يكون قد نزل بهم من مهلكة الترف الذى
 قدّمناه فيستولى عليهم الهلاك بالترف والقتل حتى يخرجوا
 عن صبغة تلك العصبية وينسوا نعرتها وسورتها ويصيروا
 اجراء على الحماية ويقلون لذلك فتقل الحامية التى تنزل
 بالاطراف والشعور فتتجاسر الرعايا على نقض الدعوة فى
 الاطراف وتبادر الخوارج على الدولة من الاعياص وغيرهم الى

تلك الأطراف لما يرجون حينئذ من حصول غرضهم بمتابعة
 اهل القاصية لهم وامنهم من وصول الحامية اليهم ولا يزال
 ذلك يتدرج ونطاق الدولة يتضايق حتى تصير الخوارج في
 اقرب الاماكن الى مركز الدولة وربما انقسمت
 الدولة عند ذلك بدولتين او ثلاث على قدر قوتها
 في الاصل كما قلناه ويقوم بامرها غير اهل عصبيتها لكن
 اذعانا لاهل عصبيتها ولغلبهم المعهود (واعتر) هذا في دولة
 العرب في الاسلام انتهت اولا الى الاندلس والهند والصين
 وكان امر بني امية نافذا في جميع العرب بعصبية عبد
 مناف حتى لقد امر سليمان بن عبد الملك من دمشق
 بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير بقرطبة فقتل ولم يرد
 امره ثم تلاشت عصبية بني امية بما اصابهم من الترف
 فانقرضوا وجاء بنو العباس ففضوا من اعنة بني هاشم وقتلوا
 الطالبين وشرذوهم فانحلت عصبية عبد مناف وتلاشت
 وتجاسر العرب عليهم فاستبد عليهم اهل القاصية مثل بني
 الاغلب بافريقية واهل الاندلس وغيرهم وانقسمت الدولة ثم
 خرج بنو ادريس بالمغرب وقام البربر بامرهم اذعانا للعصبية
 التي لهم وامنا ان يصلهم مقاتلة او حامية للدولة فاذا خرج
 الدعاة آخرا فيتغلبون على الأطراف والقاصية ويحصل لهم
 هنالك دعوة وملك تنقسم به الدولة وربما يزيد ذلك متى

زادت الدولة تقلصا الى ان تنتهي الى المركز وتضعف
 البطانة بعد ذلك بما اخذ منها الترف فتهلك وتضمحل
 وتضعف الدولة المنقسمة كلها وربما طال امدها بعد ذلك
 فتستغنى عن العصبية بما حصل لها من الصبغة في نفوس
 اهل اياتها وهي صبغة الانقياد والتسليم منذ السنين الطويلة
 التي لا يعقل احد من الاجيال مبدؤها ولا اوليتها فلا يعقلون
 الا التسليم لصاحب الدولة فتستغنى بذلك عن قوة
 العصائب ويكفى صاحبها في تمهيد امرها الاجراء على الحماية
 من جندي ومرترق ويعضد ذلك ما وقر في النفوس
 عامة من عقيدة التسليم فلا يكاد احد ان يتصور عصيانا او
 خروجا الا والجمهور منكرون عليه مخالفون له فلا يقدر على
 التصدي لذلك ولو جهد جهده وربما كانت الدولة في
 هذا الحال اسلم من الخوارج والمنازعة لاستحكام صبغة التسليم
 والانقياد لهم فلا تكاد النفوس تحدث سرها بمخالفة ولا يحتاج
 في ضميرها انحراف عن الطاعة فتكون اسلم من الهرج
 والانتقاض الذي يحدث بالعصائب والعشائر ثم لا يزال امر
 الدولة كذلك وهي تتلاشى في ذاتها شأن الحرارة الغريزية
 في البدن العادم للغذا الى ان تنتهي الى وقتها المقدر
 فلكل اجل كتاب ولكل دولة امد والله مقدر الليل والنهار
 واما الخلل الذي يتطرق من جهة المال

فاعلم ان الدولة في اولها تكون بدوية كما مر فيكون لها خلق الرفق بالرعايا والقصد في النفقات والتعفف عن الاموال فتتجافى عن الامعان في الجباية والتخذلق والكيس في جمع المال وحسبان العمال ولا داعية حينئذ الى الاسراف في النفقة فلا تحتاج الدولة الى كثير المال ثم يحصل الاستيلاء ويعظم ويستفحل الملك فيدعو الى الترف ويكثر الانفاق بسببه فتعظم نفقات السلطان واهل الدولة على العموم بل يتعدى ذلك الى اهل المصر ويدعو ذلك الى الزيادة في اعطيات الجند وازراق اهل الدولة فيكثر الاسراف في النفقات وينتشر (1) ذلك في الرعية لان الناس على دين الدولة وعوائدها ويحتاج السلطان الى ضرب المكوس على اثمان البياعات في الاسواق لادرار الجباية لما يראה من ترف المدينة الشاهد عليهم بالرفه ولما يحتاج هو اليه من نفقات سلطانه وازراق جنده ثم تزيد عوائد الترف فلا تفي بها المكوس وتكون الدولة قد استفحلت في الاستطالة والقهر لمن تحت يدها من الرعايا فتمتد ايديهم الى جمع المال من اموال الرعايا من مكس او تجارة او تعد في بعض الاحوال بشبهة او بغير شبهة ويكون الجند في ذلك الطور قد تجاسروا على الدولة بما لحقها من الفشل

(1) ينشئ D. ينشر Man. C.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

والهمم من العصبية فيتوقع ذلك منهم ويداوى تسكينه
بافاضة العطاء وكثرة الانفاق فيهم ولا يجد عن ذلك وليجة
ويكون حياة الاموال في الدولة قد عظمت ثروتهم في هذا
الطور بكثرة الجباية وكونها بايديهم وربما اتسع لذلك من
جاههم فتتوجه التهم اليهم باحتجان الاموال من الجباية
وتفشو السعاية فيهم بعضهم من بعض للمنافسة والحسد
فتعتمهم النكبات والمصادرات واحدا بعد واحد الى ان
تذهب ثروتهم وتتلاشى احوالهم ويفقد ما كان للدولة من
الابته والجمال بهم واذا اُصْطَلِمَتْ نعمهم تجاوزتهم الدولة
الى اهل الثروة من الرعايا سواهم ويكون الوهن في هذا
الطور قد لحق الشوكة وضعت عن الاستطالة والقهر
فتتصرف سياسة صاحب الدولة حينئذ الى مداراة الامور
ببذل المال وبراه انفع من السيف لقلّة عنايه فتعظم حاجته
الى الاموال زيادة على النفقات وارزاق الجند ولا تغنى فيما
يريد ويعظم الهمم بالدولة ويتجاسر عليها اهل النواحي والدول
تنحل عراها في كل طور من هذه الى ان تفضى الى الهلاك
ويتعرض الاستيلاء الطلاب فان قصدها طالب انتزعها من
ايدي القائمين بها والا بقيت وهى تتلاشى الى ان
تضمحل كالذبال في السراج اذا فنى زيتته وطفى والله تعالى
مالك الامور ومدبّر الاكوان لا اله الا هو

فصل فى اتساع نطاق الدولة اولا الى نهايته ثم تضايقه
طورا بعد طور الى فناء الدولة واضمحلالها

قد كان تقدم لنا فى فصل الخلافة والملك وهو الثالث
من هذه المقدمة ان كل دولة لها حصّة من الممالك
والعمالق لا تزيد عليها واعتبر ذلك بتوزيع عصابة الدولة
على حماية اقطارها وجهاتها فحيث نفذ عددهم فالطرف
الذى انتهى عنده هو الشغل ويحيط بالدولة من سائر جهاتها
كالنطاق وقد تكون النهاية هى نطاق الدولة الاول وقد يكون
اوسع منه اذا كان عدد العصابة اوفر من الدولة قبلها وهذا
كله عند ما تكون الدولة فى شعار البداوة وخشونة البأس فاذا
استفحل العز والغلب وتوفرت النعم والارزاق بدرور الجبايات
وزخر بحر الترف والحضارة ونشأت الاجيال على اعتياد
ذلك لطفت اخلاق الحامية ورقّت حواشيمهم وعاد من
ذلك الى نفوسهم هيات الجبن والكسل بما يعانونه من
حنث الحضارة المؤدى الى الانسلاخ من شعار البأس
والرجولية بمفارقة البداوة وخشونتها وباخذهم العز بالتناول الى
الرياسة والتنازع فيها فيفضى الى قتل بعضهم بعضهم ويكبحهم
السلطان عن ذلك بما يؤدى الى قتل اكبرهم واهلاك
رؤسائهم فتفقّد الامراء والكبراء ويكثر التابع والمرؤس فيقل

ذلك من حدّ الدولة ويكسر من شوكتها ويقع الخلل
 لأول في الدولة وهو الذي من جهة الجند والحامية كما
 تقدّم ويساق ذلك السرف في النفقات بما يعترتهم
 من ابته العزّ وتجاوز الحدود في البذخ بالمناعات في
 المطاعم والملابس وتشديد القصور واستجادة السلاح وارتباط
 الخيول فيقصر دخل الدولة حينئذ من خرجها ويطرق الخلل
 الثاني في الدولة وهو الذي من جهة المال والجباية
 ويحصل العجز والانتقاص بوجود التحليلين وربما تنافس
 رؤسأوهم فتنازعا وعجزوا عن مغالبة المجاورين والمنازعين
 ومدافعهم وربما اعتزّ اهل الثغور والاطراف بما يحسّون من
 ضعف الدولة وراهم فيصيرون الى الاستقلال والاستبداد بها
 في ايديهم من العملات ويعجز صاحب الدولة عن حملهم
 على المجادة فيضيق نطاق الدولة عما كانت انتهت اليه
 في اولها وترجع العناية في تدبيرهما بنطاق دونه الى ان
 يحدث في النطاق الثاني ما حدث في الاول بعينه من
 العجز والكسل في العصابة وقلة الاموال والجباية فيذهب القائم
 بالدولة الى تغيير القوانين التي كانت عليها سياسة الدولة
 في قبل الجند والمال والولايات ليجرى حالها على استقامة
 بتكافؤ الدخل والخرج والحامية والعملات وتوزيع الجباية
 على الارزاق ومقايسة ذلك باول الدولة في سائر الاحوال

والمفاسد مع ذلك متوقعة من كل جهة فيحدث في هذا
الطور من بعد ما حدث في الاول من قبل ويعتبر صاحب
الدولة ما اعتبره الاول ويقايس بالوزان الاول احوالها الثانية
يروم دفع مفاسد الخلل الذي يتجدد في كل طور ويأخذ
من كل طرف حتى يضيق نطاقها الاخر الى نطاق دونه
كذلك ويقع فيه ما وقع في الاول وكل واحد من هؤلاء المغيرين
للقوانين قبلهم كانهم منشؤون دولة اخرى ومجددون ملكا
حتى تنقرض الدولة وتتداول الامم حولها الى التغلب
عليها وانشاء دولة اخرى لهم فيقع من ذلك ما قدر الله
وقوعه (واعتبر) ذلك في الدولة الاسلامية كيف اتسع نطاقها
بالفتوحات والتغلب على الامم ثم تزايد الحمائية وتكاثر
عدددهم بما تحوّلوه من النعم والارزاق الى ان انقرض امر بني
امية وغلب بنو العباس ثم تزايد الترف ونشأت الحضارة
وطرق الخلل فضاق النطاق من الاندلس والمغرب بحدوث
الدولة الاموية المروانية والعلوية واقتطعوا ذينك الشغرين عن
نطاقها الى ان وقع الخلاف بين بنى الرشيد وظهر دعاة
العلوية في كل جانب وتهددت لهم دول ثم قتل المتوكل
واستبد الامراء على الخلفاء وحجروهم واستقل الولاة بالعمالات
في الاطراف وانقطع الخراج منها وتزايد الترف وجاء
المعتصد فغير قوانين الدولة الى قانون اخر من السياسة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

اقطع فيه ولاية الاطراف ما غلبوا عليه مثل بنى سامان وراء
النهر وبنى طاهر العراق وخراسان وبنى الصفار السند وفارس
وبنى طولون مصر وبنى الاغلب افريقية الى ان افترق امر
العرب وغلب العجم واستبدّ بنو بويه والديلم بدولة الاسلام
وحجروا الخلافة وبقى بنو سامان في استبداهم وراء النهر
وتناول الفاطميون من المغرب الى مصر والشام فملكوه
ثم قامت الدولة الساجوقية من الترك فاستولوا على
ممالك الاسلام وابقوا الخلفاء في حجرهم الى ان تلاشت
دولهم واستبدّ الخلفاء منذ عهد الناصر في نطاق اضيق من
هالة القمر وهو عراق العرب الى اصبهان وفارس والبحرين
واقامت الدولة كذلك بعض الشيء الى ان انقرض امر
الخلفاء على يد هولاء بن طولى بن دوشى خان ملك
الطغر والمغل حين غلبوا الساجوقية وملكوا ما كان في
ايديهم من ممالك الاسلام وهكذا يتضايق نطاق كل دولة على
نسبة نطاقها الاول ولا يزال طورا بعد طور الى ان تنقرض الدولة
واعتبر ذلك في كل دولة عظمت او صغرت فهكذا سنّه الله
في الدول الى ان يأتى ما قدر الله من الفناء على خلقه
وكل شئ هالك الا وجهه

فصل في حدوث الدول وتجددها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبدايتها اذا اخذت الدولة المستقرّة في الهرم والانتقاص تكون على نوعين اما ان تستبدّ ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عند ما يتقلص ظلّها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يستجدها لقومه وملك يستقرّ في نصابه ويرثه عنه ابناؤه ومواليه ويستفحل لهم الملك بالتدرّج وربما يزدحمون على ذلك الملك ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستيثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوّة على صاحبه وينزع ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم وتقلص ظلّها عن القاصية فاستبدّ بنو سامان بما وراء النهر وبنو حمدان بالهوصل والشام وبنو طولون ببصر وكما وقع في الدولة الاموية بالاندلس وافترق ملكها في الطوائف الذين كانوا ولائها في الاعمال وانقسمت دولا وملوكا اورثوها من بعدهم من قرابتهم او مواليهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرّة حرب لانهم مستقرون في رياستهم ولا يطعمون في الاستيلاء على الدولة المستقرّة وانما الدولة ادركها الهرم فتقلص ظلّها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس عليها

كما اشرنا اليه او بان يكون صاحب شوكة وعصبية كثيرا
في قومه قد استفحل امره فيهم فيسومو بهم الى الملك وقد
حدّثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة
المستقرّة وما نزل بها من الهرم فيتعيّن له ولقومه الاستيلاء
عليها ويمارسونها بالمطالبة الى ان يظفروا بها ويرثون امرها
كما وقع للساجوقية مع بنى سبكتكين ولبنى مرين
بالمغرب مع الموحددين والله غالب على امره

فصل في ان الدولة المستجدة انما تستولى على الدولة
المستقرّة بالمطاولّة لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية
الاطراف اذا تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهؤلاء
لا تقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر كما قدّمناه لان قصاراهم
القتوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع
الدعاة والخوارج على الدولة وهؤلاء لا بدّ لهم من المطالبة
لان قوتهم وافية بها فان ذلك انما يكون في نصاب يكون
له من العصبية والاعتزاز ما هو كفاء ذلك وواف به
فيقع بينهم وبين الدولة المستقرّة حروب سجال تتكرّر
وتتصل الى ان يقع لهم الاستيلاء والظفر بالمطاولّة ولا يحصل
لهم في الغالب ظفر بالمناجزة والسبب في ذلك ان

الظفر في الحروب إنما يقع غالبا كما قدمناه بامور نفسانية
وهيئة وان كان العدد والسلاح وصدق القتال كفيلا به لكنه
قاصر مع تلك الامور الوهية كما مرّ ولذلك كان الخداع
من انفع ما يستعمل في الحرب واكثر ما يقع الظفر به
وفي الحديث الحرب خدعة والدولة المستقرة قد صيرت
العوائد المألوفة طاعتها ضرورية واجبة كما تقدم في غير
موضع فتكثر بذلك العوائق لصاحب الدولة المستقرة
ويكسر من همم اتباعه واهل شوكته وان كان الاقربون
من بطانته على بصيرة في طاعته وموازرتة الا ان الاخرين
اكثر وقد داخلهم الفشل والكسل بتلك العقائد في التسليم للدولة
المستقرة فيحصل الفتور منهم ولا يكاد صاحب الدولة
المستقرة لذلك يقاوم صاحب الدولة المستقرة فيرجع
الى الصبر والمطاوله حتى يتضح هرم الدولة المستقرة
فتضمحل عقائد التسليم لها من قومه وتنبعث منهم الهمم
لصدق المطالبة معه فيقع الظفر والاستيلاء وايضا فالدولة
المستقرة كثيرة الترف بما استحکم لهم من الملك
وتسوغوه من النعم واللذات واختصوا به دون غيرهم من
اموال الجباية فيكثر عندهم ارتباط الخيول واستجادة الاساحة
وتعظم فيهم الابهة الملكية ويفيض العطاء بينهم من ملوكهم
اختيارا واضطارا فيرهبون بذلك كله عدوهم واهل الدولة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

المستجدة بمعزل عن ذلك لما هم فيه من البداوة واحوال
الفقر والخصاصة التي يفقد معها الاستعداد من ذلك
فيسبق الى قلوبهم اوهام الرعب لما يبلغهم عن احوال الدولة
المستقرة وكثرة استعدادها ويحجمون عن قتالهم من اجل
ذلك فيضطر اميرهم الى المطاولة حتى تأخذ الدولة
المستقرة مأخذها من الهم ويستحكم الخلل فيها في العصبية
والجباية فينتهز حينئذ صاحب الدولة المستجدة فرصته في
الاستيلاء عليها بعد حين منذ المطالبة سنة الله في عباده
وايضا فاهل الدولة المستجدة كلهم مباينون لاهل الدولة
المستقرة بانسابهم وعوائدهم وفي سائر مناحيهم ثم منافرون
لهم ومنابدون بما وقع من هذه المطالبة ويطمعهم في
الاستيلاء عليهم فتتمكن المبادعة بين اهل الدولتين سرا
وجهرا ولا يصل الى اهل الدولة المستجدة خبر عن اهل
الدولة المستقرة يصيبون به غرة فيهم باطنا ولا ظاهرا لانقطاع
المداخلة بين الدولتين فيقيرون على المطالبة وهم معها في
اجام ونكول عن المناجزة حتى اذا تاذن الله بزوال الدولة
المستقرة ونفاد عمرها ووفور الخلل في جميع جهاتها واتضح
لاهل الدولة المستجدة مع الايام ما كان يخفى عنهم من
هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من اعمالها
ونقصوه من اطرافها فتنبعث همهم يدا واحدة للمناجزة

ويذهب ما كان يفت في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي المطاولة الى حدّها ويقع الاستيلاء آخرًا بالمناجزة واعتبر ذلك في دولة بنى العباس عند ظهورها وبدايتها كيف اقام الشيعة بخراسان بعد انعقاد الدعوة واجتماعهم على المطالبة عشر سنين او تزيد وحينئذ تم لهم الظفر واستولوا على الدولة الاموية وكذا العلوية بطبرستان عند ظهور دعوتهم في الديلم كيف كانت مطاولتهم حتى استولوا على تلك الناحية (ثم) لما انقضى امر العلوية وسما الديلم الى ملك فارس والعراقيين فهكثوا سنين كثيرة يطاولون حتى اقتطعوا اصبهان وفارس ثم استولوا على الخليفة ببغداد (وكذا) العبيديّون اقام داعيتهم بالمغرب ابو عبد الله الشيعي بين كتامة من قبائل البربر عشر سنين وتزيد يطاول بنى الاغلب بافريقية حتى ظفر بهم واستولوا على المغرب كله ثم سمو الى ملك مصر فهكثوا ثلاثين سنة او نحوها في طلبها يجهزون اليها العساكر والاساطيل في كل وقت ويجي المدد لهدافتهم برا وبحرا من بغداد والشام وملكوا الاسكندرية والفيوم والصعيد وتخطت دعوتهم من هنالك الى الحجاز واقامت بالحرمين ثم نازل قائدهم جوهر الكاتب بعسكرة مدينة مصر واستولى عليها واقتلع دولة بنى طغج من اصولها واختط القاهرة فجاء خليفته معد المعز لدين الله فنزلها لستين سنة

او نحوها منذ استيلائهم على الاسكندرية (وكذا) الساجوقية
ملوك الترك لما استولوا على بنى سامان واجازوا من وراء
النهر مكثوا نحووا من ثلاثين سنة يطاولون ابن سبكتكين
بخراسان حتى استولوا على دولته ثم زحفوا الى بغداد وعلى
الخليفة بعد ايام من الدهر وكذا الططر من بعدهم خرجوا من
المفازة اعوام سبعة عشر وستماية فلم يتم لهم الاستيلاء الا بعد
اربعين سنة (وكذا) اهل المغرب خرج بهم المرابطون من
لمتونة على ملوكه من مغراوة فطاولوهم سنين حتى
استولوا عليهم (ثم) خرج الموحدون بدعوتهم على لمتونة
فمكثوا نحووا من ثلاثين سنة يحاربونهم حتى استولوا على
كرسيهم بمراكش وكذا بنو مرين من زناتة خرجوا على
الموحدين فمكثوا يطاولونهم نحووا من ثلاثين سنة واستولوا على
فاس واقتطعوها واعمالها من ملكهم ثم اقاموا في محاربتهم
ثلاثين اخرى حتى استولوا على كرسيهم بهراكش حسبما
ذلك كله مذكور في تواريخ هذه الدول (فهكذا) حال
الدول المستجدة مع المستقرة في المطالبة والهطولة سنة الله
في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا (ولا يعترض) ذلك بما
وقع في الفتوحات الاسلامية وكيف كان الاستيلاء على فارس
والروم لثلاث او اربع من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
واعلم ان ذلك انها كان معجزة من معجزات نبينا صلى الله

عليه وسلم سرها استهانة المسلمين في جهاد عدوهم استبصارا (1)
بالايمان من غير مطاولة وما اوقع الله في قلوب عدوهم
كفى ذلك من الرعب والتخاذل فكان ذلك كله خارقا للعادة
المعلومة في مطاولة الدولة المستجدة المستقرة واذا كان
ذلك خارقا فهو من معجزات نبينا صلوات الله وسلامه
عليه المتعارف ظهورها في الملة الاسلامية والمعجزات
لا يقاس عليها الامور العادية ولا يعترض بها

فصل في وفور العمران وواخر الدول وما يقع فيها من كثرة
الموتان والمجاعات

انه قد تقرر لك فيما سلف ان الدول في اول امرها لا بد
من الرفق في ملكتها والاعتدال في اياالتها اما من الدين
ان كانت الدعوة دينية او من المكارمة والمحاسنة التي
تقتضيها البداوة الطبيعية للدول واذا كانت الهلكة رقيقة
محسنة انبسطت آمال الرعايا وانتشطوا للعمران واسبابه
فتوفر وكثر التناسل واذا كان ذلك كله بالتدريج فانها يظهر
اثره بعد جيل او جيلين في الاقل وفي انقضاء الجيلين
تشرف الدولة على نهاية امرها الطبيعي فيكون حينئذ
العمران في غاية الوفور والنهاء ولا تقولن انه قد مر لك

(1) Man. D. استبصارا.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ان اواخر الدول يكون فيها الاجفاف بالرعايا وسوء الهلكة
فذلك صحيح ولا يعارض ما قلناه لان الاجفاف وان
حدث حينئذ وقلت الجبايات فانما يظهر اثره في تناقص
العمران بعد حين من اجل التدرج في الامور الطبيعية (ثم)
ان المجاعات والموتان تكثر عند ذلك في اواخر الدول
والسبب فيه اما المجاعات فلقبض الناس ايديهم عن الفلاح
في الاكثر بسبب ما يقع في اواخر الدول من العدوان
في الاموال والجبايات والبياعات بالمكوس او من الفتن
الواقعة في انتقاص الرعايا وكثرة الخواارج لهرم الدولة
فيقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر
الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الامطار
وقلتها مختلفة والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر الزرع
والثمار والضرع على نسبه الا ان الناس واثقون في اقواتهم
بالاحتكار فاذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فغلى
الزرع وعجز عنه اولو الخصاصة فهلكوا او كان بعض
السنوات والاحتكار مفقود فشمّل الناس الجوع (واما) كثرة
الموتان فلها اسباب من كثرة المجاعات كما ذكرناه او
كثرة الفتن لاختلال الدول فيكثر الهرج والقتل او وقوع الوباء
وسببه في الغالب فساد الهواء بكثرة العمران لكثرة ما يخالطه
من العفن والرطوبات الفاسدة واذا فسد الهواء وهو غذاء

الروح الحيوانى وملابسه دائما فيسرى الفساد الى مزاجه
فان كان الفساد قويا وقع المرض في الريبة وهذه هي
الطواعين وامراضها مخصوصة بالريبة وان كان الفساد دون
القوى والكثير فيكثر العفن به ويتضاعف فتكثر الحميات
في الامزجة وتعرض الابدان وتهلك وسبب كثرة العفن
والرطوبات الفاسدة في هذا كله كثرة العمران ووفرة آخـر
الدولة بما كان في اوائلها من حسن الملكة ورفقها وعظم
الحماية وقلة المغرم وهو ظاهر ولهذا تبين في موضعه في
الحكمة ان تخلل الخلاء والقفر بين العمران ضرورى ليكون
تموج الهواء يذهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعفن
بمخالطة الحيوانات ويأتى بالهواء الصحيح ولهذا ايضا فان
الموتان يكون في المدن الوفيرة العمران اكثر من غيرها بكثير
كمصر بالمشرق وفاس بالمغرب والله يقدر ما يشاء

فصل في ان العمران البشرى لا بد له من سياسة
ينتظم بها امره

انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع البشرى ضرورى
وهو معنى العمران الذى نتكلم فيه وانه لا بد لهم في الاجتماع
من وازع وحاكم يرجعون اليه وحكمه فيهم تارة يكون مستندا
الى شرع منزل من عند الله يوجب انقيادهم اليه وايمانهم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoon.

بالشواب والعقاب الذي جاء به مبلغه وتارة الى سياسة عقلية يوجب انقيادهم اليها ما يتوقعونه من ثواب ذلك الحاكم بعد معرفته بمصالحهم فالاولى يحصل نفعها في الدنيا والآخرة لعلم الشارع بالمصالح في العاقبة ولمراعاته نجات العباد في الآخرة والثانية انما يحصل نفعها في الدنيا فقط وما تسمعه من السياسة المدنية فليس من هذا الباب وانها معناه عند الحكماء ما يجب ان يكون عليه كل واحد من اهل ذلك المجتمع في نفسه وخلقه حتى يستغنوا عن الحكم رأسا ويسمون المجتمع الذي يحصل فيه ما ينبغي من ذلك بالمدينة الفاضلة والقوانين المراعاة في ذلك بالسياسة المدنية وليس مرادهم السياسة التي يحمل عليها اهل الاجتماع بالاحكام للمصالح العامة فان هذه غير تلك وهذه المدينة الفاضلة عندهم نادرة او بعيدة الوقوع وانما يتكلمون عليها على جهة الفرض والتقدير (ثم) ان السياسة العقلية التي قدمناها تكون على وجهين احدهما تراعى فيه المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص وهذه كانت سياسة الفرس وهي على وجه الحكمة وقد اغنانا الله عنها في الهمة ولعهد الخلافة لان احكام الشريعة مغنية عنها في المصالح العامة والخاصة والآداب واحكام الملك مندرجة فيها الوجه الثاني ان تراعى فيها

مصاححة السلطان وكيف يستقيم فيه الملك مع القهر
والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذه تبعاً وهذه السياسة
هي التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وكافر إلا أن
ملوك المسلمين يجرون منها على ما تقتضيه الشريعة
الإسلامية بحسب جهدهم فقوانينها أذن مجتمعة من أحكام
شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية وأشياء
من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية والافتداء فيها بالشرع
أولاً ثم بالحكماء في آدابهم والملوك في سيرهم ومن
أحسن ما كتب في ذلك وأوعبه كتاب طاهر بن
الحسين قائد الهامون لابنه عبد الله بن طاهر لما ولاه المأمون
الرقّة ومصر وما بينهما (فكتب) إليه أبوه طاهر كتابه المشهور
عهد إليه فيه ووصاه بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه
من الآداب الدينية والخلقية والسياسات الشرعية والملوكية
وحثه على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم بما لا يستغنى عنه
ملك ولا سوقة ونص الكتاب منقولاً من كتاب الطبري
وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فعليك بتقوى
الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل ومزايلته
سخطه وحفظ رعيته في الليل والنهار والنزوم ما البسك
الله من العافية بالذكر لمعادك وما أنت سائر إليه وموقوف
عليه ومسؤول عنه والعهل في ذلك كله بها يعصمك الله

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عزّ وجلّ وينجيك يوم القيامة عن عقابه واليم عذابه فان الله سبحانه قد احسن اليك واوجب عليك الرأفة بمن استرعاك امرهم من عبادة والزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم والدفع عن حريمهم وبيضتهم والحقن لدمائهم والامن لسبلهم وادخال الراحة عليهم ومواخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومشيبيك عليه بما قدّمت واخرت وفرغ لذلك فهمك وعقلك وبصرك ولا يشغلك عنه شاغل فانه رأس امرك وملاك شأنك واول ما يوفقك الله عزّ وجلّ به لرشدك وليكن اول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعلك المواظبة على ما افترض الله عزّ وجلّ عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس قبلك وتوقعها على سننها في اسبغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عزّ وجلّ فيها وترتل في قرأتك وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ولتصدق فيها لربك نيتك واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك وادب عليها فانها كما قال الله عزّ وجلّ تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم اتبع ذلك بالاحذ بسنن رسول الله صلعم والمثابرة على خلائقه واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك امر فاستعن عليه باستخارة الله عزّ وجلّ وتقواه وبلزوم ما انزل الله عزّ وجلّ في كتابه من

امره ونهيه وحلاله وحرامه واتهام ما جاءت به الآثار عن
 رسول الله صلعم ثم قم فيه بما يحق الله عز وجل عليك
 ولا تميلن عن العدل فيما احسبت او كرهت لقريب من
 الناس او بعيد وائر الفقه واهله والدين وحملته وكتاب الله
 عز وجل والعالمين به فان افضل ما تزين به المرء الفقه
 في الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به
 منه الى الله عز وجل فانه الدليل على الخير كله والقائد اليه
 ولامر به والناهي عن المعاصي والهويقات كلها وبها مع
 توفيق الله عز وجل يزداد العبد معرفة له واجلالا له ودركا
 للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوفيق
 لامرك والهيبة لسلطانك وكرامته بك والثقة بعدلك
 وعليك بالاقتصاد في الامور كلها فليس شئ ابين نفعا
 ولا احضر امنا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشده
 والرشده دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام
 الدين والسنن الهادية بالاقتصاد فآثره في دنياك كلها
 ولا تقصر في طلب الآخرة والاعمال الصالحة والسنن المعروفة
 ومعالم الرشده ولا غاية للاستكثار في البر والسعي له اذا كان
 يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة اولياء الله تعالى
 في دار كرامته واعلم ان القصد في شأن الدنيا يورث العز
 ويحصن من الذنوب وانك لن تحوط نفسك ومرتبتهك

ولا تستصالح امورك بافضل منه فإنه واهتد به تتم امورك
وتزبد مقدرتك وتصالح خاصتك وعامتك واحسن ظنك
بالله عز وجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه في
الامور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن احدا من
الناس فيما توليه من عملك قبل ان تكشف امره فان
ايقاع التهم بالبراء والظنون السنة بهم مائم فاجعل من
شأنك حسن الظن باصحابك واطرد عنك سوء الظن
بهم وارفضه فيهم يغنيك ذلك عن اضطاعهم ورياضتهم
ولا يجدن عدو الله الشيطان في امرك مغترا فانه انما
يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم في
سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك واعلم انك تجد بحسن
الظن قوة وراحة وتكتفى به ما احسبت كفايته من امورك
وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الامور كلها
ولا يمنعك حسن الظن باصحابك والرافة برعيتك ان
تستعمل المسئلة والبحث عن امورك والمباشرة لامور الاولياء
والحيطة للرعية والنظر فيما يقيمها وبصاحبها بل تكن المباشرة
لامور الاولياء والحيطة للرعية في النظر في حوائجهم وحمل
مؤناتهم اثر عندك مما سوى ذلك فانه اقوم للدين واحيا
للسنة واخلص نيتك في جميع هذا وتفرد بتقويم نفسك
تفرد من يعلم انه مسئول عما صنع ومجزى بما احسن

وماخوذ بما اساء فان الله عز وجل جعل الدين عزا وحرزا
ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج
الدين وطريق الهدى واقم حدود الله تعالى في اصحاب
الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك
ولا تشهاون فيه ولا تؤخر عقوبة اهل العقوبات فان في
تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعزم
على امرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع
والشبهات يسلم لك دينك وتقم مروءتك واذا عاهدت
عهدا فف به واذا وعدت الخير فانجزه واقبل الحسنة
وادفع بها واغضض عن كل عيب ذي عيب من رعيتك
واسدد لسانك عن قول الكذب والزور وابغض اهل النميمة
فان فساد امورك في عاجلها وآجلها تقرب الكذب
والجراءة على الكذب لان الكذب رأس المائم والزور والنميمة
خاتمها لان النميمة لا يسلم صاحبها وقابلها لا يسلم له صاحب
ولا يستقيم لطبعها امر وأجب امر الصلاح والصدق واعن
الاشراف بالحق وواصل الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك
وجه الله تعالى واعزاز امره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة
واجتنب سوء الاهواء والجور واصرف عنهما رايتك واطهر
براءتك لرعيتك وانعم بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم
وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى واملك

نفسك عن الغضب وأثر الوقار والحلم وإيّاك والحدّة
والطيش والغرور فيما انت بسبيله وإيّاك ان تقول انا مسلّط
افعل ما اشاء فانّ ذلك سريع فيك الى نقص الرأى
وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له واحلص لله النية فيه
واليقين به واعلم ان الملك لله يؤتبه من يشاء وينزعه ممن
يشاء ولن تجد تغيير النعمة وحلول النعمة الى احد اسرع منه
الى جهلة النعمة من اصحاب السلطان والمبسوط لهم في
الدولة اذا كفروا نعم الله عزّ وجلّ واحسانه واستطالوا بها اتاهم
الله عزّ وجلّ من فضله ودّع عنك شره نفسك ولتكن
ذخائر كوكوزك التي تذخر وتكثر البرّ والتقوى والعدل
واستصلاح الرعيّة وعمارة بلادهم والتفقد لامورهم والحفظ
لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الاموال اذا كثرت
وذخرت في الخزائن لا تثمر واذا كانت في صلاح الرعيّة
واعطاء حقوقهم وكفّ المؤنة عنهم نمت وزكت وصاحت
العامة وتزيّنت به الولاة وطاب الزمان واعتقد فيه العزّ
والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الاموال في عمارة الاسلام
واهلكه وفرق منه على اولياء امير المؤمنين قبلك حقوقهم
واوف رعيّتك من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح امورهم
ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرّرت النعمة عليك
واستوجبت المزيد من الله تعالى وكنت بذلك في جباية

خراجك وجمع اموال رعيتك وعملك اقدر وكان الجميع
 لما شملهم من عدلك واحسانك اسكن لطاعتك واطيب
 نفسا بكل ما اردت فاجهد نفسك بما حددت لك في
 هذا الباب وليعظم خشيتك فيه فانما يبقى من الهال ما
 انفق في سبيل الله حقه واعرف للشاكرين شكرهم
 واثبهم عليه واياك ان تنسيك الدنيا وغورها هول الآخرة
 فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط
 والتفريط يورث البوار وليكن عملك لله عز وجل وارج الثواب
 فان الله سبحانه قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا وظهر
 لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا
 واحسانا فان الله عز وجل يشيب بقدر شكر الشاكرين
 وسيرة المحسنين وقضى الحق فيما حمل من النعم والبس
 من الكرامة ولا تحقرن ذنبا ولا تمالين حاسدا ولا ترحمين
 فاجرا ولا تصلين كفورا ولا تداهنين عدوا ولا تصدقن نماما
 ولا تأمنين غدارا ولا توالين فاسقا ولا تستبعن غاوبا ولا تحمدن
 مرأيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن
 باطلا ولا تلاحظن مضحكا ولا تخلفن موعدا ولا ترهبين فخرا
 ولا تظهرن غضبا ولا تأتين بذخا ولا تمشين مرحا ولا تزكين
 سفيها ولا تفرطن في طلب الآخرة ولا تدفع الايام عتابا
 ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه او محاباة ولا تطلبين ثواب

الآخرة في الدنيا وأكثر مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك
بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقول والرأى
والحكمة ولا تدخلن في مشورتك أهل الرفه والبخل
ولا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من نفعهم وليس شئ
أسرع فسادا لما استقبلت فيه امر رعيتك من الشخ واعلم
انك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية
واذا كنت كذلك لم يستقم لك امرك الا قليلا فان
رعيتك أنها تعتقد على محبتك بالكف عن اموالهم
وترك الجور عليهم ووال من صفا لك (1) من اوليائك
بالافضال عليهم وحسن العطية لهم فاجتنب الشخ واعلم
انه اول ما عصى به الانسان ربه وان العاصى بمنزلة خزي
وهو قول الله عز وجل ومن يوق شخ نفسه فاولئك هم
المفاحون سهل طريق الجور بالحق واجعل للمسلمين
كلهم من فيئك حظا وايقن ان الجود من افضل اعمال
العباد فاعده لنفسك خلقا وسهل طريق الجور بالحق
وارض به عيلا ومذهبا وتفقد الجند في دوائهم ومكاتبهم
وأدر (2) عليهم ارزاقهم ووسع عليهم في معاشهم ليذهب الله
عز وجل بذلك فاقبتهم فيقوى لك امرهم وتزيد قلوبهم
في طاعتك وامرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان

(1) يدوم صفا اوليائك لك M. C. et D.

(2) ادر M. A. B. et C.

من السعادة ان يكون على جنده ورعيته رحمة في عدله
 وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسعته فزاييل مكروه
 احد البابين باستشعار فضيلة الباب الاخر ولزوم العمل به
 تلق ان شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا واعلم ان القضاء
 من الله تعالى بالمكان الذي ليس به شئ من الامور لانه
 ميزان الله الذي تعادل عليه احوال الناس في الارض
 وباقامة الفضل والعدل في القضاء تصالح احوال الرعية وتامن
 السبل وينتصف المظلوم ممن ظلم وتأخذ الناس حقوقهم
 وتحسن المعيشة وتؤدي حق الطاعة ويرزق الله العافية
 والسلامة ويقوم الدين وتجري السنن والشرايع على مجاريها
 بتنجيز الحق في القضاء واشتد في امر الله عز وجل وتورع
 من التطفيف وامض لاقامة الحدود واقلل العجلة وابعد
 عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وليسكن ربحك ويقر
 حدك وانتفع بتجربتك وانتبه في صمتك واشدد في
 منطقتك وانصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ في الحجّة
 ولا تاخذك في احد من رعيته محاباة ولا مجاملة
 ولا لومة لائم وتثبت وتأنّ وراقب وانظر وتفكر وتدبر واعتبر
 وتواضع لربك وارفق بجميع الرعية وسلط الحق على
 نفسك ولا تسرع الى سفك دم فانّ الدماء من الله عز
 وجل بمكان عظيم انتهاكها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذي

استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعته ولاهله
توسعة ومنعة ولعدوة وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من
معاهدتهم ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابه بالحق والعدل
والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شئا عن شريف لشرفه
وعن غنى لغناه ولا عن كاتب لك ولا عن احد من
خاصتك ولا حاشيتك ولا تاخذن منه فوق الاحتمال ولا
تكلفن امرا فيه شظا واحمل الناس كلهم على مـ الحق فان
ذلك اجمع لالفهم والزم للرضاء العامة واعلم انك جعلت
بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمي اهل عملك
رعيتك لانك راعيتهم وقيمهم فخذ منهم ما اعطوك من عفوهم
وتنفذه في قوام امرهم وصلاحهم وتقويم اودهم واستعمل عليهم
ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة والعلم بالسياسة
والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق
للأزمة لك فيما تقلدت واسند اليك ولا يشغلنك عنه
شاغل ولا يصرفنك عنه صرف فانك متى اثرته وقمت
فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن
الاحدوثة فى عملك واجتررت (1) به المحبة من رعيتك
واعنت على الصلاح فدرت الخيرات ببلدك وفشنت
العمدة بناحيتك وظهر الخصب فى كورك وكثر خراجك

(1) Man. D. احرزت.

وتوفرت اموالك وقويت بذلك على ارتضاء جنديك
وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت مجود
السياسة مرضى العدل في ذلك عند عدوك وكنت في
امورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس في هذا ولا
تقدم عليه شئاً تخمد مغبة امرك ان شاء الله واجعل في
كل كورة من عملك امينا يخبرك اخبار عمالك
ويكتب لك بسيرهم واعمالهم حتى كأنك مع كل عامل
في عمله معين لاموره كلها وان اردت ان تأمرهم بامر
فانظر في عواقب ما اردت من ذلك فان رايت السلامة
فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والنصح والصنع فأمنه
والآفتوقف عنه وراجع اهل البصر والعلم به ثم خذ فيه
عدته فانه ربما نظر الرجل في امر من امره وقد اناه على ما
يهوى فاغواه ذلك واعجبه فان لم ينظر في عواقبه اهلكه
ونقض عليه امره فاستعمل الحزم في كل ما اردت وباشره
بعد عون الله بالقوة واكثر من استخارة ربك في جميع
امورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره واكثر مباشرته
بنفسك فان لغد امورا وحوادث تلهيك عن عمل يومك
الذي اخرجت واعلم ان اليوم اذا مضى ذهب ما فيه فاذا
اخرجت عمله اجتمع عليك عمل يومين فيثقلك ذلك
حتى تمرض منه واذا امضيت لكل يوم عمله ارحت بدنك

PROLÉGOMÈNES
d'Ebu-Khaldoun.

ونفسك واحكمت امور سلطانك وانظر احرار الناس وذوى
السن منهم فمن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت موذتهم لك
ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم
واحسن اليهم وتعاهد اهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم
الحاجة فاحتمل مؤنتهم واصلاح حالهم حتى لا يجدوا
لخلتهم مسا وافرد نفسك للنظر فى امور الفقراء والمساكين
ومن لا يقدر على رفع مظلمته اليك والمحتقر الذى لا علم
له بطلب حقه فسئل له عنه اخفى مسئلة ووكل بامثاله
اهل الصلاح من رعيتك ومُرهم برفع حوائجهم وحالاتهم
اليك لتنظر فيها بما يصلح الله به امرهم وتعاهد ذوى
البأساء ويتامهم واراملهم واجعل لهم ارزاقا من بيت الهال
اقتداء بأمير المؤمنين اعزه الله تعالى فى العطف عليهم
والصلة لهم ليصالح الله تعالى بذلك عيشهم ويرزقك
الله به بركة وزيادة وأجر للاضراء من بيت المال وقدم
حملة القران منهم والحافظين لاكثره فى الجراية على
غيرهم وانصب لمرضى المسلمين دورا توويهم وقواما يرفقون
بهم واطباء يعالجون اسقامهم واسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد
ذلك الى سرف فى بيت المال واعلم ان الناس اذا
اعطوا حقوقهم وافضل امانيتهم لم يرضهم ذلك ولم تطب
انفسهم دون رفع حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة

وفضل الرفق منهم وربها يبرم المتصفح لأمور الناس لكثرة
 ما يرد عليه ويشغل ذهنه وفكره فيها مما يناله به مؤنة
 ومشقة وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره
 في العاجل وفضل ثواب الآجل كالذي يستقبل ما يقربه
 إلى الله ويلتمس رحمته فكثر الأذن للناس عليك وأرهم
 وبرز لهم وجهك سكن لهم حراسك وانخفض لهم جناحك
 وظهر لهم بشرك ولن لهم في المسئلة والنطق واعطف
 عليهم بجودك وفضلك وإذا اعطيت فاعط بسماحة وطيب
 نفس والتماس للصنعة والأجر من غير تكدير ولا امتنان فان
 العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى واعتبر بها
 ترى من أمور الدنيا ومن مضى من قبلك من أهل
 السلطان والرياسة في القرون الخالية والامم البائدة ثم اعتصم
 في أحوالك كلها بأمر الله سبحانه وتعالى والوقوف عند
 محبته والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه
 واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله
 واعرف ما يجمع عمالك من الأموال وينفقون منها
 ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء
 ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها
 وإيثار مكارم الاخلاق ومعاليها وليكن أكرم دخلائك عليك
 وخاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك فلا تمنعه هيبتك

PROLÉGOMÈNES
l'Ebn-Khaldoun.

من انهاء ذلك اليك في سرّ واعلامك ما فيه من النقص
فان اولئك انصح اوليائك ومظاهريك لك وانظر
عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل
منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه وموامراته وما
عنده من حوائج اعمالك وامور كورك ورعيّتك ثم فرغ لما
يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك وعقلك
وكرر النظر فيه والتدبير له فما كان موافقا للحق والحزم
فامضه واستخر الله عزّ وجلّ فيه وما كان مخالفا لذلك
فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمنن على رعيّتك
ولا على غيرهم به معروف توثيه اليهم ولا تقبل من احد الا
الوفاء والاستقامة والعون في امور المسلمين ولا تضعن المعروف
الا على ذلك وتفهم كتابي اليك واكثر النظر فيه
والعمل به واستعن بالله على جميع امورك واستخره فانّ
الله عزّ وجلّ مع الصالح واهله وليكن اعظم سيرتك
وافضل رغبتك ما كان لله عزّ وجلّ رضى ولدينه نظاما
ولا هله عزّا وتمكيننا ولاهلة والذمة عدلا وصلاحا وانا اسأل
الله عزّ وجلّ ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك
وكلاتك والسلام (وحدّث) الاخباريون ان هذا الكتاب لما
ظهر وشاع امره اعجب به الناس واتصل بالمأمون ولما قرئ
عليه قال ما ابقي ابو الطيب يعنى طاهرا شيئا من امر الدنيا

والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعيّة
وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه
واوصى به ثم امر المامون فكتب به الى جميع العمال في
النواحي ليقتدوا به ويعملوا بما فيه هذا احسن ما وقفت
عليه في هذه السياسة والله يلهم من يشاء من عباده

فصل في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه
وكشف الغطاء عن ذلك

ان من المشهور بين الكافة من اهل الاسلام على مرّ الاعصار
انه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من اهل البيت يؤيد
الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولى على الهالك
الاسلامية ويسمى بالمهدى ويكون خروج الدجال وما بعده
من اشراط الساعة الثابتة في الصحيح على اثره وان عيسى
ينزل من بعده فيقتل الدجال او ينزل معه فيساعده على قتله
ويأتّم بالمهدى في صلاته ويحتجّون في الباب باحاديث
خرّجها الايّمّة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها
ببعض الاخبار وللمتصوّفة المتأخّرين في امر هذا الفاطمي
طريقة اخرى ونوع من الاستدلال وربما يعتهدون في ذلك
على الكشف الذي هو اصل طريقتهم ونحن الآن نذكر هنا
الاحاديث الواردة في هذا الباب وما للمتكريين فيها من

PROLÉGOMÈNES
d Ebn-Khāldouni.

الطاعن وما لهم في انكارهم من المستند ثم نتبعه بذكر
كلام المتصوفة واراؤهم ليتبين لك الصحيح من ذلك
ان شاء الله تعالى فنقول ان جماعة من الائمة خرجوا
احاديث المهدي منهم الترمذي وابو داود والبزار وابن
ماجة والحاكم والطبراني وابو يعلى الهوصلي واسندوها
الى جماعة من الصحابة مثل على وابن عباس وابن عمر
وطاححة وابن مسعود وابي هريرة وانس وابي سعيد الخدري
وام حبيبة وام سلمة وثوبان وقرّة بن اياس وعلى الهلالي
وعبد الله بن الحارث ابن جزء باسانيدي رتبها تعرض لها
المنكرون كما نذكره الآن لان المعروف عند اهل
الحديث ان الجرح مقدّم على التعديل فاذا وجدنا طعنا
في بعض رجال الاسناد بغفلة او سوء حفظ او قلة ضبط او
ضعف او سوء رأى تطرق ذلك الى صحة الحديث
واوهن منه ولا تقولن ان مثل ذلك ربما يتطرق الى
رجال الصحيحين فان الاجماع من المحدثين على صحة ما
فيها كما ذكره البخاري ومسلم والاجماع ايضا قد اتصل
في الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيها وفي الاجماع
اعظم حماية واحسن دفع وليس غير الصحيحين بمثابةها في
ذلك فقد نجد مجالا للكلام في اسانيدهما لها نقل عن
ائمة الحديث في ذلك ولقد توغل ابو بكر بن ابي

خيثة على ما نقل السهيلي عنه في جمعه للاحاديث الواردة في المهدي فقال ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكاف في فوائد الاخبار مسندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر (1) عن جابر قال قال رسول الله صلعم من كذب بالمهدي فقد كفر ومن كذب بالدجال (2) فقد كذب وقال في طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما احسب وحسبك بهذا غلوا والله اعلم بصحة طريقه الى مالك بن انس على ان ابا بكر الاسكاف عندهم متهم وضاع واما الترمذي فخرج هو وابو داود بسندهما الى ابن مسعود من طريق عاصم بن ابي النجود احد القراء السبعة عن زر بن ابي حبيش عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلعم لو لم يبق من الدنيا الا يوم قال زائدة لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل متى او من اهل بيتي يواطى اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي هذا لفظ ابي داود وسكت عليه وقال في رسالته المشهورة ان ما سكت عليه في كتابه فهو صالح ولفظ الترمذي لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من اهل بيتي يواطى اسمه اسمي وفي لفظ اخر حتى يلي رجل من اهل بيتي وقال في كليهما حديث حسن صحيح ورواه ايضا من طريق

(1) Man. A. et B. المنكدر.

(2) Man. A. B. C. الدخان.

PROLÉGOMÈNES
l'Ebn-Khaldoun.

عاصم موقوفا على ابي هريرة وقال الحاكم رواه الثوري
وشعبة وزائدة وغيرهم من ائمة المسلمين عن عاصم قال
وظرق عاصم عن زر عن عبد الله كلها صحيحة على ما
اصلته من الاحتجاج باخبار عاصم اذ هو امام من ائمة
المسلمين انتهى الا ان عاصم قال فيه احمد بن حنبل كان
رجلا صالحا قارئا للقران خيرا ثقة والاعمش احفظ منه وكان
شعبة يختار الاعمش عليه في تثبيت الحديث وقال
العجلي كان يختلف عليه في زروابي وائل يشير بذلك
الى ضعف روايته عنهما وقال محمد بن سعد كان ثقة الا انه
كثير الخطاء في حديثه وقال يعقوب بن سفيان في حديثه
اضطراب وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم قلت لابي ان
ابا زرعة يقول عاصم ثقة فقال ليس محله هذا وقد تكلم
فيه ابن علية فقال كل من اسمه عاصم سيى الحفظ وقال
ابو حاتم محله عندي محل الصدق صالح الحديث ولم
يكن بذلك الحافظ واختلف فيه قول النسائي وقال ابن
خراش في حديثه نكرة وقال ابو جعفر العقيلي لم يكن فيه
الا سوء الحفظ وقال الدارقطني في حفظه شئ وقال يحيى
القطان ما وجدت رجلا اسمه عاصم الا وجدته ردى الحفظ
وقال ايضا سمعت شعبة يقول حدثنا عاصم ابن ابي
النجدود وفي النفس ما فيها وقال الذهبي ثبت في القراءة

وهو في الحديث دون الثبت صدوق بهم وهو حسن
الحديث وان احتج احد بان الشيخين اخرجاه له فانما
اخرجاه له مقرونا بغيره لا اصلا والله اعلم (وخرج) ابو داود
في الباب عن علي رضي الله عنه من رواية فطر ابن
خليفة بالفاء عن القاسم بن ابي بزة عن ابي الطفيل عن
علي عن النبي صلعم قال لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث
الله رجلا من اهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جورا وفطر بن
خليفة وان وثقه احمد ويحيى ابن القطان وابن معين
والنسائي وغيرهم الا ان العجلي قال حسن الحديث وفيه
تشيع قليل وقال ابن معين مرة ثقة شيعي وقال احمد
بن عبد الله بن يونس كنا نمر على فطر وهو مطروح
لا نكتب عنه وقال مرة كنت امر به وادعه مثل الكلب
وقال الدارقطني لا يحتج به وقال ابو بكر بن عياش ما
تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه وقال الجوزجاني زايع غير
ثقة انتهى (وخرج) ابو داود ايضا بسنده الى علي رضي الله
عنه عن هرون بن المغيرة عن عمرو بن ابي قيس عن
شعيب بن خالد عن ابي اسحق السبيعي قال قال علي
ونظر الى ابنه الحسن فقال ان ابني هذا سيد كما سماه
رسول الله صلعم سيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم
يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق ثم ذكر قصة يملأ

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

لارض عدلا وقال هرون حدثنا عمرو بن ابي قيس عن
مطرف بن طريف عن ابي الحسن عن هلال بن عمرو
سمعت عليا يقول قال النبي صلعم يخرج رجل من وراء
النهر يقال له الحارث على مقدمته رجل يقال له منصور
يوطى او يمكن لآل مجد كما مكنت قريش لرسول الله
وجب على كل مؤمن نصره او قال اجابته سكت عليه ابو
داود وقال في موضع اخر في هرون هو من الشيعة وقال
السليمانى فيه نظر وقال ابو داود في عمرو بن ابي قيس
لا بأس به في حديثه خطأ وقال الذهبي صدوقا له اوهام
واما ابو اسحق السبيعي وان خرج عنه في الصحيحين فقد
ثبت انه اختلط آخر عمره وروايته عن علي منقطعة وكذا
رواية ابي داود عن هرون بن المغيرة اما السند الثاني فابو
الحسن فيه وهلال بن عمرو مجهولان ولم يعرف ابو الحسن
الا من رواية مطرف بن طريف عنه انتهى (وخرج) ابو
داود ايضا عن أم سلمة وكذا ابن ماجة والحاكم في
المستدرک من طريق علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب
عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلعم يقول المهدي
من عترتي من ولد فاطمة لفظ ابي داود وسكت عليه ولفظ
ابن ماجة المهدي من ولد فاطمة ولفظ الحاكم سمعت
رسول الله صلعم يذكر المهدي فقال نعم هو حق

وهو من بنى فاطمة ولم يتكلم عليه بتصحيح ولا غيره وقد
ضعفه أبو جعفر العقيلي وقال لا يتابع علي بن نفيل عليه
ولا يعرف الآبه (وخرج) أبو داود أيضا عن أم سلمة من
رواية صالح أبي الخليل عن صاحب له عن أم سلمة عن
النبي صلعم قال يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج
رجل من أهل المدينة هاربا إلى مكة فيأتيه ناس من أهل
مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام
ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين
مكة والمدينة فاذا رأى الناس ذلك اتاه ابدال الشام
وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش
أحواله كلب فيبعث عليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك
بعث كلب والخبيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال
ويعمل في الناس بسنة نبهم ويلقى الإسلام بجرانه إلى
الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون
قال أبو داود قال بعضهم عن هشام تسع سنين وقال بعضهم
سبع سنين ثم رواه أبو داود من رواية أبي الخليل عن عبد
الله بن الحارث عن أم سلمة فتبين بذلك المبهم في
الأسناد الأول ورجاله رجال الصحيحين لا مطعن فيهم ولا مغز
وقد يقال أنه من روايه قتادة عن أبي الخليل وقتادة مدلس
وقد عنعه والمدلس لا يقبل من حديثه إلا ما صرح فيه أبو

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

داود في ابوابه (وخرج) ابو داود ايضا وتابعه الحاكم عن
ابى سعيد الخدرى من طريق عمران القطان عن قتادة
عن ابى نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول
الله صلعم المهدي منى اجلا الجبهة اقنى الانف يملا
الارض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يملك سبع
سنين هذا لفظ ابى داود وسكت عليه ولفظ الحاكم
المهدي منى اهل البيت اشتم الانف اقنا اجلا يملا الارض
قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما يعيش هكذا وبسط
يساره واصبعين من يمينه السبابة والابهام وعقد ثلاثة قال
الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه
انتهى وعمران القطان مختلف في الاحتجاج به وانما
اخرج له البخارى استشهادا لا اصلا وقال يحيى القطان
لا يحدث عنه وقال يحيى بن معين ليس بالقوى وقال
مرة ليس بشئ وقال احمد بن حنبل ارجو ان يكون صالح
الحديث وقال يزيد بن زريع كان حروريا وكان يرى
السيوف على اهل القبلة وقال النسائي ضعيف وقال ابو
عبيد الاجرى سألت ابا داود عنه فقال من اصحاب
الحسن وما سمعت الا خيرا وسمعت ذكره مرة اخرى فقال
ضعيف افتى في ايام ابراهيم بن عبد الله بن حسن بفتوى
شديدة فيها سفك الدماء (وخرج) الترمذى وابن ماجه

والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون
 بعد نبينا حدث فسالنا نبي الله فقال ان في امتي المهدي
 يخرج يعيش خمسا او سبعا او تسعا زيد الشاك قال قلنا
 وما ذاك قال سنين قال فيجئ اليه الرجل فيقول يا مهدي
 اعطني قال فيحشي له في ثوبه ما استطاع ان يحمله لفظ
 الترمذتي وهذا حديث حسن وقد روى من غير وجه عن
 ابي سعيد الخدري عن النبي صلعم ولفظ ابن ماجه
 والحاكم يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع والآ
 فتسع فتتعم فيه امتي نعمة لم يسعوا مثلها قط توتى
 الارض اكلها ولا تذخر منهم شأ والماء يومئذ كدوس فيقوم
 الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول انتهى وزيد العمري
 وان قال فيه الدارقطني واحمد بن حنبل ويحيى بن
 معين انه صالح وزاد احمد انه فوق يزيد الرقاشي وفضل
 بن عيسى الا انه قال فيه ابو حاتم ضعيف يكتب حديثه
 ولا يحتج به وقال يحيى بن معين في رواية اخرى
 لا شئ وقال مرة يكتب حديثه وهو ضعيف وقال
 الجوزجاني متهاسك وقال ابو زرعة ليس بقوي واهي
 الحديث ضعيف وقال ابو داود ليس بذاك وقد حدث
 عنه شعبة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي عامة ما
 يرويه ومن يروى عنهم ضعفاء على ان شعبة قد روى عنه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ولعل شعبة لم يرو عن اضعف منه وقد يقال ان حديث
الترمذى وقع تفسيراً لما رواه مسلم فى صحيحه من حديث
جابر قال قال رسول الله صلعم يكون فى آخر امتى خليفة
يحشى المال حثيا لا يعده عدّا ومن حديث ابى سعيد قال
من خلفائكم خليفة يحشوا المال حثيا ومن طريق اخر
عنهما قال يكون فى آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده
انتهى واحاديث مسلم لم يقع فيها ذكر المهدي ولا دليل
يقوم على انه المراد بها ورواه الحاكم ايضا من طريق
عوف الاعرابى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد
الخذرى قال قال رسول الله صلعم لا تقوم الساعة حتى
تملاً الارض ظلماً وجوراً وعدواناً ثم يخرج من اهل بيتى
من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً وقال فيه
الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه ورواه الحاكم ايضا من طريق سليمان بن عبيد
عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد الخذرى ان
رسول الله صلعم قال يخرج آخر امتى المهدي يسقيه الله
الغيث وتخرج الارض نباتها ويعطى المال صحاحاً وتكثر الماشية
وتعظم الامّة يعيش سبعا او ثمانيا يعنى حججا وقال فيه
حديثاً صحيح الاسناد ولم يخرجاه مع ان سليمان بن
عبيد لم يخرج له احد من السنة لكن ذكره ابن جيان فى

الثقات ولم ار احدا تكلم فيه (ثم) رواه الحاكم ايضا من طريق اسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن مطر الوراق وابى هرون العبدى عن ابى الصديق الناجى عن ابى سعيد ان رسول الله صلعم قال تملأ الارض جورا وظلما فيخرج رجل من عترتى فيهلك سبعا او تسعا فيملا الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وقال فيه الحاكم هذا حديث صحيح على شرط مسلم لانه اخرج عن حماد بن سلمة وعن شيخه مطر الوراق واما شيخه الاخر وهو ابو هرون العبدى فلم يخرج له وهو ضعيف جدا متهم بالكذب ولا حاجة الى بسط اقوال الائمة فى تضعيفه واما الراوى له عن حماد بن سلمة وهو اسد بن موسى يلقب اسد الستة وان قال البخارى مشهور الحديث واستشهد به فى صحيحه واحتج به ابو داود النسائى لانه قال مرة اخرى ثقة لو لم يصنف كان خيرا له وقال فيه ابو محمد بن حزم منكر الحديث ورواه الطبرانى فى معجمه الاوسط من رواية ابى الواصل عن عبد الحميد بن واصل عن ابى الصديق الناجى عن الحسن بن يزيد السعدى احد بنى بهدلة عن سعيد الخذرى قال رسول الله صلعم يقول يخرج رجل من امتى بستى ينزل الله عز وجل له القطر من السماء وتخرج له الارض من بركتها تملأ الارض منه قسطا وعدلا كما ملئت

جورا وظلما يعمل على هذه الأمة سبع سنين وينزل بيت
المقدس وقال فيه الطبراني رواه جماعة عن ابي الصديق
ولم يدخل احد بينه وبين ابي سعيد احدا الا ابا الواصل
فانه رواه عن الحسن بن يزيد عن ابي سعيد انتهى وهذا
الحسن بن يزيد ذكره ابن ابي حاتم ولم يعرفه باكثر مما
في هذا الاسناد من روايته عن ابي سعيد ورواية ابي
الصديق عنه وقال الذهبي في الميزان انه مجهول لكن ذكره
ابن حبان في الثقات واما ابو الواصل الذي رواه عن ابي
الصديق فلم يخرج له احد من السنة وذكره ابن حبان في
الثقات في الطبقة الثانية وقال فيه يروى عن انس وروى
عنه شعبة وعتاب بن بشير (وخرج) ابن ماجه في كتاب
السنن له عن عبد الله بن مسعود من طريق يزيد بن ابي
زياد عن ابراهيم بن علقمة عن عبد الله قال بينما نحن عند
رسول الله صلعم اذ اقبل فتية من بني هاشم فلما رآهم
النبي صلعم اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال
نرى في وجهك شأنا نكرهه قال انا اهل بيت اختار
الله لنا الآخرة على الدنيا وان اهل بيتي سيلقون بعدى
بلاء وتشريدا وتطريدا حتى ياتي قوم من قبل المشرق معهم
رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون
فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها الى رجل من

اهل بيتي فيملاها قسطا كما ملاءها جورا فمن ادرك ذلك
 منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج انتهى وهذا الحديث
 يعرف عند المحذّثين بحديث الرايات ويزيد بن ابي زياد
 راويه قال فيه شعبة كان رقاعا يعنى يرفع الاحاديث التي
 لا تعرف مرفوعة وقال مجّد بن فضيل كان من كبار ائمة
 الشيعة وقال احمد بن حنبل لم يكن بالحافظ وقال مرة
 حديثه ليس بذاك وقال يحيى بن معين ضعيف وقال
 العجلي جازي الحديث وكان باخرة يلحق وقال ابو زرعة
 لن يكتب حديثه ولا يحتج به وقال ابو حاتم ليس
 بالقوى وقال الجوزجاني سمعته يضعفون حديثه وقال ابو
 داود لا اعلم احدا حديثه وغيره احب اليّ منه وقال
 ابن عدى هو من شيعة اهل الكوفة ومع ضعفه يكتب حديثه
 وروى له مسلم لكن مقرونا بغيره وبالجملة فالاكثرون على
 ضعفه وقد صرح الايئة بتضعيف هذا الحديث الذي رواه
 عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله وهو حديث الرايات
 فقال وكيع بن الجراح فيه ليس بشيء وكذلك قال احمد
 بن حنبل وقال ابو قدامة سمعت ابا اسامة يقول في
 حديث يزيد عن ابراهيم في الرايات لو حلف عندي
 خمسين يمينا قسامة ما صدقته اهذا مذهب ابراهيم اهذا
 مذهب علقمة اهذا مذهب عبد الله واورد العقيلي هذا الحديث

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

في الضعفاء وقال الذهبي ليس بصحيح (وخرج) ابن ماجة
عن علي رضي الله عنه من رواية ياسين العجلي عن ابراهيم
بن محمد بن الحنفية عن ابيه عن جدّه قال رسول الله
صلعم المهدي منّا اهل البيت يصلحه الله في ليلة وياسين
العجلي وان قال فيه ابن معين ليس به بأس فقد قال
البخاري فيه نظر وهذه اللفظة في اصطلاحه قوية في
التضعيف جدّا واورد له ابن عدي في الكامل والذهبي في
الميزان هذا الحديث على وجه الاستنكار له وقال هو معروف
به (وخرج) الطبراني في معجمه الاوسط عن علي رضي الله
عنه انه قال للنبي صلعم امّا المهدي ام من غيرنا يا رسول
الله قال بل منّا بنا يختم الله كما بنا فتح وبنا يستنقذون
من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة بيّنة
كما بنا الف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك قال علي
رضي الله عنه امؤمنون ام كافرون قال مفتون وكافر انتهى
وفيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف معروف الحال وفيه
عمرو بن جابر الحضرمي وهو اضعف منه قال احمد بن
حنبل روى عن جابر مناكير وبلغني انه كان يكذب
وقال النسائي ليس بثقة وقال ابن لهيعة كان شيخا احمق
ضعيف العقل وكان يقول عليّ في السحاب ويجلس معنا فيبصر
سحابة فيقول هذا عليّ قد مرّ في السحاب (وخرج)

الطبراني ايضا عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلعم
قال تكون في آخر الزمان فتنة يحصل الناس فيها كما
يحصل الذهب في المعدن فلا تسبوا اهل الشام ولكن سبوا
اشراهم فان فيهم الابدال يوشك ان يرسل على اهل الشام
سبب من السماء فيفرق جماعتهم حتى لو قاتلتهم الثعالب
غلبتهم فعند ذلك يخرج خارج من اهل بيتي في
ثلاث رايات المكثر يقول هم خمسة عشر الفا والمقلل
يقول هم اثنا عشر الفا امارتهم امت امت امت
يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل
منهم يطلب الهلك فيقتلهم الله جميعا ويرد الله الى المسلمين
الفتنهم ونعمتهم وقاصيهم ورايهم انتهى وفيه عبد الله بن
لهيعة وهو ضعيف معروف الحال ورواه الحاكم في مستدركه
فقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه وفي روايته ثم يظهر
الهاشمي فيرد الله الناس الى الفتنهم الى آخره وليس في طريق
ابن لهيعة وهو اسناد صحيح كما ذكر (وخرج) الحاكم في
المستدرت عن علي رضي الله عنه من رواية ابي الطفيل
عن محمد بن الحنفية قال كنا عند علي رضي الله عنه فسأله
رجل عن المهدي فقال علي هيهات ثم عقد بيده سبعا
فقال ذاك يخرج في آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله
قتل فيجمع الله له قوما قزع كقزع السحاب يؤلف الله

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بين قلوبهم لا يستوحشون الى احد ولا يفرحون باحد دخل
فيهم على عدّة اصحاب بدر لم يسبقهم الاولون ولا يدركهم
الاخرون وعلى عدّة اصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر
قال ابو الطفيل قال ابن الحنفية اتريده قلت نعم قال فانه
يخرج من بين هذه الاخشبين قلت لا جرم والله لا اريها
حتى اموت فمات بها يعنى مكّة قال الحاكم هذا
حديث صحيح على شرط الشيخين انتهى وانما هو على
شرط مسلم فقط فان فيه عمار الذهبى ويونس ابن ابى
اسحق ولم يخرج لهما البخارى وفيه عمرو ابن محمّد
الغنقى ولم يخرج له البخارى احتجاجا بل استشهدا مع ما
ينضمّ الى ذلك من تشييع عمار الذهبى وهو وان وثقه
احمد وابن معين وابو حاتم والنسائى وغيرهم فقد قال على
بن المدينى عن سفيان ان بشير بن مروان قطع عرقوبيه
قلت فى اى شىء قال فى التشييع (وخرّج) ابن ماجة عن
انس بن مالك رضى الله عنه من رواية سعد بن عبد
الحميد عن جعفر عن على بن زياد اليمامى عن عكرمة
بن عمار عن اسحق بن عبد الله عن انس قال سمعت
رسول الله صلعم يقول نحن ولد عبد المطلب سادة اهل الجتة
انا وحمزة وعلى وجعفر والحسن والحسين والمهدى انتهى
وعكرمة بن عمار وان اخرج له مسلم فانما اخرج له متابعة

وقد ضعفه بعض ووثقه آخرون وقال أبو حاتم الرازي هو مدلس
فلا يقبل إلا أن يصرح بالسمع وعلى بن زياد قال الذهبي في
الميزان لا يدري من هو ثم قال الصواب فيه عبد الله بن زياد وسعد
بن عبد الحميد وأن وثقه يعقوب بن شيبان وقال فيه يحيى بن
معين ليس به بأس فقد تكلم فيه الثوري قالوا لأنه رآه
يفتي في مسائل ويخطئ فيها وقال ابن حبان كان ممن
فحش خطأه فلا يحتج به وقال أحمد بن حنبل سعد بن
عبد الحميد يدعى أنه سمع عرض كتب مالك والناس
ينكرون عليه ذلك وهو هاهنا ببغداد لم يحج فكيف سمعها
وجعله الذهبي ممن لم يقدح فيه كلام من تكلم فيه (وخرج)
الحاكم في مستدركه من رواية مجاهد عن ابن عباس موقوفا
عليه قال مجاهد قال لي عبد الله بن عباس لو لم اسمع
أنك مثل أهل البيت ما حدثتكم بهذا الحديث قال
فقال مجاهد فانه في ستر لا اذكرة لهن تكرة قال فقال ابن
عباس من أهل البيت أربعة من السفاح ومن الهندرو من
المنصور ومن الهدي قال فقال مجاهد بين لي هؤلاء الأربعة
فقال أما السفاح فربما قتل انصاره وعفى عن عدوه وأما
المنذر أراه قال فانه يعطي المال الكثير ولا يتعاطم في نفسه
ويمسك القليل من حقه وأما المنصور فانه يعطي النصر
على عدوه الشطر مما كان يعطي رسول الله صلعم يرعب منه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عدوة على مسيرة شهرين والنصور يربع منه عدوة على
مسيرة شهر واما المهدي الذي يملأ الارض عدلا كما ملئت
جورا وتامن البهائم والسباع وتلقى الارض افلاذ كبدها قال
قلت وما افلاذ كبدها قال امثال الاسطوانة من الذهب
والفضة انتهى وقال الحاكم هذا الحديث صحيح الاسناد
ولم يخرجاه وهو من رواية اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن
ابيه واسمعيل ضعيف وابوه ابراهيم وان خرج له مسلم
فلاكثره على تضعيفه (وخرج) ابن ماجه عن ثوبان قال قال
رسول الله صلعم يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم
لا تصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل
المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم ثم ذكر شيئا لا احفظه
فقال فاذا رايتموه فبايعوه ولو حبوا على الشاج فانه خليفة
الله المهدي انتهى ورجاله رجال الصحيح الا ان فيه
ابا قلابة الجرمي وذكر الذهبي وغيره انه مدلس وفيه سفيان
الثوري وهو مشهور بالتدليس وكل واحد منهما عنعن ولم
يصرح بالسماع فلا يقبل وفيه عبد الرزاق ابن همام وكان
مشهورا بالتشيع وعمى في آخر عمره وخط قال ابن عدي
حدثت باحاديث في الفضائل لم يوافقه عليها احد ونسبوه
الى التشيع انتهى (وخرج) ابن ماجه عن عبد الله بن
الحارث ابن جزء الزبيدي من طريق ابن لهيعة عن ابي

زرعة عمرو بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال قال رسول الله صلعم يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي يعني سلطانه قال الطبراني تفرد به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث على الذي خرج الطبراني في معجمه الاوسط ان ابن لهيعة ضعيف وان شيخة عمرو بن جابر اضعف منه (وخرج) البزار في مسنده والطبراني في معجمه الاوسط واللفظ للطبراني عن ابي هريرة عن النبي صلعم قال يكون في امتي المهدي ان قصر فسبع ولا فثمان ولا فتسع ينعم امتي فيها نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا ولا تذخر الارض شئا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الطبراني والبزار تفرد به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا يعلم تابعه عليه احد وهو وان وثقه ابو داود وابن حبان بما ذكره في الثقات وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال ابو زرعة ليس عندي بذاك وقال عبد الله بن احمد بن حنبل رايت محمد بن مروان العجلي وحدث باحاديث وانا شاهد لم اكتبها تركتها على عمد وكتب بعض اصحابنا عنه كانه ضعفه (وخرج) ابو يعلى الموصلي في مسنده عن ابي هريرة قال حدثني خليلي ابو القاسم صلعم قال

لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من اهل بيتي
 فيضربهم حتى يرجعوا الى الحق قال قلت وكم يملك
 قال خمس واثنتين قال قلت ما خمس واثنتين قال لا ادري
 انتهى وهذا السند وان كان فيه بشير بن نهيك وقال فيه
 ابو حاتم لا يحتج به فقد احتج به الشيخان ووثقه الناس
 ولم يلتفتوا الى قول ابي حاتم لا يحتج به الا ان فيه مرجا
 بن رجا اليشكري وهو مختلف فيه قال ابو زرعة ثقة
 وقال يحيى بن معين ضعيف وقال مرة صالح وعلق له
 البخاري في صحيحه حديثا (1) واحدا (وخرج) ابو بكر البزار
 في مسنده والطبراني في معجمه الكبير والاوسط عن مرة
 بن اياس قال قال رسول الله صلعم لتملأن الارض جورا
 وظلما فاذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا مني اسمه
 اسهى واسم ابيه اسم ابي يملأها عدلا وقسطا كما ملئت
 جورا وظلما فلا تمنع السماء شئا من قطرها ولا الارض شئا
 من نباتها يلبث فيكم سبعا او ثمانيا او تسعا يعني سنين
 انتهى وفيه داود بن المحبر بن قحذم عن ابيه وهما
 ضعيفان جدا (وخرج) الطبراني في معجمه الاوسط عن ام
 حبيبة قالت سمعت رسول الله صلعم يقول يخرج ناس من
 قبل المشرق يريدون رجلا عند البيت حتى اذا كانوا بببيداء

(1) Man. A. et B. C. جذما، حذما.

من الارض خسف بهم فياحق بهم من تخلف فيصيبهم ما
 اصابهم قلت يا رسول الله كيف بهن كان اخرج مستكرها
 قال يصيبهم ما اصاب الناس ثم يبعث الله كل امرء على
 نيته انتهى وفيه سلمة بن الابرش وهو ضعيف وفيه محمد بن
 اسحق وهو مدلس وقد عنعن ولا يقبل الا ان يصرح
 بالسماع (وخرج) الطبراني في معجمه الاوسط عن ابي عمر
 قال كان رسول الله صلعم في نفر من المهاجرين والانصار
 على بن ابي طالب عن يساره والعباس عن يمينه اذ تلاحي
 العباس ورجل من الانصار فاغلظ الانصاري للعباس فاخذ
 النبي صلعم بيد العباس ويد على فقال سيخرج من صلب
 هذا حتى تملأ الارض جورا وظلما وسيخرج من صلب هذا
 حتى تملأ الارض قسطا وعدلا فاذا رايتم ذلك فعليكم بالفتى
 التميمي فانه يقبل من قبل المشرق وهو صاحب راية
 المهدي انتهى وفيه عبد الله بن عمر العمري وعبد الله بن
 لهيعة وهما ضعيفان انتهى (وخرج) الطبراني في معجمه
 الاوسط عن طاحنة بن عبيد الله عن النبي صلعم قال
 ستكون فتنة لا يهدأ منها جانب الا جاش منها جانب
 حتى ينادى مناد من السماء ان اميركم فلان انتهى
 وفيه الهثني ابن السباح وهو ضعيف جدا وليس في الحديث
 تصريح بذكر المهدي وانما ذكره في ابوابه وترجمته

استيناسا هذه جملة الاحاديث التي خرّجها الايمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان وهي كما رايت ولم يخلص منها على النقد الا القليل او الاقل منه (ورثما) تمسك المنكرون لشأنه بما رواه محمد بن خالد الجندی عن ابان بن صالح عن ابي عياش عن الحسن البصري عن انس بن مالك عن النبي صلعم انه قال لا مهدي الا عيسى بن مريم وقال يحيى بن معين في محمد بن خالد الجندی انه ثقة وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد وقال الحاكم فيه انه رجل مجهول واختلف عليه في اسناده فهرة يروونه كما تقدم ونسب ذلك الى محمد بن ادريس الشافعي ومرة يروى عن محمد بن خالد عن ابان عن الحسن بن عياش عن النبي صلعم انه قال البيهقي فرجع الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول عن ابان عن ابي عياش وهو متروك عن الحسن بن عياش عن النبي صلعم وهو منقطع وبالجملة فالحديث ضعيف مضطرب وقد قيل ان معنى لا مهدي الا عيسى اي لا يتكلم في المهدي الا عيسى يحاولون بهذا التأويل رد الاحتجاج به او الجمع بينه وبين الاحاديث وهو مدفوع بحديث جريح ومثله من الخوارق (واما المتصوفة) فلم يكن المتقدمون منهم يخوضون في شيء من هذا وإنما كان كلامهم في المجاهدة بالاعمال وما يحصل عنها من

نتائج المواجد والاحوال وكان كلام الامامية والرافضة من الشيعة في تفضيل على رضى الله عنه والقول بامامته وادعاء الوصية له بذلك من النبى صلعم والتبرئى من الشيخين كما ذكرناه فى مذاهبهم ثم حدث فيهم من بعد ذلك القول بالامام المعصوم وكثرت التواليف فى مذاهبهم (وجاء) الاسماعيلية منهم يدعون الوهية الامام بنوع الحلول واخرون يدعون رجعة من مات من الايمة بنوع التناسخ او الحقيقة واخرون ينتظرون مجئ من يقطع بموته منهم واخرون ينتظرون عود الامر فى اهل البيت مستدلين على ذلك بما قدماه من احاديث المهدي وغيرها (ثم) حدث ايضا عند المتأخرين من المتصوفة الكلام فى الكشف وفيما وراء حجاب الحس وظهر من كثير منهم القول على الاطلاق بالحلول والوحدة فشاركوا فيها الامامية والرافضة لقولهم بالوهية الايمة او حلول الاله فيهم وظهر منهم القول بالقطب والابدال وكأنه يحاكي مذهب الرافضة فى الامام والنقباء واشربوا اقوال الشيعة وتوغلوا فى الديانة بمذاهبهم حتى لقد جعلوا مستند طريقتهم فى لباس الخرقه ان عليا رضى الله عنه البسها الحسن البصرى واخذ عليه العهد بالتزام الطريقة واتصل ذلك عندهم بالجنيح من شيوخهم ولا يعلم هذا عن على من وجه صحيح ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلى كرم الله

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وجهه بل الصحابة كلهم اسوة في طريق الدين وفي تخصيص هذا بعلى دونهم رايحة من التشيع قوية تفهم منها ومن غيرها مما تقدم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه فامتلات كتب الاسماعيلية من الرافضة وكتب المتأخرين من المتصوفة بمثل ذلك في الفاطمي المنتظر وكان بعضهم يمليه على بعض ويلقنه بعض عن بعض وكله مبنى على اصول واهية من الفريقيين وربما يستند بعضهم في ذلك الى كلام المنجمين في القرانات وهو من نوع الكلام في الملاحم ويأتى الكلام عليها في الباب الذى يلي هذا واكثر من تكلم من هولاء المتصوفة المتأخرين في شأن الفاطمي ابن العربى الحاتمي في كتاب عنقاء مغرب وابن قسى في كتاب خلع النعلين وعبد الحق ابن سبعين وابن ابى واطيل من تلاميذه في شرحه لكتاب خلع النعلين واكثر كلماتهم في شأنه الغاز وامثال وربما يصرحون في الاقل او يصرح مفسرو كلامهم وحاصل مذهبهم فيه على ما ذكر ابن ابى واطيل ان النبوة بها ظهر الحق والهدى بعد الضلال والعمى وانها تعقبها الخلافة ثم يعقب الخلافة الملك ثم يعود تجبرا وتكبيرا وباطلا قالوا ولها كان في اليهود من سنة الله رجوع الامور الى ما كانت وجب ان يحيى امر النبوة والحق بالولاية ثم بخلافتها ثم يعقبها الدجل مكان الملك

والتسلط ثم يعود الكفر بحاله كما كان قبل النبوة يشيرون بهذا الى ما وقع بعد النبوة من الخلافة ثم من بعدها الملك وهي ثلاث مراتب فكذلك ايضا الولاية التي لهذا الفاطمي الذي يحيى امر النبوة والحق ثم خلافة امره بعده ثم الدجل بعدها وهو الباطل الذي كنى عنه بخروج الدجال فهي ثلاث مراتب على نسبة الثلاث مراتب الاولى ثم يعود الكفر كما كان قبل النبوة (قالوا) ولها كان امر الخلافة لقريش حكما شرعيا بالاجماع الذي لا يوهنه انكار من لم يزاول علمه وجب ان تكون الامامة فيمن هو اخص من قريش بالنسبة صلعم اما ظاهرا فكيني عبد المطلب واما باطنا فممن كان من حقيقة الآل والآل هم من اذا حضر لم يغيب من هو آله وابن العربي الحاتمي سباه في كتاب عنقاء مغرب من تأليفه خاتم الاولياء ويكنى عنه بلبنة الفضة اشارة الى حديث البخاري في باب خاتم النبيين قال صلعم مثلي فيمن قبلي من الانبياء كمثل رجل ابتنى بيتا واكمله حتى اذا لم يبق منه الا موضع لبنة فانا تلك اللبنة فيفسرون خاتم النبيين باللبنة التي اكملت النبيان ومعناه النبي الذي حصلت له النبوة الكاملة ويمثلون الولاية في تفاوت مراتبها بالنبوة ويجعلون صاحب الكمال فيها خاتما للاولياء اي جانزا للمرتبة التي هي خاتمة الولاية كما كان خاتم الانبياء

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

جائزاً للمرتبة التي هي خاتمة النبوة ولها كنى الشارح عن
تلك المرتبة الخاتمة بلبنة البيت في الحديث المذكور
وهي على نسبة واحدة فيهما فهي لبنة واحدة في التمثيل
ففي النبوة لبنة ذهب وفي الولاية لبنة فضة للتفاوت بين
المرتبتين كما بين الذهب والفضة فيجعلون لبنة الذهب
كناية عن النبي صلعم ولبنة الفضة كناية عن هذا الولي
الفاطمي المنتظر ذاك خاتم الانبياء وهذا خاتم الاولياء (وقال)
ابن العربي فيها نقل ابن ابي واطيل عنه وهذا الامام
المنتظر من اهل البيت من ولد فاطمة وظهورة يكون بعد
مضى خ ف ج من الهجرة ورسم حروفاً ثلاثة يريد عددها
بحساب الجمل وهي الخاء المعجمة بواحدة من فوق
بستماية والفاء تحت القاف بثمانين والجميم المعجمة بواحدة
من اسفل بثلاثة وذلك ستمائة وثلاثة وثمانون سنة وهو آخر
القرن السابع ولها انصرم هذا العصر ولم يظهر حمل ذلك
بعض المقلدين لهم على ان المراد بتلك الهدية مولده وعبر
بظهوره عن مولده وان خروجه يكون عند العشر والسبعماية وانه
الامام الناجم من ناحية المغرب قال واذا كان مولده كما زعم ابن
العربي سنة ثلاث وثمانين وستماية فيكون عمره عند خروجه
ستا وعشرين سنة قال وزعموا ان خروج الدجال يكون سنة
ثلاث واربعين وسبعماية من اليوم المحمدي وابتداء اليوم

المحمدي عندهم من يوم وفاة النبي صلعم الى تهايم الف سنة (وقال) ابن ابي واطيل في شرحه كتاب خلع النعلين الولي المنتظر القائم باسم الله المشار اليه بمحمد المهدي وخاتم الاولياء وليس هو بنبي وانما هو ولي ابتعثه روحه وحبيبه قال صلعم العالم في قومه كالنبي في امته وقال علماء امتي كانبيا بني اسرائيل (ولم) تزل البشرية تتابع به من اول اليوم المحمدي الى قبيل الخمسة اية نصف اليوم وتاكدت وتضاعفت بتباشير الهشائح بتقريب وقته وازدلاف زمانه منذ انقضت الى هلم جرا (قال) وذكر الكندي ان هذا الولي هو الذي يصلي بالناس صلوة الظهر ويجدد الاسلام ويظهر العدل ويفتح جزيرة الاندلس ويصل الى رومة ويفتحها ويسير الى المشرق فيفتحه ويفتح قسطنطينية ويصير له ملك الارض فيتقوى المسلمون ويعلو الاسلام ويظهر دين الحنيفية فان من صلوة الظهر الى صلوة العصر وقت صلوة قال عليه السلام ما بين هذين وقت وقال الكندي ايضا الحروف العربية غير المعجمة يعنى المفتوح بها سور القران جملة عددها بحساب الجمل سبعمائة وثلاثة واربعون وسبعة دجالية ثم ينزل عيسى في وقت صلوة العصر فيصالح الدنيا وتمشي الشاة مع الذيب ثم مبلغ ملك العجم بعد اسلامهم مع عيسى مائة وستون عاما عدد الحروف المعجمة وهي

ق ي ن دولة العدل منها اربعون عاما (قال) ابن ابي
 واطيل وما ورد من قوله لا مهدي الا عيسى فمعناه لا مهدي
 يساوي هدايته وقيل لا يتكلم في المهدي الا عيسى وهذا
 مدفوع بحديث جريح وغيره وقد جاء في الصحيح انه قال
 لا يزال هذا الامر قائما حتى تقوم الساعة او يكون عليهم
 اثني عشر خليفة يعني قرشيا وقد اعطى الوجود ان منهم
 من كان في اول الاسلام ومنهم من سيكون في آخره وقال
 الخلافة بعدى ثلاثون او احدى وثلاثون او ستة وثلاثون
 وانقضاؤها في خلافة الحسن واول امر معاوية فيكون اول
 امر معاوية خلافة اخذا باوائل الاسماء فهو سادس الخلفاء
 واما سابع الخلفاء فعمرو بن عبد العزيز ثم الباقر خمسة من
 اهل البيت من ذرية علي يؤيده قوله انك لذو قرينها
 يريد الامة اي انك خليفة في اولها وذريتك في آخرها
 وربما استدل بهذا الحديث القائلون بالرجعة فالاول هو
 المشار اليه عندهم بطلوع الشمس من مغربها وقد قال صلعم
 اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر
 فلا قيصر بعده والذي نفسى بيده لتنفقن كنوزهما في
 سبيل الله وقد انفق عمر بن الخطاب كنوز كسرى في
 سبيل الله والذي يهلك قيصر وينفق كنوزه في سبيل
 الله هذا هو المنتظر حين تفتح القسطنطينية فنعم الامير اميرها

ونعم الجيش ذلك الجيش كذا قال صلعم ومدّة حكمه
 بضع والبضع من ثلاث الى تسع وقيل الى عشر وجاء ذكر
 اربعين وفي بعض الروايات سبعين واما الاربعون فانها
 مدّته ومدّة الخلفاء الاربعة الباقيين من اهله القائمين بامرته
 من بعده عليهم جميعهم السلام (قال) وذكر اصحاب النجوم
 والقرانات ان مدّة بقاء امره واهل بيته من بعده مائة
 وتسعة وخمسون عاما فيكون الامر على هذا جاريا
 على الخلافة والعدل اربعين او سبعين ثم تختلف الاحوال
 فيكون ملك انتهى كلام ابي واطيل (وقال) في موضع
 اخر نزول عيسى يكون في وقت صلاة العصر في اليوم
 المحمدي حين يمضي ثلاثة ارباعه (قال) وذكر الكندي
 يعقوب بن اسحق في كتاب الجفر الذي ذكر فيه القرانات
 انه اذا وصل القران الى الثور على راس ضح بحرفى
 الضاد المعجمة والحاء المهملة يريد ثمانية وتسعين وستمايةة
 من الهجرة ينزل المسيح فيحكم في الارض ما شاء الله قال
 وقد ورد في الحديث ان عيسى ينزل عند الهنارة البيضاء
 شرقى دمشق ينزل بين مهرودتين يعنى حلتين مزعفرتين
 صفراوتين ممصرتين واضعا كفيه على اجنحة الهلكين له لّه كانما
 اخرج من ديماس اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه
 جمان كاللؤلؤ كثير خيلان الوجه وفي حديث اخر مربع

الخلق والى البياض والحمره وفي اخر انه يتزوج بالغرب
والغرب دلو البادية يريد انه يتزوج منها وتلد زوجته وذكر
وفاته بعد اربعين عاما وجاء ان عيسى يموت بالمدينة
ويدفن الى جانب عمر بن الخطاب وجاء ان ابا بكر وعمر
يحشران من بين نبين (قال) ابن ابي واطيل والشيعة
تقول انه هو المسيح مسيح المسايح من آل محمد وعليه حمل
بعضهم حديث لا مهدي الا عيسى اى لا يكون مهدي
الا المهدي الذى نسبته الى الشريعة المحمدية نسبة عيسى
الى الشريعة الهوسوية فى الاتباع وعدم النسخ الى كلام من
امثال هذا كثير يعينون (1) فيه الوقت والرجل والمكان فينقضى
الزمان ولا اثر لشيء من ذلك فيرجعون الى تجديد راي
اخر منتحل كما تراه من مفهومات لغوية واشياء تخيلية
واحكام نجومية فى هذا انقضت اعمار الاول منهم والآخر
(واما المتصوفة) الذين عاصروناهم فاكثرتهم يشيرون الى
ظهور رجل مجدد لاحكام الملة ومراسم الحق ويتحيون
ظهوره لما قرب من عصرنا فبعضهم يقول من ولد فاطمة
وبعضهم يطلق القول فيه سمعناه عن جماعة اكبرهم ابو
يعقوب البادسى كبير الاولياء بالمغرب كان فى اول هذه
الهاية الثامنة واخبرنى بذلك حافده ابو زكريا يحيى عن

(1) M. A. B. D. يعنون.

أبيه أبي محمد عبد الله الولي عن أبيه أبي يعقوب المذكور
 (هذا) آخر ما أطلعنا عليه أو بلغنا من كلام هؤلاء المتصوفة وما
 أورده أهل الحديث من أخبار المهدي قد استوفينا جميعه
 بمبلغ طاقتنا (والحق) الذي ينبغي أن يتقرر لديك أنه
 لا تتم دعوة من الدين أو الملك إلا بوجود شوكة وعصبية
 تظهره تدافع عنه من يدفعه حتى يتم أمر الله فيه وقد قررنا
 ذلك من قبل بالبراهين الطبيعية التي أرى أنها هناك
 وعصبية الفاطميين والطالبيين بل وقريش أجمع قد تلاشت
 من جميع الآفاق ووجد اسم آخرون استعلت عصبيتهم على
 عصبية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة والينبع والمدينة
 من الطالبيين بنى حسن وبنى حسين وبنى جعفر منتشرون
 في تلك البلاد وغالبون عليها وهم عصاب بدوية مفترقون
 في مواطنهم وأما رثهم وأرائهم يبلغون الآلاف من الكثرة فإن
 صح ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بان يكون
 منهم ويؤلف الله بين قلوبهم في اتباعه حتى تتم له شوكة
 وعصبية وافية باظهار كلمته وحمل الناس عليها وأما غير هذا
 الوجه مثل أن يدعو الناس فاطمي منهم إلى مثل ذلك
 الأمر في أفق من آفاق الأرض من غير عصبية ولا شوكة
 إلا مجرد نسبه في أهل البيت فلا يتم ذلك ولا يتمكن
 لما أسلفناه من البراهين الصحيحة (فأما) ما تدعيه العامة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn Khaldoun.

والاغمار من الدهماء ممن لا يرجع في ذلك الى عقل
يهديه ولا علم يفيدده (1) فيتحينون ذلك على غير نسبة وفي غير
مكان تقليدا لما اشتهر من ظهور رجل فاطمي ولا يعلمون
حقيقة الامر فيه كما بيتناه واكثر ما يتحينونه في القاصية من
الممالك واطراف العمران مثل الزاب بافريقية والسوس
من المغرب وتجد الكثير من ضعفاء البصائر يقصدون رباطا
بهاسة من ارض السوس يتحينون هنالك لقاء زعما منهم
انه يظهر بذلك الرباط وانه يبائع هنالك ولما كان ذلك
الرباط بالقرب من الملتئمين من كدالة واعتقادهم انه منهم
او قائمون بدعوته مزعما لا مستند له الا غرابة تلك الامم
وبعدهم عن يقين المعرفة باحوالها من كثرة او قلة او ضعف
او قوة ولبعد القاصية عن منال الدول وخروجها عن نطاقها
فتقوى عندهم الاوهام في ظهوره هنالك لخروجه عن رتبة
الدول ومنال الاحكام والقهر ولا محصول لديهم في ذلك
الا هذا ولقد يقصد ذلك الموضع كثير من ضعفاء العقول
للتلبيس بدعوة تمنيه النفس تمامها وسواسا وحمقا وقتل
كثير منهم اخبرني شيخنا محمد بن ابراهيم الابلي قال خرج
برباط ماسة لاول المائة الثامنة وعصر السلطان يوسف بن
يعقوب رجل من منتحلي التصوف يعرف بالتونزري نسبة

(1) Man. C. D. يقيدده.

الى توزر مصغرا وادعى انه الفاطمي المنتظر واتبعه الكثير من
 اهل السوس من صناكة وكذولة وعظم امره وكاد يستفحل
 وخافه رؤساء المصامدة على امرهم فمدس عليه
 السكيسوى (1) من قتله بياتا وانحل امره وكذلك ظهر
 في غمارة في آخر المائة السابعة ولعشر التسعين منها رجل
 يعرف بالعباس وادعى انه الفاطمي واتبعه الدهماء من غمارة
 ودخل مدينة بادس عنوة وحرقت اسواقها وارتحل الى بلد
 المزمة فقتل بها غيلة ولم يتم امره وكثير من هذا النمط
 (واخبرني) شيخنا المذكور بغريبة في مثل هذا وهو انه
 سحب في حجة من رباط العباد وهو مدفن الشيخ ابي
 مدين في جبل تلمسان المطل عليها رجلا من اهل البيت
 من سكان كربلا كان متبوعا معظما كثير التلميذ والخدام قال
 وكان الرجال من موطنه يتلقونه بالنفقات في اكثر البلدان
 قال وتأكدت الصحبة بيننا في تلك الطريق فانكشف
 لي امرهم وانهم انما جاوا من موطنهم بكر بلا لطلب هذا
 الامر وانتحال دعوة الفاطمي بالمغرب فلما عاين دولة بني
 مرين ويوسف بن يعقوب يومئذ منازل تلمسان قال الاصحابه
 ارجعوا فقد ازرى بنا الغلط وليس هذا الوقت وقتنا وبدل
 هذا القول من هذا الرجل على انه مستبصر في ان الامر

(1) السكيسوى. D. السكيسوى. Man. C. (1)



لا يتم الا بالعصبيّة الكافية لاهل الوقت فلما علم انه غريب
 في ذلك الوطن ولا شوكة له وان عصبيّة بنى مرين
 لذلك العهد لا يقاومها احد من اهل المغرب استكان
 ورجع الى الحق واقصر عن مطامعه وبقي عليه ان يستيقن
 ان عصبيّة الفواطم وقريش اجمع قد ذهبت لا سيما في
 المغرب الا ان التعصب لشأنه لم يتركه لهذه القول والله
 يعلم وانتم لا تعلمون (وقد) كانت بالمغرب لهذا العصور
 القريبة وفي العرب من سكانه نزعة من الدعاء الى الحق
 والقيام بالسنة لا ينتحلون فيها دعوة فاطمي ولا غيره وانما
 ينزع منهم في بعض الاحيان الواحد فالواحد الى اقامة السنة
 وتغيير المنكر ويعتني بذلك ويكثر تابعه واكثر ما يعنون
 باصلاح السابلة لها ان كثر من فساد الاعراب فيها لها قدمناه
 من طبيعة معاشهم فيأخذون انفسهم في تغيير المنكر
 باصلاح السابلة ما استطاعوا الا ان الصبغة الدينيّة فيهم
 لا تستحکم لها ان توبة العرب ورجوعهم الى الدين انما
 يقصدون بها الاقصار عن الغارة والنهب لا يعقلون في توبتهم
 واقبالهم على مناحي الديانة غير ذلك لانها المعصية التي
 كانوا عليها قبل التوبة ومنها توبتهم فتجد تابع ذلك
 المنتحل للدعوة والقائم بزعمه بالسنة غير متعقبين في فروع
 الاقتداء والاتباع انما دينهم الاعراض عن النهب والسبغى

وافساد السابلة ثم الاقبال على طلب الدنيا والمعاش باقصى
 جهدهم وشتان بين طلب هذا الامر من صلاح الخلق
 وبين طلب الدنيا فاتفاقهما مهتنع فلا تستحكم لهم صبغة
 في الدين ولا يكمل لهم نزوع عن الباطل على الجملة
 ولا يكثرون ويختلف حال صاحب الدعوة منهم في استحكام
 دينه وولايته في نفسه دون تابعه فاذا هلك انحل امرهم
 وتلاشت عصبيتهم وقد وقع ذلك بافريقية لرجل من بني
 كعب من سليم يسمى قاسم بن مرا بن احمد في الماية
 السابعة ثم من بعده لرجل اخر من بادية رباح من بطن
 منهم يعرفون بمسلم وكان يسمى سعادة وكان اشد دينا من
 الاول واقوم طريقة في نفسه ومع ذلك فلم يستتب امر
 تابعه لما ذكرناه حسبما يأتي ذكر ذلك في موضعه عند ذكر
 قبائل سليم ورياح ومن بعد ذلك ظهر ناس بهذه الدعوة
 يتشبهون بهشل ذلك ويلبسون فيه وينتحلون اسم
 السنة وليسوا عليها الا الاقل فلا يتم لهم ولا لهم بعدهم
 شئ من امرهم سنة الله في عبادة

فصل في حدثان الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم
 والكشف عن مسمى الجفر

اعلم ان من خواص النفوس البشرية التشوف الى عواقب

امورهم وعلم ما سيحدث لهم من حياة او موت او خير او شر سببها الحوادث العامة كعرفة ما بقى من الدنيا او معرفة مدد الدول وبقائها فالتطلع الى هذا طبيعة للبشر مجبولون عليها ولذلك نجد الكثير من الناس يتشوقون الى الوقوف على ذلك فى المنام والاخبار عن الكهان فى قصدهم بمثل ذلك من الملوك والسوقة معروفة ولقد نجد فى المدن صنفا من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم فى الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسأل عنه فيغدو عليهم ويروح نسوان المدينة وصبيانها بل وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امورهم فى الكسب والجاه والعشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط فى الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصا والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر فى المرايا والمياه ويسمونه ضارب المنديل وهو من الهنكرات الفاشية فى الامصار لما تقرّر فى الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب الا من اطع الله عليه من عنده فى نوم او بولاية واكثر ما يعنى بذلك ويتطلع اليه الملوك والامراء فى امداد دولهم ولذلك انصرفت العناية من اهل العلم اليه وكل امة من الامم فيوجد لهم الكلام من كاهن او منجم او ولي فى مثل ذلك من ملك يرتقبونه او دولة يحدثون

انفسهم بها وما سيحدث لهم مع الامم من الحروب
والهلاخيم ومدّة بقاء الدولة وعدد الملوك فيها والتعرض
لاسمائهم ويسمى مثل هذا الحدثنان (وكان) في العرب
الكتّان والعرافون يرجعون اليهم في ذلك وقد اخبروا بما
سيكون للعرب من الملك والدولة كما وقع لشق وسطيح
في تأويل روياء ربيعة بن نصر من ملوك اليمن اخبرهم
بملك الحبشة بلادهم ثم رجوعها اليهم ثم ظهور الملة
والدولة للعرب من بعد ذلك وكذا تأويل سطيح لروياء
الهوبدان بعث اليه بها كسرى مع عبد المسيح واخبره
بظهور الدولة للعرب وكذا كان في جيل البربر كتّان وكان
من اشهرهم موسى بن صالح من بني يفرن ويقال من
غمرت وله كلمات حدثانية على طريقة الشعر برطانتهم
وفيها حدثنان كثير ومعظمه فيما يكون لزناتة من الملك
والدولة بالمغرب وهي متداولة بين اهل الجيل وهم يزعمون
تارة انه ولي وتارة انه كاهن وقد يزعمون في
بعض مزاعمهم انه كان نبيا تاريخه عندهم قبل الهجرة بكثير
والله اعلم (وقد) يستند الجيل في ذلك الى خبر الانبياء
ان كانوا لعهدهم كما وقع لبني اسرائيل فان انبياءهم المتعاقبين
فيهم كانوا يخبرونهم بهله عندما يتغنون في السؤال عنه
واما في الدولة الاسلامية فوقع منهم كثير

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaloun.

فيما يرجع الى بقاء الدنيا ومدتها على العموم وفيها يرجع الى الدول واعمارها على الخصوص وكان المعتمد في ذلك صدر الاسلام آثار منقولة عن الصحابة وخصوصا مسلمة بنى اسرائيل مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وامثالهما وربما اقتبسوا بعض ذلك من ظواهر مأثورة وتأويلات محتملة ووقع لجعفر الصادق وامثاله من اهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله اعلم الكشف بما كانوا عليه من الولاية واذا كان مثله لا ينكر من غيرهم من الاولياء في ذويهم واعقابهم وقد قال صلعم ان فيكم محدثين فهم اولى الناس بمثل هذه الرتب الشريفة والكرامات الموهوبة واما بعد صدر الملة وحين عكف الناس على العلوم والاصطلاحات وترجمت كتب الحكماء الى اللسان العربي فاكثر معتمدهم في ذلك كلام المنجمين ففي الملك والدول وسائر الامور العامة من القرانات وفي المواليد والهسائل وسائر الامور الخاصة من الطوالع لها وهي شكل الفلك عند حدوثها (فلنذكر) الآن ما وقع لاهل الاثر في ذلك ثم نرجع الى كلام المنجمين (اما اهل الاثر) فلهم في مدة الملة وبقاء الدنيا ما وقع في كتاب السهيلي فانه نقل عن الطبري ما يقتضى ان مدة بقاء الدنيا منذ الملة خمسمائة سنة ونقض ذلك بظهور كذبه ومستند الطبري في ذلك

انه نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الدنيا جمعة
من جمع الآخرة ولم يذكر لذلك دليلا وسره والله اعلم تقدير
الدنيا بايام خلق السموات والارض وهى سبعة ثم اليوم
بالف سنة لقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون قال وقد ثبت فى الصحيح انه صلعم قال
اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى
غروب الشمس وقال بعثت انا والساعة كهاتين و اشار بالسبابة
والوسطى وقدر ما بين صلاة العصر وغروب الشمس عند
صيرورة ظل كل شئ مثليه يكون على التقريب نصف سبع
وذلك فضل الوسطى على السبابة فتكون هذه المدة
نصف سبع الجمعة كلها وهى خمسمائة سنة ويؤيده قوله
صلعم لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم فدل
ذلك على ان مدة الدنيا قبل الملة خمسة آلاف سنة
وخمسمائة سنة وعن وهب بن منبه انها خمسة آلاف وستماية
اعنى الماضى وعن كعب ووهب ان مدة الدنيا ستة آلاف
سنة ثم قال السهيلي وليس فى الحديثين ما يشهد بشئ
مما ذكره مع وقوع الوجود بخلافه فاما قوله لن يعجز الله ان
يؤخر هذه الامة نصف يوم فلا يقتضى نفي الزيادة على
النصف واما قوله بعثت انا والساعة كهاتين فانما فيه الاشارة
الى القرب وانه ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ولا شرع

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

غير شرعه ثم رجع السهيلي الى تعيين امد الهدّة من
مدرك اخر لو ساعده التحقيق وهو ان جمع الحروف المقطّعة
في اوائل السور بعد حذف المتكرّر قال وهي اربعة
عشر حرفا يجمعها قولك الم يسطع نص حق كره فاخذ
عددها بحساب الجمل فكان سبعماية (1) وثلاثة تضاف الى
المقتضى من الالف الاخيرة قبل بعثته فهذه هي مدّة الملة
ولا يبعد ان يكون ذلك من مقتضيات هذه الحروف
وفوائدها (قلت) وكونه لا يبعد لا يقتضى ظهوره ولا التعويل
عليه والذي حمل السهيلي على ذلك انما هو ما وقع في
كتاب السير لابن اسحق في حديث ابني اخطب من
احبار اليهود وهو ابو ياسر واخوه حبي حين سمعا الم من
هذه الحروف المقطّعة وتاولاها على بيان المدّة بهذا الحساب
فبلغت احدى وسبعين فاستقربا المدّة وجاء حبي الى النبي
صلعم يسأله هل مع هذا غيره فقال المص ثم استزاد فقال
الرثم ثم استزاد المر فكانت احدى وسبعين ومايتين فاستطال
الهدّة وقال لقد لبّس علينا امرك يا محمد حتى ما ندري
اقليلاً اعطيت ام كثيراً ثم ذهبوا عنه وقال لهم ابو ياسر ما
يدريكم لعلّه اعطى عددها كلها بسبع مائة واربع سنين قال
ابن اسحق فنزل قوله تعالى منه آيات محكمات هن ام

(1) تسعمماية. Man. A. B. C.

الكتاب الايات انتهى ولا يقوم من القصة دليل على تقدير
 الملة بهذا العدد لان دلالة هذه الحروف على تلك الاعداد
 ليست طبيعية ولا عقلية وانما هي بالتواضع والاصطلاح الذي
 يستونه حساب الجمل نعم انه قديم مشهور وقدم الاصطلاح
 لا يصيره حجة وليس ابو ياسر واخوه حيسى مهين يوحذ رايه
 في ذلك دليلا ولا بين علماء اليهود لانهم كانوا بادية بالحجاز
 غفلا من الصنائع والعلوم حتى من علم شريعتهم وفقه
 كتابهم وملتهم وانما يتلقون امثال هذا الحساب كما يتلقفه
 العوام في كل ملة فلا ينهض للسهيلى دليل على ما ادعاه
 من ذلك (ووقع) في الملة في حدثان دولها على
 الخصوص مستند في الاثر اجهالى في حديث خرجه ابو
 داوود عن حذيفة بن اليمان من طريق شيخه محمد بن يحيى
 الذهلى عن سعيد بن ابى مریم عن عبد الله بن فروخ عن
 اسامة بن زيد اللثي عن ابن قبيصة بن ذويب عن ابيه
 قال قال حذيفة بن اليمان والله ما ادري انسى اصحابى
 ام تناسوا والله ما ترك رسول الله صلعم من قائد فتنة
 الى ان تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثماية فصاعدا الا قد
 سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته وسكت عليه ابو
 داوود وقد تقدم انه قال في رسالته ما سكتت عليه في
 كتابى فهو صالح وهذا الحديث اذا كان صحيحا فهو مجمل

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ويفتقر في بيان اجماله وتعيين مبهماتة الى آثار اخرى تجود
اسانيدھا وقد وقع هذا الحديث في غير كتاب السنن على
غير هذا الوجه فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة
ايضا قال قام فينا رسول الله صلعم خطيبا فما ترك شئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه
من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابه هولاء ولفظ
البخارى ما ترك شئا الى قيام الساعة الا ذكره وفي كتاب
الترمذى من حديث ابى سعيد الخدرى قال صلى بنا
رسول الله صلعم يوما صلاة العصر بنهار ثم قام خطيبا فلم يدع
شئا يكون الى قيام الساعة الا اخبرنا به حفظه من حفظه ونسيه
من نسيه انتهى وهذه الاحاديث كلها محولة على ما ثبت في
الصحيح من احاديث الفتن والاشراط لا غير لانه المعروف
من الشارع صلعم في امثال هذه العمومات وهذه الزيادة
التي انفرد بها ابو داود في هذا الطريق شاذة منكورة
مع ان الاية اختلفوا في رجاله فقال ابن ابى مريم في
ابن فروخ احاديثه مناكير وقال البخارى تعرف منه وتنكر
وقال ابن عدى احاديثه غير محفوظة واسامة بن زيد وان
خرج له في الصحيحين ووثقه ابن معين فانها خرج له
البخارى استشهدا وضعفه يحيى بن سعيد واحمد بن
حنبل وقال ابو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به وابن

قبیصة بن ذویب مجهول فتضعف هذه الزیادة التي وقعت
لابی داوود فی هذا الحدیث من هذه الجهات مع شدوذها
کها مر (وقد) یستندون فی حدثان الدول علی الخصوص الی
کتاب الجفر ویزعمون ان فیہ علم ذلك کله من طریق
الآثار او النجوم لا یزیدون علی ذلك ولا یعرفون اصل
ذلك ولا مستنده واعلم ان کتاب الجفر کان اصله ان
هرون بن سعید العجلی وهو راس الزیدية کان له کتاب
یرویه عن جعفر الصادق وفيه علم ما سيقع لاهل البيت
علی العموم ولبعض الاشخاص منهم علی الخصوص وقع
ذلك لجعفر ونظرائه من رجالانهم علی طریق الکرامة
والکشف الذی يقع لمثلهم من الاولیاء وكان مکتوبا عند جعفر
فی جلد ثور صغیر فرواه عنه هرون العجلی وکتبه وسماه
الجفر باسم الجلد الذی کتب منه لان الجفر فی اللغة
هو الصغیر وصار هذا الاسم علیها علی هذا الکتاب عندهم
وکان فیہ فی تفسیر القران وما فی باطنه من المعانی غرائب
مرویه عن جعفر الصادق وهذا الکتاب لم تتصل روايته
ولا عرف عینه وانما تطیر عنه شواذ (1) من الکلمات لا یصحها
دلیل ولو صح السند الی جعفر الصادق لکان فیہ نعم المستند
من نفسه او من رجال قومه فهم اهل الکرامات وقد

(1) Man. D. شوارد.

PROLÉGOMÈNES
d'Ébn-Khaldoun.

صح عنه انه كان يحذر بعض قرابته بوقائع تكون لهم
فتصح كما يقول وقد حذر يحيى بن عتبة زيد من مصرعه
وعصاه فخرج وقتل بالجوزجان كما هو معروف واذا كانت
الكرامات تقع لغيرهم فما ظنك بهم علما ودينا واثارة من
النبوة وعناية من الله تعالى بالاصل الكريم تشهد لفروعه
الطيبة وقد ينقل بين اهل البيت كثير من هذا الكلام غير
منسوب الى الجفر وفي اخبار دولة العبيديين كثير منه وانظر
ما حكاه ابن الرقيق في لقاء ابي عبد الله الشيعي لعبيد
الله المهدي مع ابيه محمد الحبيب وما حدثاه به وكيف
بعثاه الى ابن حوشب داعيتهم باليمن فامره بالخروج الى
المغرب وبت الدعوة فيه عن علم لفته ان دولتهم تتم
هنالك وان عبيد الله لما بنى المهديّة بعد استكمال
دولتهم بافريقية قال بنيتها ليصتم بها الفواطم ساعة من نهار
واراهم موقف صاحب الحمار بساحتها وبلغ هذا الخبر
حافده اسمعيل المنصور فلما حاصره صاحب الحمار ابو
يزيد بالمهديّة كان يسأل عن منتهى موقفه حتى جاءه
الخبر ببلوغه الى المكان الذي عين جده عبيد الله فايقن
بالظفر وبرز من البلد فهزمه واتبعه الى ناحية الزاب فظفر
به وقتله ومثل هذه الاخبار عنهم كثيرة (واما المنجمون)
فيستندون في حدثان الدول الى الاحكام النجومية اما في

الامور العامة مثل الملك والدول فمن القرانات وخصوصا
 بين العلويين وذلك ان العلويين زحل والمشتري يقترنان
 في كل عشرين سنة مرة ثم يعود القران الى برج اخر في
 تلك المثلثة من التثليث الايمن ثم بعده الى اخر كذلك
 الى ان يتكرر في المثلثة الواحدة ثنتي عشرة مرة يستوفى
 بروجها الثلاثة في ستين سنة ثم يعود فيستوفى في ستين
 اخرى ثم يعود ثالثة ثم رابعة فيستوفى المثلثة بثنتي عشرة
 مرة واربع عودات في مائتين واربعين سنة
 ويكون انتقاله من كل برج على التثليث الايمن وينتقل
 من المثلثة الى المثلثة التي تليها اعني الى البرج الذي
 يلي البرج الاخير من القران الذي قبله في المثلثة وهذا
 القران الذي هو قران العلويين ينقسم الى كبير وصغير
 ووسط فالكبير هو اجتماع العلويين في درجة واحدة من
 الفلك الى ان يعود اليها بعد تسعمائة وستين سنة مرة
 واحدة والوسط هو اقتران العلويين في كل مثلثة ثنتي عشرة
 مرة وبعد مائتين واربعين سنة ينتقل الى مثلثة اخرى
 والصغير هو اقتران العلويين في برج واحد وبعد عشرين سنة
 يقترنان في برج اخر على تثليثه الايمن وفي مثل درجه او
 دقائقه (مثال) ذلك وقع القران اول دقيقة من الحمل وبعد
 عشرين سنة يكون اول دقيقة من القوس وبعد عشرين في

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الاسد وهذه كلها نارية وهذا كله قران صغير ثم يعود الى اول
الحمل بعد ستين سنة ويسمى دور القران وبعد عود القران مائتين
واربعين ينتقل من النارية الى الترابية لانها بعدها وهذا
قران وسط ثم ينتقل الى الهوائية ثم المايية ثم يرجع الى
اول الحمل في تسعمائة وستين سنة وهو الكبير والقران
الكبير يدل على عظام الامور مثل تغيير الملل والدول وانتقال
الملة من قوم الى قوم والوسط على ظهور المتغلبين والطالبين
للملك والصغير على ظهور الخوارج والدعاة وخراب المدن
او عمرانها ويقع اثناء هذه القرانات قران النحسين في
برج السرطان في كل ثلاثين سنة مرة ويسمى الرابع و برج
السرطان هو طالع العالم وفيه وبال زحل وهبوط المريخ
فتعظم دلالة هذا القران في الفتن والحروب وسفك الدماء
وظهور الخوارج وحركة العساكر وعصيان الجند والوباء والقحط
ويدوم ذلك او ينتهي على قدر السعادة والنحوسة في
وقت قرانها وعلى قدر تسيير الدليل فيه قال جراش بن
احمد الحاسب في الكتاب الذي الفه لنظام الملك
ورجوع المريخ في العقرب له اثر عظيم في الهمة الاسلامية
لانه كان دليلها فان المولد النبوي كان عند قران العلويين
في برج العقرب فكلها رجع هنالك حدث تشويش على
الخلفاء وكثر المرض في اهل العلم والدين ونقصت احوالهم

وربما انهدم بعض بيوت العبادة ولقد يقال انه كان عند قتل
على رضى الله عنه ومروان من بنى امية والمتوكل من بنى
العباس فاذا روعيت هذه الاحكام مع احكام القرانات كانت
في غاية الاحكام (وذكر) شاذان البياحى ان الملة تنتهى
الى ثلاثماية وعشر سنين وقد ظهر كذب هذا القول (وقال)
ابو معشر يظهر بعد الماية والخمسين منها اختلاف كثير ولم
يصح ذلك (وقال) جراش رايت في كتب القدماء ان
المنجمين اخبروا كسرى عن ملك العرب وظهور النبوة
فيهم وان دليلهم الزهرة وكانت في شرفها فيبقى الملك
فيهم اربعين سنة (وقال) ابو معشر في كتاب القرانات ان
القسمه اذا انتهت الى السابعة والعشرين من الحوت وفيها
شرف الزهرة ووقع القران مع ذلك ببرج العقرب وهو
دليل العرب ظهرت حينئذ دولة العرب وكان منهم نبى
وتكون قوة ملكه ودولته ومدته على قدر ما بقى من درجات
شرف الزهرة وهى احد عشر درجا بتقريب من برج الحوت
ومدة ذلك ستمائة وعشر سنين وكان ظهور ابى مسلم
عند انتقال الزهرة ووقوع القسمه اول الحمل وصاحب
الحد المشتري (وقال) يعقوب بن اسحق الكندى ان مدة
الملة تنتهى الى ستمائة وثلاث وتسعين سنة قال لان
الزهرة كانت عند قران الملة في ثمان وعشرين درجة

PROLÉGOMÈNES
d Ebn-Khaldoun.

وثنتين واربعين دقيقة من الحوت فالباقي احدى عشر
درجة وثمان عشر دقيقة ودقائقها ستون فتكون ستمائة
وثلاثا وتسعين سنة قال وهذا مدة الملة باتفاق الحكماء
وتعضده الحروف الواقعة في اوائل السور بحذف المكرر
واعتبارة بحساب الجمل (قلت) وهذا هو الذى ذكره
السهيلي والغالب ان الاول هو مستند السهيلي فيما نقلناه
عنه قال جراش (وسأل) هرمزدا فريد الحكيم عن مدة اردشير
وولده ملوك الساسانية فقال دليل ملكه المشتري وكان
في شرفه فيعطى اطول السنين واجودها اربعمائة وسبعاً
وعشرين سنة ثم تدبر الزهرة وتكون في شرفها وهى دليل
ان العرب يملكون لان طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة
وكانت عند القران في شرفها فدل انهم يملكون الف سنة
وستين سنة (وسأل) كسرى انوشيروان وزيره بزرجمهر الحكيم
عن خروج الملك من فارس الى العرب فاخبره ان القائم
منهم يولد لخمس واربعين من دولته ويملك المشرق
والمغرب والمشتري يفوز التدبير الى الزهرة وينتقل القران
من الهوائية الى العقرب وهو مائى وهو دليل العرب فهذه
لادلة تقضى للملة بمدة دور الزهرة وهى الف وستون سنة
(وسأل) كسرى ابرويز اليوس الحكيم عن ذلك فقال مثل
قول بزرجمهر (وقال) توفيل الرومى المنجم ايام بنى امية

ان دولة الاسلام تبقى مدّة القران الكبير تسعمائة وستين سنة
 فاذا عاد القران الى برج العقرب كما كان في ابتداء
 الهلّة وتغيّر وضع الكواكب عن هتتها في قران الهلّة فحينئذ
 اما يفتن العمل به واما يتجدد من الاحكام ما يوجب خلاف
 الظنّ (قال) جراش وانفقوا ان خراب العالم يكون باستيلاء
 الماء والنار حتى تهلك سائر المكونات وذلك عند ما
 يقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة الذي هو حدّ المريح
 وذلك بعد مضي تسعمائة وستين سنة (وذكر) جراش ان
 ملك زابلستان وهي غزنة بعث الى المأمون بحكيه
 ذوبان اتحفه به في هدية وانه تصرف للمأمون في
 الاختيارات لحروب اخيه ولعقد اللواء لظاهر وان المأمون
 اعظم حكمته فسأله عن مدّة ملكهم فاخبره بانقطاع الملك
 من عقبه واتصاله في ولد اخيه وبأن العجم يتغلبون على
 الخلافة الديلم اولا في دولة حسنة خمسين سنة ثم تسوء
 حالهم حتى يظهر الترك من شمال الشرق فيملكون الى
 الشام والفرات ويفتحون بلاد الروم ثم يكون ما يريد الله
 تعالى فقال له المأمون من اين لك ذلك قال من
 كتب الحكماء ومن احكام صصّة بن داهر الهندي الذي
 وضع الشطرنج (قلت) والترك الذين اشار الى ظهورهم
 بعد الديلم هم الساجوقية وقد انقضت دولتهم اول القرن

السابع (قال) جراث وانتقال القران الى المثلثة الهائية في
 برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية ليزدجرد
 وبعدها الى برج العقرب حيث كان قران الملة سنة ثلاث
 وخمسين قال والذي في الحوت هو اول الانتقال والذي
 في العقرب يستخرج منه دلائل الملة قال وتحويل السنة
 الاولى من القران الاول في المثلثات المائة في ثاني رجب
 سنة ثمان وستين وثمانماية ولم يستوف الكلام على ذلك
 (واما) مستند المنجهين في دولة دولة على الخصوص فمن
 القران الاوسط وهمة الفلك عند وقوعه لان له دلالة عندهم
 على حدوث الدول وجهاتها من العمران والقائمين بها من
 الامم وعدد ملوكهم واسمائهم واعمارهم ونحلهم واديانهم
 وعواندهم وحروبهم كما ذكر ابو معشر في كتابه القرانات
 وقد توخذ هذه الادلة من القران الاصغر اذا كان الاوسط دالا
 عليه فمن هذا يبوخذ الكلام في الدول وقد كان يعقوب بن
 اسحق الكندي منجم الرشيد والمامون وضع في القرانات
 الكائنة في الهلة كتابا سماه الشيعة بالجفر باسم كتابهم
 المنسوب الى جعفر الصادق وذكر فيه فيما يقال حدثان
 دولة بنى العباس وانها نهايته وشار الى انقراضها والحادثة
 الى بغداد انه يقع في منتصف الهاية السابعة وان انقراضها يكون
 بانقراض الملة ولم نقف على شئ من خبر هذا الكتاب

ولا رأينا من وقف عليه ولعله غرق في كتبهم التي طرحها
هو لاسكو ملك الطبر في دجلة عند استيلائهم على بغداد
وقتل المعتصم آخر الخلفاء (وقد) وقع بالمغرب جزء منسوب
الى هذا الكتاب يسمونه الجفر الصغير والظاهر انه وضع لبنى
عبد المؤمن لذكر الاولين من ملوك الموحدين فيه على
التفصيل ومطابقة ما تقدم من ذلك من حديثه وكذب
ما بعده وكان في دولة بنى العباس من بعد الكندي منجمون
وكتب في الحديث وانظر ما نقله الطبري في اخبار
المهدي عن ابي بديل من صنائع الدولة قال بعث الى
الربيع والحسن في غزاتهما مع الرشيد ايام ابيه فحجتهما
جوف الليل فاذا عندهما كتاب من كتب الدولة يعنى
الحديثان واذا مدة المهدي فيه عشر سنين فقلت هذا الكتاب
لا يخفى عن المهدي وقد مضى من دولته ما مضى فاذا
وقف عليه كنتم قد نعيتم اليه نفسه قالا فما الحيلة
فاستدعيت عنبسة الوراق مولى آل بديل وقلت له انسخ
هذه الورقة واكتب مكان عشرة اربعين ففعل فوالله لولا
اتي رايت العشرة في تلك الورقة والاربعين في هذه ما
شككت انها هي ثم كتب الناس من بعد ذلك في
حدثان الدول منظوما ومنثورا ورجزا ما شاء الله ان يكتبوه
وبايدى الناس مقترق كثير منها وتسمى الهلاحم وبعضها في

حدثان الملة على العموم وبعضها في دولة على الخصوص: وكلها منسوب الى مشاهير من اهل الخليقة وليس منها اصل يعتهد على روايته عن واضعه المنسوب اليه فمن هذه الملاحم بالمغرب قصيدة ابن مرانة من بحر الطويل على روى الراء وهي متداولة بين الناس ويحسب العامة انها من الحدتان العام فيطبقون كثيرا منها على الحاضر والمستقبل والذي سمعناه من شيوخنا انها مخصوصة بدولة لمتونة لان الرجل كان قبيل دولتهم وذكر فيها استيلاءهم على سبنة من ايدي موالى بنى حمود وملكهم لعدوة الاندلس ومن الملاحم بايدي اهل المغرب ايضا قصيدة تسمى التبعية اولها

طربت وما ذاك متى طرب وقد يطرب الطائر المقتصب
وما ذاك متى للهواراه ولكن لتذكار بعض السبب

قريبا من خمسمائة بيت او الف بيت فيها يقال ذكر فيها كثيرا من دولة الهوحديين و اشار الى الفاطمية وغيرها والظاهر انها مصنوعة ومن الملاحم بالمغرب ايضا ملحبة من الشعر الزجلي منسوبة لبعض اليهود ذكر فيها احكام القرانات لعصره العلويين والنحسين وغيرها وذكر ميتته قتيلا بفاس وكان كذلك فيما زعموه واوله

في صبغ ذا الازرق لشرفه خيارا فافهموا يا قوم هذه الاشارا
نجم زحل اخبر بها ذى العلاما وبدل الشكلا وهي سلاما

شاشية زرقاء بدل العماما وطاشرا ازرق بدل الغفارا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وفي آخره يقول

قد تم ذا التجنيس (1) لانسان يهودى يصلب على واد فاس في يوم عيد
حتى يجيد الناس من البوادي وقتل يساقوم على الغزارا

وابياته نحو الخمسةماية وهي في احكام القرانات التي
دلت على دولة الموحدين ومن ملاحم المغرب ايضا قصيدة
من عروض المتقارب على روى الباء في حدثان دولة بنى
ابى حفص بتونس من الموحدين منسوبة لابن الابار
وقال لى قاضى قسطنطينة الخطيب الكبير ابو على بن
باديس وكان بصيرا بما يقول وله قدم فى علم النجوم فقال
لى ان هذا ابن الابار ليس هو الحافظ الكاتب مقتول
المستنصر وانما هذا رجل خياط من اهل تونس تواطأت
شهرته مع شهرة الحافظ وكان والدى رحمه الله ينشدنى
الابيات من هذه الملحمة وبقي بعضها فى حفظى مطلعها

عذيرى (2) من زمن قلب يغمر ببارقه الاشنب

ومنها فى ذكر اللحيانى تاسع ملوك الدولة

فيبعث من جيشه قائدا ويبقى هناك على مرقب
وتاتى الى الشيخ اخباره فيقبل كالجمال الاجرب
ويظهر من عدله سيرة وتلك سياسة مستجلب

ومنها فى ذكر احوال تونس على العموم

(1) Man. C. تجنيس. D. تنجيس.

(2) Man. A. et B. عندى. D. غديرى.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فاما رايت الرسوم الممحت ولم يُرَع حق لذي منصب
فمجد بالترحيل عن تونس وودع معاليها وذهب
فسوف تكون بهما فتنة تصيف البرى الى المذنب

ووقفت بالمغرب على ماحمة اخرى فى دولة بنى ابي
حفص هولاء بتونس فيها بعد السلطان ابي يحيى الشهير
عاشر ملوكهم ذكر اخيه محمد يقول فيه

وبعد ابو عبد الله شقيقه ويعرف بالوثاب فى نسخة الاصل

الا ان هذا الرجل لم يملك بعد اخيه وكان يمتى بذلك
نفسه الى ان هلك ومن ملاحم المغرب ايضا الملعبة
النسوبة الى الهوشنى على لغة العامة فى عروض البلد اولها

دعنى يا دمعى (1) السهتان فترت لامطار ولم تفتتر
واشتفت كليها السويدان وانتى تملأ وتغدر
البلدان كليها تروى فاوقاتا مثل ما تدرى
وانتى الصيف والشتوى والفاكا (2) والربيع تجرى
قال حين صحت الدعوى دعنى نبكى ومن (3) عذرى
ايسادبر فى ذى الازمان ذا القمرن اشترى وشميرمر

وهى طويلة ومحفوظة بين عامة المغرب الاقصا والغالب
عليها الوضع لانه لم يصّر منها قول الا على تاويل تحرفه
العامة او يجازف فيه من ينتحلها من الخاصة ووقفت
بالشرق على ماحمة منسوبة لابن العربى الحاتمى فى

(1) Man. D. دعى يا عينى.

(2) Man. D. الفاكى.

(3) Ibid. زمن.

كلام طويل شبه الالغاز لا يعلم تأويله الا الله يتخلله اوفاق
 عديدة (1) ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة وروس مقتطعة
 وتهاويل من حيوانين غريبة وفي آخرها قصيدة على روى
 اللام والغالب انها كلها غير صحيحة لانها لم تبين على
 اصل علمي من نجامة ولا غيرها ومن غريب ما سمعت
 بعض الخواص يتناقلونه بمصر عن ملحمة ابن العربي
 ولعلها غير هذه انه تكلم على طالع بناء القاهرة وانه جعل
 مدة عمراتها اربعماية وستين سنة من دلالات الطوالع
 النجومية وينتهي ذلك الى حدود الثلاثين بعد الثمانماية
 لانا اذا حملنا على الاربعماية والستين حساب القمري لانها
 شهسية فتزيد عليها بحساب ثلاثة لكل مائة اربع عشرة سنة
 فيكون اربعماية وسبعين سنة تحملها على ثلاثماية وثمان
 وخمسين من الهجرة تاريخ بنائها يكون ثمانماية سنة
 واثنين وثلاثين سنة هذا ان صح كلام ابن العربي وصدقت
 الدلائل النجومية وسهعت ايضا ان هناك ملاحم اخرى
 منسوبة لابن سينا ولابن عقب وليس في شيء منها دليل
 على الصحة لان ذلك انما يوخذ من القرانات على ان
 ملاحم ابن ابي العقب مدخولة وقد نقل ابن خلكان في
 ترجمة ابن القربة عن كتاب الاغانى ان ابن ابي العقب

(1) عدوية. B. عددية. Man. C. D.

وهو يحيى بن عبد الله ابن ابي العقب من الامور التي
استوهت ولا وجود لها في الخارج مثل مجنون ليلى وابن
القرية والله اعلم ووقفت بالهشرق ايضا على ملحمة في
جدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية
يسمى الباجريقي وكلها الغاز بالحروف اولها

ان شئت تكشف سر الجفرياسكني من علم خير وصي والسد الحسن
فافهم وكن واعيا حرفسا وجهله والوصف فافعل كفعل الحاذق الغطن
اما الذي قبل عصرى لست اذكره لكنتى اذكر الآتى من الزمن
بيبرس يستقى بحاء بعد خمستها وحاء ميم بطيش نسام في الكفن (1)
ومنها

شيين له اثر من تحت سرتيه له القضا قضا اي ذى المنن
فمصر والشام مع ارض العراق له واذربيجان من ملك الى اليمن
ومنها
وال نوار لما نال ظاهرههم الفاتك الباتك المعنى بالشجن (2)
ومنها

اخلع سعيدا ضعيف السن سين انى لالا وقصاف ونون لسز في قرن
قرم شجاع له عقمل ومشورة يستقى بحاء وابن بعد ذو شجن
ومنها

من بعد بقاء (3) من الاعوام قتلتته بلى المشوة ميم الملك ذو اللسن
هذا هو الاعرج الكلبى فاعن به فى عصره فبن ناهيك من فتن
ياتى من الشرق جيش الترك يقدمهم غاز عن القاف قاف جر بالفتن
فقبل ذاك فويل الشام اجمعها فانذب بشجو على الاهلين والوطن
اذا زلزلت يماويح مصر من الزلزال ما زال عامما غير مقتطن
طاء وطاء وغين كلهم حبسوا هلكى وينفق اموالا بلا يمن

(1) Man. C. et D. الكفن.

(2) Man. B. et C. الشجن.

(3) Man. D. بقاء.

يسير القافى قافا نسحو احمدهم هون (1) به ان ذاك الحصن فى مكن

ومنها

وينصبون اخاهم وهو صالحهم لام الف شين لسذاك ثنى

ومنها

تمت ولايتهم بالسجاء لا احمد من البنين (2) يدانى الملك فى الزمن
ويقال انه اشارة الى الملك الظاهر وقدم ابيه عليه بمصر
ياتى السيد ابوه بسعد حجرته وطول غيبته والشطف والدرن
وابياتها كثيرة والغالب انها مصنوعة ومثل صنعتها كان فى
القديم كثيرا ومعروف الانتحال حكى الهورخون لخبار بغداد
انه كان بها ايام المقتدر وراق ذكى يعرف بالدانيالى يبلى
الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء
اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال
الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل بذلك على ما يريده
منهم من الدنيا وانه وضع فى بعض دفاتره ميم مكررة
ثلاث مرات وجاء به الى مفلح مولى المقتدر وكان عظيما
فى الدولة فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى
مقتدر ميم من كل واحدة وذكر عندها ما يعلم فيه رضاه
مما يناله من الملك والسلطان ونصب له علامات لذلك
من احواله المتعارفة موه بها عليه فبذل له ما اغناه به ثم
وضعه الوزير الحسن بن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان

(1) Man. D. هول.

(2) Man. A. et B. الشين. D. النبيين.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

معزولا فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه
الحروف وبعلامات ذكرها وانه يبلى الوزارة للشامن عشر من
الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا
في ايامه ووقف مفاحا على الاوراق وذكر فيها كوائن اخرى
وملاحم من هذا النوع بما وقع وما لم يقع ونسب جميعه
الى دانيال فاعجب به مفلح ووقف المقتدر عليه واهتدى
من تلك الرموز والعلامات الى ابن وهب لظهورها وكان
ذلك سببا لوزارته بمثل هذه الخيل العريقة في الكذب
والجهل بمثل هذه الالغاز والظاهر ان هذه الهلحة التي
ينسبونها الى الباجريقى من هذا النوع ولقد سألت الشيخ
كمال الدين شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن
هذه الهلحة وعن هذا الرجل الذي تنسب له من الصوفية
وهو الباجريقى وكان عارفا بطرائقهم فقال كان من المعروفين
بالقرندلية المبتدعين في حلق اللحية وكان يتحدث عنهم
يكون من الهلوك لعصره بطريق الكشف ويومى الى رجال
معينين عنده ويلغز عنهم بحروف يعينها في ضميره لمن يراه
منهم وربها نظم ذلك في ابيات قليلة كان يتعاهدها
فتنقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وزاد
فيها الخراصون من ذلك الجنس في كل عصر وشغل
العامة بفك رموزها وهو امر مهتنع اذ الرمز انما يهدى الى

كشفه قانون يعرف قبله او يوضع له واما مثل هذه الحروف
فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا الناظم فرايت
من كلام هذا الرجل الفاضل شفاءً لما كان في النفس من
امر هذه الماحمة وما كنا لنهتدى لولا هدايا الله (ثم) وقفت
بعد ذلك وانا بدمشق عند حلولي مع الركاب السلطاني
بها سنة اثنين وثمانماية وانا على قضاء المالكية بمصر
فوقفت على تاريخ ابن كثير في سنة اربع وعشرين
وسبعماية في ترجمة التعريف بهذا الرجل فقال شمس
الدين مجد الباجريقي ينسب اليه الفرقة الضالة الباجريقية
والمشهور عنهم انكار الصانع وكان والده جهال الدين عبد
الرحيم بن عمر الموصلي رجلا صالحا من علماء الشافعية
ودرس في مدارس بدمشق ونشأ ابنه هذا بين الفقهاء
فاشتغل قليلا ثم اقبل على السلوك ولازمه جماعة يعتقدون
فيه ممن هو على طريقته ثم حكم القاضي باراقة دمه وهرب
الى المشرق ثم اقام البيئة بالعداوة بينه وبين من شهد
عليه وحكم الحنبلي بحقن دمه واقام بالقابون مدة سنين
وتوفي ليلة الاربعاء سادس عشر ربيع الآخر سنة اربع وعشرين
وقال ابن كثير ومن شعر الباجريقي في نظمه الجفر

فاسمع وكن واعيا حرفا وجماله والوصف فافهم بفهم الحاذق الفطن
في قصد مصر وما بالشام يحدثه رب السموات من خير ومن محن

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بيبرس يسقى بكأس بعد خمستها
يا ويح جلق ماذا حل ساحتها
يا ويلها كم عدوا في الدين كم قتلوا
وكم سماع وكم سبى وكم نهبتوا
والكون معهم والارجاء مظلمة
يا للبرايا اما للدين منتصر
عرب العراق ومصر والصعيد اتوا
وحآ ميم بطيش نام في اللبن
واخربوا جامعاً لله كيف بنى
وكم دم سفكوا من عالم ودنى
وحرقوا ثم من شاب ومن يفس
حتى حمائها ناحت على الفئس
قوموا الى الشام من سهل ومن حزن
وموت الكفر فيها عزم مرتكن

تم الفصل الثالث من الكتاب والحمد لله وحده

الفصل الرابع من الكتاب الاول في البلدان والامصار
والمدن وسائر العمران الحضرى وما يعرض في ذلك
من الاحوال وفيه سوابق ولواحق

فصل في ان الدول اقدم من المدن والامصار وانها
انما توجد ثانية عن الملك

وبيانه ان البناء واختطاط المدن انما هو من منازع الحضارة
التي يدعو اليها الترف والدعة كما قدمناه وذلك متأخر
عن البداوة ومنازعها وايضا فالمدن والامصار ذات هياكل
واجرام عظيمة وبناء كبير اذ هي موضوعة للعموم لا للخصوص
فتحتاج الى اجتماع الايدي وكثرة التعاون وليست من الامور

الضرورية للناس التي تعمّ بها البلوى حتى يكون نزوعهم
اليها شوقيا واضطراريا بل لا بدّ من اكرامهم على ذلك
وسوقهم اليه مضطهدين بعضا الهلك او مرغبين في
الثواب والاجر الذي لا يفي به لكثرتة الا الهلك والدولة
فلا بدّ في تهجير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك
ثم اذا بنيت المدينة وكهل تشييدها بحسب نظر من شيدها
وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية فيها فعمر الدولة حينئذ
عمر لها فان كان امد الدولة قصيرا وقف الحال فيها عند
انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت وان كان امد الدولة
طويلا ومدنها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والهنازل
الرحيبة تكثر وتتعدّد ونطاق الاسوار يتباعد وينفسح الى ان
تتسع الخطة وتبعد المسافة ويعبى ذرع المساحة كما وقع
ببغداد وامثالها (ذكر الخطيب في تاريخه ان الحمامات
بلغ عددها ببغداد لعهد المامون خمسة وستين الف حمام
وكانت مشتملة على مدن وامصار متلاصقة ومتقاربة تجاوز
الاربعين ولم تكن مدينة واحدة يجمعها سور واحد لافراط
العمران وكذا حال القيروان وقرطبة والمهدية في الهلة الاسلامية
وحال مصر والقاهرة بعدها فيما يبلغنا لهذا العهد (واما) بعد
انقراض الدولة المشيدة للمدينة فاما ان يكون لضواحي
تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبساتن بادية يهدّها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

العمران دائماً فيكون ذلك حافظاً لوجودها ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب وبعراق العجم من المشرق الوجود لها عمران الجبال لان اهل البدو اذا انتهت احوالهم الى غايتها من الرفه والكسب نزعوا الى الدعة والسكون الذي في طبيعة البشر فينزلون المدن والامصار ويتاهلون فيها واما ان تكون لتلك المدينة الهوتسة مادة تفيدها العمران بتراذف الساكن من بدوها فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها فيزول حفظها ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً الى ان يندعر ساكنها وتخرّب كما وقع في مصر وبعغداد والكوفة بالمشرق والقيروان والمهدية وقلعة ابن حماد بالمغرب وامثالها فتفهمه قربها ينزل المدينة بعد انقراض مختطبيها الاولين ملك اخر ودولة ثانية تتخذها قراراً وكرسياً وتستغنى بها عن اختطاط المدينة لنزلها فتحفظ تلك الدولة سياجها وتزيد مبانيها ومصانعها بتزايد احوال الدولة الثانية وترفها وتستجد بعمرها عمراً اخر كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد فاعتبر ذلك وافهم سر الله في خليقته

فصل في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وذلك ان القبائل والعصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا

للاستيلاء على الامصار لامرين احدهما ما يدعو اليه الملك
من الدعة والراحة وخطّ الاثقال واستكمال ما كان ناقصا
من امور العمران في البدو والثاني دفع ما يتوقع على
الملك من امر المنازعين والشاغبيين لان المصر الذي
يكون في نواحيهم ربها يكون ملجأ لمن يروم منازعتهم
والخروج عليهم وانتزاع ذلك الملك الذي سهوا اليه
من ايديهم فيعتمدون بذلك المصر ويغالبنهم ومغالبة المصر
على نهاية من الصعوبة والهشقة والمصر يقوم مقام العساكر
المتعددة بها فيه من الامتناع ومكانة (1) الحرب من وراء الجدران
من غير حاجة الى كبير عدد ولا عظيم شوكة والعصابة انما
احتيج اليها في الحرب للثبات بما يقع من نعمة القوم
بعضهم على بعض عند الجولة وثبات هاولاء بالجدران فلا
يضطرون الى كبير عصابة ولا عدد فيكون حال هذا المصر
ومن يعتصم به من المنازعين مها يفتت في عضد الامة التي
تروم الاستيلاء ويخضد شوكة استيلائها فاذا كانت بين
احيائهم امصار انتظموها في استيلائهم للامن من مثل هذا
الانحرام وان لم يكون هنالك مصر استحدثوه ضرورة
لتكميل عمرانهم اولا وخطّ اثقالهم وليكون ثانيا شجا في
حلق من يروم العزة والامتناع عليهم من طوائفهم وعصائبهم

(1) Man. A. B. نكايه.

فقد تبين لك ان الملك يدعو الى نزول الامصار
والاستيلاء عليها والله غالب على امره

فصل في المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها
الملك الكبير

انما قدّمنا ذلك في آثار الدول من المباني وغيرها وانها
تكون على نسبتها وذلك ان تشييد المدن انما يحصل
باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم فاذا كانت الدولة عظيمة
متسعة الممالك حشر الفعلة من اقطارها وجمعت ايديهم
على عملها وربما استعين في ذلك اكثر الامر بالهندام
الذي يضاعف القوى والقدر في حمل اثقال البناء لعجز
القدر البشرية عن ذلك كالمنجال وغيره وربما يتوهم كثير
من الناس اذا نظر الى آثار الاقدمين ومصانعهم العظيمة مثل
ايوان كسرى واهرام مصر وحيايا المعلقة وشرشال بالمغرب
انها كانت بقدرهم متفرقين او مجتمعين فيتنخيل لهم اجساما
تناسب ذلك اعظم من هذه بكثير في اطوالها وعروضها
واقطارها ليناسب بينها وبين القدر الذي صدرت تلك
المباني عنها ويغفل عن شأن الهندام والمنجال (I) وما اقتضته
في ذلك الصناعة الهندسية وكثير من المتقربين

(I) Man. A. المنخال. D. المنخال.

في البلاد يعاين من شأن البناء واستعمال الحيل في نقل
 الاجرام عند اهل الدول والمغنيين بذلك من العجم
 بما يشهد له بها قلناه عيانا واكثر آثار الاقدمين لهذا العهد
 نسيها العامة عادية نسبة الى قوم عاد لتوهم ان مباني عاد
 ومصانعهم انما عظمت لعظم اجسامهم وتضاعف قدرهم
 وليس كذلك فقد نجد آثارا كثيرة من آثار الذين نعرف
 مقادير اجسامهم من الامم وهي مثل ذلك العظم واعظم
 كايوان كسرى ومباني العبيديين من الشيعة بافريقية
 والصنهاجيين وائرهم باد الى اليوم في صومعة قلعة ابن
 حماد وكذلك بناء الاغالبية في جامع القيروان وبناء الموحدين
 في رباط الفتح وبناء السلطان ابي الحسن لعهد اربعين
 سنة في المنصورة بازاء تلمسان وكذلك الحنايا التي
 جلب اهل قرطاجنة اليها الماء في القناة الراكبة عليها
 ماثلة ايضا لهذا العهد وغير ذلك من المباني والهيكل
 التي نقلت اليها اخبار اهلها قريبا وبعيدا وتيقنا انهم لم
 يكونوا بافراط في مقادير اجسامهم وانما هذا راى اولع به
 القصاص عن قوم عاد وثمود والعمالقة ونحن نجد بيوت
 ثمود في الحجر منحوتة الى هذا العهد وقد ثبت في
 الحديث الصحيح انها بيوتهم يمر بها الركب الحجازي
 اكثر السنين ويشاهدونها لا تزيد في جوها وساحتها وسمكها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebu-Khaldoun.

على المتعاهد وأنهم ليبالغون فيما يعتقدون من ذلك حتى أنهم ليزعمون أن عوج بن عناق من جيل العمالقة (1) كان يتناول السمك من البحر طرّاً فيشويه في الشمس يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيها قرب منها ولا يعلمون أن الحرّ فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الارض والهواء واما الشمس في نفسها فغير حارة ولا باردة وانما هي كوكب مضى لا مزاج له وقد تقدّم شئ من هذا في الفصل الثاني حيث ذكرنا ان الدول على نسبة قوتها في اصلها والله يخلق ما يشاء

فصل في ان الهياكل العظيمة جدّا لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشريّة وقد تكون الهياكل في عظمها اكبر (2) من القدر مفردة او مضاعفة بالهندام كما قلناه فتحتاج الى معاونة قدر اخرى مثلها في ازمة متعاقبة الى ان تتم فيبتدى الاول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الايدي حتى يتم القصد من ذلك ويقوم مائلا للعيان يظنه من يراه من

(1) Man. A. et B. كنعان.

(2) Man. C. et D. اكثر.

الآخرين انه بناء دولة واحدة وانظر في ذلك ما نقله
 المورخون في بناء سدّ مارب وان الذي بناه سببا بن
 يشحب وساق اليه سبعين واديا وعاقه الموت عن اتمامه
 فاتتته ملوك حمير من بعده ومثل هذا نقل في بناء
 قرطاجنة وقناتها الراكبة على الحنايا العادية واكثر المباني
 العظيمة في الغالب شأنها هذا ويشهد لذلك ان
 المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في تأسيسها
 واختطاطها فاذا لم يتبع اثره من بعده من الملوك في
 اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد فيها ويشهد لذلك
 ايضا انا نجد آثارا كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدولة
 عن هدمها وتخريبها مع ان الهدم اسهل من البناء بكثير
 لان الهدم رجوع الى الاصل الذي هو العدم والبناء على
 خلاف الاصل فاذا وجدنا بناء تضعف قدرنا البشرية عن
 هدمها مع سهولة الهدم عليها ان القدر التي استتته مفرطة
 القوة وانها ليست اثرا لدولة واحدة وهذا مثل ما وقع للعرب
 في ايوان كسرى لها اعتمز الرشيد على هدمه وبعث الى
 يحيى بن خالد وهو في محبسه يستشيره في ذلك فقال
 يا امير الهومنين لا تفعل واتركه مائلا يستدل به على عظم
 ملك ابائك الذين سلبوا الملك لاهل ذلك الهيكل
 فاتهمه في النصيحة وقال اخذته النعرة للعجم والله لاصرعه

PROLÉGOMÈNES
d' Ebn-Khaldoun.

وشرع في هدمه وجمع الايدي عليه واتخذ له الفوس وحماه
بالنار وصب عليه الخل حتى اذا ادركه العجز بعد ذلك
كله وخاف الفضيحة بعث الى يحيى يستشيره ثانيا في
التجافي عن الهدم فقال يا امير المومنين لا تفعل استمر
على شأنك ليلا يقال عجز امير المومنين وملك العرب
عن هدم مصنع من مصانع العجم فعرفها الرشيد واقصر عن
هدمه وكذلك اتفق للمامون في هدم الالهام التي بمصر
وجمع الفعلة لهدمها فلم يحصل بطايل وشرعوا في نقيبته
فانتهوا الى جو بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان
وهناك كان منتهى هدمهم وهو الى اليوم فيما يقال منفذ
ظاهر ويزعم زاعمون انه وجد هناك ركازا بين تلك
الحيطان والله اعلم وكذلك حنايا المعلقة بقرطاجنية الى
هذا العهد يحتاج اهل مدينة تونس الى انتخاب الحجارة
لبنائهم ويستجيد الصنّاع حجارة تلك الحنايا فيحاولون على
هدمها الايام العديدة ولا يسقط الصغير من جدرانها الا بعد
عصب الربق وتجتمع له المحافل المشهورة شهدت منها
في ايام صباثي كثيرا والله على كل شئ قدير

فصل فيما تجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث
اذا اغفل عن المراعاة

المدن قرار تتخذها الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه فتؤثر الدعة والسكون وتثوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك للقرار والماوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيراعى لها ان يدار على منازلها معا سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في ممتنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها (ومما) يراعى في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا لمياه فاسدة ومناقع متعفنة او مروج خبيثة اسرع اليه العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغاية وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قابس من بلاد الجريد بافريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يخلص من

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

حمى العفن بوجه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم
يكن كذلك من قبل ونقل البكرى فى سبب حدوثه
انه وقع فيها حفر ظهر فيه على اناء من نحاس مختوم
بالرصاص فلما فض ختامه صعد منه دخان الى الجو وانقطع
وكان ذلك بدو امراض الحميات فيه واراد بذلك ان
الاناء كان مشتملا على بعض اعمال الطلسمات لوبائه وانه
ذهب سره بذهابه فرجع الى العفن والوباء وهذه الحكاية من
مذاهب العامة ومناحيهم الركيكة والبكرى لم يكن من متانة
العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا او يتبين خرفه
فنقله كما سمعه والذي يكشف الحق فى ذلك ان هذه
الاهوية العفنة اكثر ما يهيئها لتعفن الاجسام وامراض الحميات
ركودها فاذا تخللها الريح ونفشت وذهب بها يمينا وشمالا
خف شأن العفن والمرض المتأدى منها للحيوانات والبلد
اذا كان كثير الساكن وكثرت حركات اهله فيتموج الهواء
ضرورة ويحدث الريح المتخلل للهواء الراكد ويكون ذلك
معينا له على الحركة والتموج واذا خف الساكن لم يجد
الهواء معينا على حركته وتموجه فيبقى راكدا وعظم عفنه
وكثر ضرره وبلد قابس هذه كانت عند ما كانت افريقية
مستبحرة (1) العمران كثيرة الساكن تموج باهلها موجا فكان ذلك

مستبحرة. C. مستحجة. A. et B. Man. (1)

معينا على تموج الهواء واضطرابه وتخفيف الاذى منه فلم يكن فيها كبير عفن ولا مرض وعند ما خف ساكنها ركد هواؤها المتعفن بفساد مياهها فكثر العفن والمرض هذا وجهه لا غير ذلك وقد رأينا عكس ذلك في بلاد وضعت ولم يراع فيها طيب الهواء وكانت اولا قليلة الساكن فكانت امراضها كثيرة فلما كثر ساكنها انتقل حالها عن ذلك وهذا مثل دار الملك بغاس لهذا العهد المسمى بالبلد الجديد وكثير من ذلك في العالم فتفهمه تجد ما قلته لك وقد ذهب لهذا العهد القريب فساد الهواء من قابس وزال عفنها لما حاصرها سلطان تونس وقطع الغابة من النخيل التي كانت محيطة بها فانفرج جانب منها وتموج الهواء المحيط بها وتخللته الرياح فذهب منه العفن والله مصرف الامور (واما جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعى فيها امور (منها) الماء وان يكون البلد على نهر او بازائها عيون عذبة ثرة فان وجود الماء قريبا من البلد مسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية فيكون لهم في وجوده مرفقة عامة (ومها) يراعى من المرافق في المدن طيب المراعى لسائماتهم اذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب ولا بد لها من الهرى فاذا كان قريبا طيبا كان ذلك ارفق لهم مما يعانون من المشقة في بعده (ومها)

PROLÉGOMÈNES
d Ebn-Khaldoun.

يراعى ايضا المزارع فان الزرع هو القوت فاذا كانت مزارع البلد بالقرب منها كان ذلك اسهل فى اتخاذه واقرب فى تحصيله (ومن) ذلك الشعراء للحطب والبناء فان الحطب مما تعم البلوى فى اتخاذه لوقود النيران للاصطلاء والخشب ايضا ضرورى لسقفهم وكثير مما يستعمل فيه الخشب من ضروراتهم (وقد) يراعى ايضا قربها من البحر لتسهيل الحاجات القصية من البلاد النائية الا ان ذلك ليس بمثابة الاول وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجة وما تدعو اليه ضرورة الساكن (وقد) يكون الواضع غافلا عن حسن الاختيار الطبيعى وانما يراعى ما هو اهم على نفسه او قومه ولا يذكر حاجة غيرهم كما فعله العرب لاول الاسلام فى المدن التى اختطوها بالعراق والحجاز وافريقية فانهم لم يراعوا فيها الا المهم عندهم من مراعى الابل وما يصلح لها من الشجر والهاء الملح ولم يراعوا الماء ولا المزارع ولا الحطب ولا مراعى السائمة من ذوات الظلف ولا غير ذلك كالقيروان والكوفة والبصرة وسجلماسة وامثالها ولهذا كانت اقرب الى الخراب لهما لم يراع فيها الامور الطبيعية (فصل) ومما يراعى فى البلاد الساحلية التى على البحر ان تكون فى جبل او تكون بين امة من الامم موفورة العدد يكون صريخا للمدينة متى طرقتا طارق من العدو والسبب فى ذلك ان المدينة اذا

كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل
العصبيات ولا موضعها في متوعر من الجبال كانت في
غرة للبيات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها
وتحيفه (1) لها لها يأمن وجود الصريخ لها وان الحضر المعودين
للدعة قد صاروا عيالا وخرجوا عن حكم المقاتلة وهذا
كالاسكندرية من المشرق وطرابلس من المغرب وبونة
وسلا ومتى كانت القبائل والعصبيات موطنين بقربها
بحيث يبلغهم الصريخ والنفير وكانت متوعرة المسالك
على من يرومها باختطاطها في هضاب الجبال وعلى
اسنفتها كان لها بذلك منعة من العدو ويئسون من
طروقها لما يكودهم من وعرها وما يتوقعونه من اجابة صريخها
كما في سبتة وبجاية وبلد القل على صغرها فافهم ذلك
واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة
العباسية مع ان الدعوة كانت من ورائها ببرقة وافريقية
وانما اعتبر في ذلك المخافة المتوقعة من البحر لسهولة
وضعها ولذلك والله اعلم كان طروق العدو للاسكندرية
وطرابلس في الملة مرات متعدّدة

(1) Man. D. يخيفه.

فصل في المساجد والبيوت المعظمة في العالم

اعلم ان الله سبحانه وتعالى فضل من الارض بقاعا اختصها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وتنمو بها الاجور واخبرنا بذلك على السنة رسله وانبيائه لطفا بعباده وتسهيلا لطرق السعادة بهم وكانت المساجد الثلاثة هي افضل بقاع الارض فيما علمناه حسبما ثبت في الصحيحين وهي مكة والمدينة وبيت المقدس فمكة بيت ابراهيم صلوات الله عليه امره الله ببنائه وان يؤذن في الناس بالحج اليه فبناه هو وابنه اسماعيل كما قصه القران العظيم وقام بما امره الله فيه وسكن اسماعيل به مع هاجر ومن نزل معهم من جرهم الى ان قبضها الله ودفنا بالحجر منها وبيت المقدس هو بيت داود وسليمان عليهما السلام امرهما الله ببناء مسجده وتصب هياكله ودفن كثير من الانبياء من ولد اسحق عليه السلام حواليه والمدينة مهاجر نبينا صلعم امره الله بالهجرة اليها واقامة دين الاسلام بها ومنها فبنى مسجده الحرام بها وكان ماحده الشريف في تربتها فهذه المساجد الشريفة الثلاثة قرّة عين المسلمين ومهوى أفئدتهم وعصمة دينهم وفي الآثار من فضلها ومضاعفة الثواب في مجاورتها والصلاة فيها كثير معروف فلنشر الى شئ من الخبر عن اولية هذه المساجد

الثلاثة وكيف تدرّجت احوالها الى ان كمل ظهورها في العالم
 (فامّا مكة) فاوليتها فيها يقال ان ادم صلعم بناها قبالة البيت
 المعمور ثم هدمها الطوفان بعد ذلك وليس فيه خبر صحيح
 يعول عليه وانما اقتبسوه من محتمل الآية في قوله تعالى
 واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت ثم بعث الله ابراهيم وكان
 من شأنه وشأن زوجته سارة وغيرها من هاجر ما هو معروف
 واوحى الله اليه ان يفارق هاجر ويغربها مع ابنها اسماعيل
 الى فاران وهي جبال مكة (1) مّا وراء الشام وبلد ايلة
 فاخرجها الى هناك ولحقت بمكان البيت وادركها العطش
 وكيف الله لهما من اللطف في نبع ماء من زمزم ومرو
 الرفقة من جرهم بهما حتى احتملوهما وسكنوا اليهما ونزلوا
 معهما حوالى زمزم كما عرف في موضعه فاتخذ اسماعيل
 بموضع الكعبة بيتا ياوى اليه وادار عليه سياجا من الدوم
 وجعله زربا لغنمه وجاء ابراهيم صلعم مرارا لزيارته من الشام
 امر في آخرها ببناء الكعبة مكان ذلك الزرب فبناه واستعان
 فيه بابنه اسماعيل ودعا الناس الى حجه وبقي اسماعيل ساكنا
 به ولما قبضت امه هاجر دفنها فيه ولم ينزل قائما بخدمته
 الى ان قبضه الله تعالى ودفن مع امه هاجر واقام بنوه بامر
 البيت مع احوالهم من جرهم ثم العمالقة من بعدهم واستهتر

(1) Les manuscrits C. et D. portent : هاجر بالغلاة : ابنه اسماعيل وامه ان ينزل (يترك) هاجر بالغلاة : فوضعهما في مكان البيت وسار عنهما وكيف الله لهما من اللطف في نبع ماء بئر زمزم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الحال على ذلك والناس يهرون اليها من كل افق من جميع اهل الارض من الخليقة لا من بنى اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبع الذى يسمي قبار اسعد ابا كعب كساها الهلاء والوصائل وامر بتطهيرها وجعل لها مفتاحا ونقل ايضا ان الفرس كانت تحج وتقرب اليه وان غزالي الذهب الذين وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم كانا من قرابينهم ولم تنزل لجرهم الولاية عليه بعد بنى اسماعيل ومن قبل خولتهم حتى اخرجتهم خزاعة واقاموا بها بعدهم ما شاء الله ثم كثر ولد اسماعيل وانتشروا وتشعبوا الى كنانة ثم كنانة الى قريش وغيرهم وساءت ولاية خزاعة فغلبتهم قريش على امره واخرجوهم من البيت وملكوها وعليهم يومئذ قصي بن كلاب فبنى البيت وسقفها بخشب الدوم وجريد النخل قال الاعشى

حلفت بثوبى راهب والى بناها قصي وحده وابن جرهم

(ثم) اصاب البيت سيل فى ولايتهم ويقال حريق وتهدم فاعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من اموالهم وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة ليلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة عن اتمامه فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة

اذرع وشبرا اذاروها بجدار قصير يطاق من ورائه وهو الحجر
وبقى البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير
بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية
مع الحصين بن نمير السكوني سنة اربع وستين فاصابه حريق
يقال من النفط الذي رموا به على ابن الزبير فتصدعت
حيطانه فهدمه ابن الزبير واعاد بناءه احسن ما كان بعد ان
اختلف عليه الصحابة في بنائه واحتج عليهم بقول رسول
الله صلعم لعائشة لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت
على قواعد ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيًا وغربيًا
فهدمه وكشف عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه
والاكابر حتى عاينوه واثار عليه ابن عباس بالتحري
في حفظ القبلة على الناس فادار على الاساس الخشب ونصب
من فوقها الستور حفظا للقبلة وبعث الى صنعاء في القصة
والكلس فجلبها وسأل عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما
احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم ورفع
جدرانها سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها بابين لاصقين
بالارض كما روى في حديثه وجعل فرشها وازرها بالرخام
وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم جاء
الحجاج لحصاره ايام عبد الملك ورمى على المسجد
بالمنجنيقات الى ان تصدعت حيطانه ثم لما ظفر بابن

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الزبير شاور عبد الملك فيما بناه وزاده في البيت فامر
بهدمه ورد البيت على قواعد قريش كما هي اليوم ويقال
انه ندم على ذلك حين علم صحة رواية ابن الزبير
لحديث عائشة وقال وددت اني كنت حملت ابا حبيب
من امر البيت وبنائه ما تحمل فهدم الحجاج منها ستة
اذرع وشبرا مكان الحجر وبنائها على اساس قريش وسد
الباب الغربي وما تحت عتبة بابها اليوم من الباب
الشرقي وترك سائرهما لم يغير منه شئاً فكل بناء فيها اليوم
بناء ابن الزبير وبين بنائه وبناء الحجاج في الحائط صلة
ظاهرة للعيان لجهة بين البنائين والبناء متبر عن البناء بمقدار
اصبع شبه الصدع وقد لحم ويعرض هناك اشكال قوى
لمنافته لها يقوله الفقهاء في امر الطواف وتحرز الطائف ان
يهيل على الشاذروان الدائر باساس الجدر من اسفلها فيقع طوافه
داخل البيت بناءً على ان الجدار انها قام على
بعض الاساس وترك بعضه وهو مكان الشاذروان
وكذا قالوا في تقبيل الحجر الاسود لا بد
من رجوع الطائف من التقبيل الى ان يستوى قائماً
ليلا يقع بعض طوافه داخل البيت واذا كان الجدران كلها
من بناء ابن الزبير وهو انما بنى على اساس ابراهيم فكيف
يقع هذا الذي قالوه ولا مخلص من ذلك الا باحد امرين

اما ان يكون الحجاج هدمه جميعه واعاده وقد نقل ذلك
 جماعة الا ان العيان في شواهد البناء بالتحام ما بين
 البنائين وتمييز احد الشقيين من اعلاه عن الاخر في الصناعة
 يرد ذلك واما ان يكون ابن الزبير لم يرد البيت على
 اساس ابراهيم من جميع جهاته واتها فعل ذلك في الحجر
 فقط ليدخله فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست
 على قواعد ابراهيم وهذا بعيد ولا محيص عن هذين والله اعلم
 ثم ان ساحة البيت وهو المسجد كان فضاء للطائفين ولم
 يكن عليه جدار ايام النبی صلعم وابى بكر من بعده ثم كثر
 الناس فاشترى عمر دورا هدمها وزادها في المسجد وادار عليه
 جدارا دون القامة وفعل مثل ذلك عثمان ثم ابن الزبير
 ثم الوليد بن عبد الملك وبناه بعمد الرخام ثم زاد فيه
 المنصور وابنه المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقر على
 ذلك لعهدنا وتشريف الله لهذا البيت وعنايته اعظم من
 ان يحاط به وكفى من ذلك ان جعله مهبطا للوحى
 والهلائكة ومكانا للعبادة وفرض فيه شعائر الحج ومناسكه
 واوجب لحرمة من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق
 ما لم يوجبه لغيره فنهى من خالف دين الاسلام من دخول
 ذلك الحرم واوجب على داخله ان يتجرد من المخيط
 الا ازارا يستره وحمى العائذ به والرائع في مساره من مواقع

PROLÉGOMÈNES
d' Ebn-Khaldoun.

الآفات فلا يراع فيه خائف ولا يصاد له وحش ولا يحتطب له شجر وحد الحرم الذي يختص بهذه الحرمه من طريق المدينة ثلاثة اميال الى التنعيم (1) ومن طريق العراق سبعة اميال الى ثنية جبل المنقطع (2) ومن طريق الجعرانة تسعة اميال الى الشعب ومن طريق الطائف سبعة اميال الى بطن نمره ومن طريق جدّة عشرة اميال الى منقطع العشائر هذا شأن مكة وخبرها وتسمى ام القرى وتسمى الكعبة لعلوها من اسم الكعب ويقال لها ايضا بكة قال الاصمعي لان الناس يبك بعضهم بعضا اليها اي يدفع وقال مجاهد انما هي باء بكة ابدلوا ميما كما قالوا لازم ولازب لقرب المخرجين وقال النخعي بل بالباء للبيت وبالميم للبلد وقال الزهري بالباء للمسجد كله وبالميم للحرم وقد كانت الامم منذ عهد الجاهلية تعظمه والملوك تبعث اليه بالاموال والذخائر كسرى وغيره وقصة الاسياف وغزالي الذهب التي وجدها عبد المطلب حين احتفر زمزم معروفة وقد وجد رسول الله صلعم حين افتتح مكة في الحجب الذي كان فيها سبعين الف اوقية من الذهب مما كان الملوك تهدي الى البيت قيمتها الف دينار اثنان مكررة مرتين بمائتي قنطار وزنا وقال له علي بن ابي طالب يا رسول الله لو استغنت

(1) Man. C. السعيم.

(2) Man. A. المنقطع. D. منقطع.

بهذا المال على حربك فلم يفعل ثم ذكر لابي بكر فلم
يحركه هكذا قال الازرقى وفي البخارى بسنده الى
ابى وايل جلست الى شيبه بن عثمان وقال جلس
الى عمر بن الخطاب فقال هممت ان لا ادع
فيها صفراء ولا بيضاء الا قسمتها بين المسلمين قلت
ما انت بفاعل قال فلم قلت لم يفعل صاحبك
قال هما المران يقتدى بهما وخرجه ابو داود وابن ماجه
واقام ذلك المال الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسين
بن الحسين بن على بن على زين العابدين سنة تسع
وتسعين ومائة حين غلب على مكة عمد الى الكعبة فاخذ
ما فى خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا
فيها لا ينتفع به نحن احق به نستعين به على حربنا
واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ
(واما بيت المقدس) وهو المسجد الاقصى فكان اول امره ايام
الصابية موضعا لهيكل الزهرة وكانوا يقربون اليه الزيت فيما
يقربونه ويصبونه على الصخرة التى هناك ثم دثر ذلك الهيكل
واتخذوها بنو اسرائيل حين ملكوها قبلة لصلواتهم وذلك
ان موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني اسرائيل من
مصر ليملكهم بيت المقدس كما وعد الله اباهم اسرائيل
واباه اسحق ويعقوب من قبله واقاموا بارض التيه امره الله

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بأخذ قبة من خشب السنط عيّن بالوحي مقدارها وصفتها
وهياكلها وتهايلها وان يكون فيها تابوت ومائدة بصحافها
ومنارة بقتاديلها وان يصنع مذبحا للقربان ووصف ذلك
كله في التوراة اكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت
العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح المصنوعة عوضا من
الألواح المنزلة بالكلمات العشر لها تكسرت ووضع المذبح
عندها وعهد الله الى موسى بان يكون هرون صاحب القربان
ونصبوا تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون اليها
ويقربون في الهذبة امامها ويتوجهون للوحي عندها ولما
ملكوا ارض الشام انزلوها بكلكال من بلاد الارض المقدسة
ما بين قسم بنى يامين وبنى افرايم وبقيت هنالك
اربع عشرة سنة سبعا مدة الحرب وسبعا بعد الفتح ايام
قسمة البلاد ولما توفى يوشع عليه السلام نقلوها الى بلد
شيلو قريبا من كلكال واداروا عليها الحيطان واقامت على
ذلك ثلثماية سنة حتى ملكها بنو فلسطين من ايديهم
كما مرّ وتغلبوا عليهم ثم ردوا عليهم القبة ونقلوها بعد وفاة
عالي الكوهن الى نوف ثم نقلت ايام طالوت الى كنعون
في بلاد بنى يامين ولما ملك داود عليه السلام نقل
القبة والتابوت الى بيت المقدس وجعل عليها خباء خاصا
ووضعها على الصخرة وبقيت تلك القبة قبلتهم واراد داود

عليه السلام بناء مسجد على الصخرة مكانها فلم يتم له ذلك وعهد به الى ابنه سليمان فبناه لاربع سنين من ملكه ولخمسماية سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمدة من الصفر وجعل فيه صرح الزجاج وغشى ابوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتمائله واوعيته ومناوره ومفاتيحه من الذهب وجعل ظهره مقبوليودع فيه تابوت العهد وجاء به من صهيون بلد ابيه داود نقله اليها ايام عمارة المسجد فجئى به تحمله للاسباط والكهنونية حتى وضع فى القبو ووضع فى القبة والاوعية والهدبح كل حيث اعد له من المسجد واقام كذلك ما شاء الله ثم خربه بخت نصر بعد ثمانماية سنة من بنائه واحرق التوراة والعصا وسبك الهياكل ونثر الاحجار ثم لما اعادهم ملوك الفرس بناء عزيز من بنى اسرائيل لعهد باعانة بهمى ملك الفرس الذى كانت الولادة (1) لبنى اسرائيل عليه من سبى (2) بخت نصر وحد لهم فى بنائه حدودا دون بناء سليمان عليه السلام فلم يتجاوزها (واما) الاواوين التى تحت المسجد يركب بعضها بعضا عمود الاعلى منها على قوس الاسفل فى طبقتين ويتوهم كثير من الناس انها اصطبلات سليمان عليه السلام وليس كذلك وانما بناها تنزيها للبيت المقدس عما يتوهم

(1) Man. B. الولاية.

(2) Man. A. et D. سبى.

من النجاسة لان النجاسات فى شريعتهم وان كانت فى باطن الارض وكان ما بينها وبين ظاهر الارض محشوا بالتراب بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينجس ذلك الظاهر بالتوهم والتهوهم عندهم كالمحقق فبنوا هذه الاواوين على هذه الصورة بعمود الاواوين السفلية تنتهى الى اقواسها وينقطع خطه فلا تتصل النجاسة بالاعلى على خط مستقيم وتنزى البيت عن هذه النجاسة المتهومة ليكون ذلك ابلغ فى الطهارة والتقديس ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم واستفحل الملك لبنى اسرائيل فى هذه المدد لبنى حشمتاي من كهونيتهم ثم لصهرهم هيروودس ولبنىيه من بعدهم وبنى هيروودس بيت المقدس على حدود سليمان عليه السلام. وتأنق فيه حتى اكمله فى ست سنين فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك امرهم حرب بيت المقدس ومسجدها وامر ان يزرع مكانه ثم اخذ الروم بدين المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه ثم اختلف حال ملوك الروم فى الاخذ بدين النصرانية تارة وتركه اخرى الى ان جاء قسطنطين وتنصرت امه هلاية وارتحلت الى القدس فى طلب الخشبة التى صلب عليها المسيح بزعمهم فاحبروها القهامسة بانه رمى بخشبته على الارض والقى عليه القمامات والقاذورات فاستخرجت الخشبة وبنيت مكان تلك

القمامات كنيسة القمامة كأنها على قبره بزعمهم وخربت ما
وجدت من عمارة البيت وأمرت بطرح الزبل والقمامات على
الصخرة حتى غطاها وخفى مكانها جزاء بزعمها عنها فعلوه
من قبر المسيح ثم بنوا ازاء القمامة بيت لحم وهو البيت
الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وبقي الأمر كذلك الى
ان جاء الاسلام والفتح وحضر عمر لفتح بيت المقدس
وسأل عن الصخرة فارى مكانها وقد علاها الزبل والتراب
فكشف عنها وبنى عليها مسجدا على طريق البداوة
وعظم من شأنه ما اذن الله في تعظيمه وما سبق في أم
الكتاب من فضله حسبما ثبت (ثم) احتفل الوليد بن عبد
الملك في تشييد مسجده على سنن مساجد الاسلام بما
شاء الله من الاحتفال كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد
النبي صلعم بالهدينة وفي مسجد دمشق وكانت العرب
تسميه بلاط الوليد والزم ملك الروم ان يبعث الفعلة والمال
لبناء هذه المساجد وان ينمقوها بالفيسفساء فاطاع لذلك
وتم بناؤها على ما اقترحه (ثم) لها ضعف أمر الخلافة اعوام
الخمسماية من الهجرة وفي آخرها وكانت في ملكة
العبيديين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل امرهم زحف
الفرنجية الى بيت المقدس فهلكوه وملكوا معه عامّة ثغور
الشام وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يعظّمونها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ويفتخرون ببنائها حتى اذا استقل صلاح الدين بن ايوب
الكردي بملك مصر والشام ومحي اثر العبيديين وبدعهم
زحف الى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة حتى غلبهم
على البيت المقدس وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام
وذلك نحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة وهدم تلك
الكنيسة واطهر الصخرة وبنى المسجد على النحو الذي هو
عليه لهذا العهد (ولا) يعرض لك الاشكال المعروف في
الحديث الصحيح ان النبي صلعم سئل عن اول بيت
وضع فقال مكة فقيل ثم اى قال بيت المقدس قيل فكم
بينهما قال اربعون سنة فان المدّة بين بناء مكة وبناء بيت
المقدس بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان لان سليمان بانيتها
وهو ينيف على الالف بكثير واعلم ان المراد بالوضع في
الحديث ليس البناء والمراد انما اول بيت عيّن للعبادة
ولا يبعد ان يكون بيت المقدس عيّن للعبادة قبل سليمان
بمثل هذه المدّة وقد نقل ان الصابية بنوا على الصخرة
هيكل الزهرة فلعل ذلك لانها كانت مكانا للعبادة كما كانت
الجاهليّة تضع الاصنام والتماثيل حول (I) الكعبة وفي جوفها
والصابية الذين بنوا هيكل الزهرة كانوا على عهد ابراهيم عليه
السلام فلا تبعد مدّة الاربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع

(1) حوالى Man. C.

بيت المقدس وان لم يكن هناك بناء كما هو المعروف وان
 اول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام فتفهمة وفيه حل
 هذا الاشكال (واما المدينة المنورة) وهي المسماة يثرب فهي من
 بناء يثرب بن المهلايل من العمالقة وبه سميت وملكها بنو
 اسرائيل من ايديهم فيما ملكوه من ارض الحجاز ثم جاورهم
 ابناي قبيلة من غسان وغلبوهم عليها وعلى حصونها ثم امر
 النبي صلعم بالهجرة اليها لما سبق من عناية الله لها
 فهاجر اليها ومعه ابو بكر وتبعه اصحابه ونزل بها وبني
 مسجده وبيوته في الموضع الذي قد كان الله اعده لذلك
 وشرفه في سابق ازله واواه ابناي قبيلة ونصروه وبذلك
 سمو الانصار وتتمت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على
 الكلمات وغلب على قومه وفتح مكة وملكها ووطن
 الانصار انه يتحول عنهم الى بلده فاهتمهم ذلك فخطبهم
 صلعم واخبرهم انه غير متحول حتى اذا قبض صلعم كان
 ما احده الشريف بها وجاء في فضلها من الاحاديث
 الصحيحة ما لا يخفاء به ووقع الخلاف بين العلماء في
 تفضيلها على مكة وقال به مالك رحمه الله لما ثبت عنده
 في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج ان
 النبي صلعم قال المدينة خير من مكة نقل ذلك عبد
 الوهاب في المعونة الى احاديث اخرى تدل بظاهرها على

ذلك وخالف ابو حنيفة والشافعي واصبحت على كل حال
ثانية المسجد الحرام وجنح اليها الامم بافئدتهم من كل
اوب فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد
المعظمة لما سبق من عناية الله لها وتفهم سر الله في الكون
وتدريجه على ترتيب محكم في امور الدين والدنيا (واما) غير
هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الارض الا ما يقال من شأن
مسجد ادم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند لكنه لم
يثبت فيه شئ يعول عليه وقد كانت للامم في القديم مساجد
يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم منها بيوت النار للفرس
وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز التي امر النبي
صلعم بهدمها في غزوانه وقد ذكر المسعودي منها بيوتا
لسنا من ذكرها في شئ اذ هي غير مشروعة ولا هي على
طريق ديني فلا يلتفت اليها ولا الى الخبر عنها ويكفي
في ذلك ما وقع في التواريخ فمن اراد معرفة الاجبار فعليه
بها والله يهدي من يشاء

فصل في ان الامصار والمدن بافريقية والمغرب قليلة

والسبب في ذلك ان هذه الاقطار كانت للبربر منذ آلاف
من السنين قبل الاسلام وان كان عمرانها كله بدويا ولم
تستمر فيهم الحاضرة حتى يستكمل احوالها والدول التي

ملكتهم من الافرنجة والعرب لم يطل امد ملكهم فيهم حتى
 ترسخ الحضارة منها فلم تنزل عوائد البداوة وشؤونها فكانوا لها
 اقرب فلم تكثر مبانيهم وايضا فالصنائع بعيدة عن البربر
 لانهم اعرق (1) في البدو والصنائع من توابع الحضارة وانما تتم
 المباني بها فلا بد من الحذق في تعلمها ولما لم يكن للبربر
 انتحال لها لم يكن لهم تشوف الى المباني فضلا عن
 الهدن وايضا فهم اهل عصبية وانساب (2) لا يخلو عن
 ذلك جمع منهم والانساب والعصبية اجنح الى البدو وانما
 يدعو الى المدن الدعة والسكون ويصير ساكنها عيالا على
 حاميتها فتجد اهل البدو كذلك يستنكفون من سكنى
 المدينة او المقامة (3) بها ولا يدعوهم الى ذلك الا الترف
 والغنى وقليل ما هو في الناس فلذلك كان عمران افريقية
 والمغرب كله او اكثره بدويا اهل خيام وظواعن وقياطن
 وكنن في الجبال وكان عمران بلاد العجم كله او اكثره قرى
 وامصار ورساتيق في بلاد الاندلس والشام ومصر وعراق
 العجم وامثالها لان العجم في الغالب ليسوا باهل انساب
 يحافظون عليها ويتناغون في صراحتها والتحامها الا في
 الاقل واكثر ما يكون سكنى البدو لاهل الانساب لان لحمية
 النسب اقرب واشد فتكون عصبية كذلك وتنزع بصاحبها

(1) Man: D. اغرق.

(2) Man: D. الانتساب.

(3) Ibid. المعاملة.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الى سكنى البدو والتجافى عن الهصر الذى يذهب
بالبسالة ويصيره عيالا على غيره فافهمه وقس عليه

فصل فى ان المبانى والمصانع فى الملة الاسلامية قليلة
بالنسبة الى قدرتها (1) ومن كان قبلها من الدول

والسبب فى ذلك ما ذكرنا مثله (2) فى البربر بعينه اذ
العرب ايضا اعرق (3) فى البدو وابتعد عن الصنائع وايضا فكانوا
اجانب من الممالك التى استولوا عليها قبل الاسلام ولما
تهلكوها لم ينفسخ الامر حتى تستوفى رسوم الحضارة مع انهم
استغنوا بها وجدوا من مبانى غيرهم وايضا فكان الدين اول
الامر مانعا من المغالاة فى البنيان والاسراف فيه من غير
القصد كما عهد لهم عمر حين استاذنوه فى بناء الكوفة
بالحجارة وقد وقع الحريق فى القصب الذى كانوا بنوا به
من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن احد على ثلاثة ابيات
ولا تطاولوا فى البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة وعهد الى
الوفد وتقدم الى الناس ان لا يرفعوا بنيانا فوق القدر قالوا
وما القدر قال ما لا يقربكم من السرف ولا يخرجكم عن
القصد فلما بعد العهد بالدين والتخرج فى امثال هذه المقاصد
وغلبت طبيعة الملك والترف واستخدم العرب امة الفرس

(1) قدرها. Man. C. (1)

(2) شأنه. Man. D. (2)

(3) اغرق. Ibid. (3)

واخذوا عنهم الصنائع والمباني ودعتهم اليها احوال الدعة
والترف وحينئذ شيّدوا الهباني والمصانع وكان عهد ذلك
قريبا بانقراض الدولة ولم يفسح الامر لكثرة البناء واختطاط
المدن والامصار الا قليلا وليس كذلك غيرهم من الامم
فالفرس طالت مدّتهم الآفا من السنين وكذلك القبط والنبط
والروم وكذلك العرب الاول من عاد وثمود والعمالقة
والتابعة طالت آمادهم ورسخت الصنائع فيهم فكانت
مبانيهم وهياكلهم اكثر عددا وابقى على الايام اثرا واستبصر
في هذا تجده كما قلت لك والله وارث الارض ومن
عليها

فصل في ان المباني التي تختطها العرب يسرع اليها
الخراب الا في الاقل

والسبب في ذلك شأن البداوة والبعد عن الصنائع كما
قدّمناه فلا تكون المباني وثيقة في تشييدها وله والله اعلم
وجه اخر وهو امس به وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار
في اختطاط المدن كما قلناه من المكان وطيب الهواء
والمياه والمزارع والمراعى فان بالتفاوت في هذه تتفاوت
جودة المصر او رداءته من حيث العمران الطبيعي والعرب
يغزل عن هذا وانها يراعون مراعى ابلهم خاصة لا يباليون

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بالماء طاب ام خبت ولا قل ام كثر ولا يسألون عن زكى
المزارع والهنابت والاهوية لانتقالهم فى الارض ونقلهم
الحبوب من البلد البعيد واما الرياح فالقفر مختلف
للمهات كلها والظعن كليل لهم بطيها لان الرياح انما
تخبت مع القرار والسكنى وكثرة الفضلات وانظر لما
اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا فى اختطاطها
لا مراعى ابلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن
فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعى للمدن ولم تكن لها
مادة تمد عمرانها من بعدهم كما قدما بانه يحتاج اليه
فى حفظ العمران فقد كانت مواطنهم غير طبيعىة للقرار
ولم تكن فى وسط الامم فيعمرها الناس فلاول وهلة من
انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التى كانت سياجا لها اتى
عليها الخراب والانحلال كان لم تكن والله يحكم لامعقب
لحكمه

فصل فى مبادئ الخراب فى الامصار

اعلم ان الامصار اذا اختطت اولاً تكون قليلة المساكن
وقليلة آلات البناء من الحجر والكلس وغيرها مما يعالى على
الحيطان عند التأنق كالزليج والرخام والفسيفساء والسبج
والصدف والزجاج فيكون بناؤها يومئذ بدويًا وآلاتها فاسدة

فاذا عظم عمران المدينة وكثر ساكنها كثرت آلاتها بكثرة
الاعمال حينئذ وكثرة الصنائع الى ان تبلغ غايتها من ذلك
كما سبق في شأنها فاذا تراجع عمرانها وقل ساكنها
قلت الصنائع لاجل ذلك ففقدت الاجادة في البناء
والاحكام والمعالة عليه بالتنسيق ثم تقل الاعمال لعدم
الساكن فيقل جلب الآلات من الحجر والرخام وغيرهما
فتفقد ويصير بناؤهم وتشبيدهم من الآلات التي في مبانهم
ينقلونها من مصنع الى مصنع لاجل خلاء اكثر المصانع
والقصور والمنازل لقلّة العمران وقصوره عما كان اولا ثم لا تزال
تنقل من قصر الى قصر ومن دار الى دار الى ان يفقد
الكثير منها جملة فيعودون الى البداوة في البناء واتخاذ الطوب
عوضا عن الحجارة والقصور عن التنسيق بالكلية فيعود بناء
المدينة مثل بناء القرى والمداشر ويظهر عليها ميسم (1) البداوة
ثم تمر في التناقص الى غايتها في الخراب ان قدر لها به
سنة الله تعالى في خلقه

فصل في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة
الرفه ونفاق الاسواق وانما هو بتفاضل عمرانها في
الكثرة والقلّة

والسبب في ذلك انه قد عرف وثبت ان الواحد من

(1) ميسم. Man. C. et D.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته في معاشه وانهم
متعاونون جميعا في عمرانهم على ذلك والحاجة التي
تحصل بتعاون طائفة منهم تسد ضرورة الأكثر من عددهم
اضعافا بالقوت من الحنطة مثلا لا يستقل الواحد بتحصيل
حصته منه واذا انتدب لتحصيله السنة او العشرة من حداد
ونجار للآلات وقائم على البقر واثارة الارض وحصاد السنبل
وسائر مؤن الفلاح وتوزعوا على تلك الاعمال او اجتمعوا
وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت فانه حينئذ قوت
لاضعافهم مرات فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات
العاملين وضرورتهم واهل مدينة او مصر اذا وزعت اعمالهم
كلها على مقدار ضرورتهم وحاجاتهم اكتفى فيها بالاكل
من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على
الضرورات فتصرف في حالات الترف وعوائده وما يحتاج
اليه غيرهم من اهل الامصار ويستجلبونه منهم باعواضه
وقيته فيكون لهم بذلك حظ من الغنى وقد يتبين لك
في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق ان المكاسب
انما هي قيم الاعمال فاذا كثرت الاعمال كثرت قيمتها بينهم
فكثرت مكاسبهم ضرورة ودعتهم احوال الرفه والغنى الى
الترف وحاجاته من التائق في المساكن والملابس
واستجادة الآنية والهاعون واتخاذ الخدم والهاكب وهذه

كلها اعمال تستدعى بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام
عليها فتنفق اسواق الاعمال والصنائع ويكثر دخل المصر
وخرجه ويحصل اليسار لمنحلى ذلك من قبل اعمالهم
ومتى زاد العمران زادت الاعمال ثانية ثم زاد الترف تابعا
للكسب وزادت عوائده وحاجاته واستنبطت الصنائع
لتحصيلها فزادت قيمتها وتضاعف الكسب في المدينة
لذلك ثانية ونفق سوق الاعمال بها اكثر من الاول وكذا
في الزيادة الثانية والثالثة لان الاعمال الزائدة كلها تختص
بالترف والغنى بخلاف الاعمال الاصلية التي تختص
بالمعاش فالمصر اذا فضل المصر بعمران واحد فضله بزيادة
كسب ورفه وبعوائد من الترف لا توجد في الاخر فما كان
عمرانه من الامصار اكثر واوفر كان حال اهله في الترف
ابلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في
الاصناف القاضى مع القاضى والتاجر مع التاجر والصانع مع
الصانع والسوقى مع السوقى والامير مع الامير والشرطى مع
الشرطى واعتبر ذلك في المغرب مثلا بحال فاس مع غيرها من
امصاره الاخرى مثل بجاية وتلمسان وسبتة تجد بينهما بونا
كثيرا على الجملة ثم على الخصوصيات فحال القاضى
بفاس اوسع من حال القاضى بتلمسان وكذا كل صنف مع
اهل صنغه وكذا ايضا حال تلمسان مع وهران والحزائر وحال

وهران والجزائر مع ما دونها الى ان ينتهي الى المداشر
 الذين اعتمالهم في ضرورات معاشهم فقط او يقصرون عنها
 وما ذاك الا لتفاوت الاعمال فيها فكانها كلها اسواق
 للاعمال والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس
 دخله كفاء خرجه وكذا القاضي بتلمسان وحيث الدخل
 والخرج اكثر تكون الاموال اعظم واوسع وهما بفاس اكثر
 لسفاق سوق (1) الاعمال بما يدعو اليه الترف فلاحوال اضخم
 ثم هكذا حال وهران وقسطنطينة والجزائر وبسكرة حتى
 تنتهي كما قلنا الى الامصار التي لا تفي اعمالها بضرورتها
 ولا تعد في الامصار اذ هي من قبيل القرى والمداشر
 فلذلك ما نجد اهل هذه الامصار الصغيرة ضعفاء الحال
 متقاربين في الفقر والخصاصة لما ان اعمالهم لا تفي
 بضرورتهم ولا يفضل لهم ما يتأثثونه كسبا فلا تنمو
 مكاسبهم فهم لذلك محاويج مساكين الا في الاقل
 النادر واعتبر ذلك حتى في احوال الفقراء والسؤال فان
 السائل بفاس احسن حالا من السائل بتلمسان او وهران ولقد
 شاهدت بفاس السؤال يسألون ايام الاضاحى اثمان ضحاياهم
 ورايتهم يسألون كثيرا من احوال الترف واقتراح الماكل
 مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون

(1) Man. A. et B. سائر.

كالغربال والآنية ولو سأل السائل مثل هذا بتلمسان او وهران
لاستنكر وعنف وزجر ويبلغنا لهذا العهد عن احوال اهل
القاهرة ومصر من الترف والغنى في عواندهم ما نقضى منه
العجب حتى ان كثيرا من الفقراء بالمغرب ينزعون الى
النقطة الى مصر لذلك ولما يبلغهم ان شأن الرفه بمصر
اعظم من غيرها وتعتقد العامة من الناس ان ذلك لطمو
الاموال في تلك الآفاق وان الاموال مختزنة لديهم وانهم
اكثر صدقة وايتارا من جميع اهل الامصار وليس كذلك
وانما هو لما تعرفه من ان عمران مصر والقاهرة اكثر من
عمران هذه الامصار التي لديك فعظمت لذلك احوالهم
واما حال الدخل والخرج فمتكافئ في جميع الامصار ومتى
عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس ومتى عظم الدخل
والخرج اتسعت احوال الساكن ووسع المصر وكل شئ
يبلغك من هذا فلا تنكره واعتبره بكثرة العمران وما يكون
عند من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل ولا يثار
على مبتغيه ومثله بشأن الحيوانات العجم مع بيوت المدينة
الواحدة وكيف تختلف احوالها في هجرانها او غشيانها فان
بيوت اهل النعم والثروة والهوائد الخصيبة منها تكثر
بساحاتها وافيتها تثير الحبوب وسواقط الفتات فيزدحم عليها
غواشي النهل والخشاش ويكثر في سربها الجردان وتاوى

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

اليه السنابير وتحلق فوقها عصائب الطيور حتى تروح بطانا
وتمتلئ شعبا وريا وبيوت اهل الخصاصة والفقر الكاسدة
ارزاقهم لا يسرى بساحتها دبيب ولا يحلق نحوها طائر
ولا يأوى الى اسراب بيوتها فارة ولا هتر كما قال
يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

فتأمل سر الله واعتبر غاشية الاناسى بغاشية العجم من
الحيوانات وفتات الموائد بفضلات الرزق والترف وسهولتها
على من يبذلها لاستغنائهم عنها فى الاكثر بوجود امثالها
لديهم واعلم ان اتساع الاحوال وكثرة النعم فى العمران تابع
لكثرته والله غنى عن العالمين

فصل فى اسعار المدن

اعلم ان الاسواق كلها تشتتل على حاجات الناس فمنها
الضرورى وهو الاقوات من الخنطة والشعير وما فى
معناها كالباقلا والحمص والجلبان وسائر حبوب الاقوات
ومصاحاتها كالبصل والثوم واشباهه ومنها الحاجى والكمالى
من الادم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر
الصنائع والمبانى فاذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت
اسعار الضرورى من القوت وما فى معناه وغلت اسعار
الكمالى من الادم والفواكه وما يتبعها واذا قر ساكن المصر

وضعف عمرانه كان الامر بالعكس من ذلك والسبب في
 ذلك ان الحبوب من ضرورات القوت فتوفر الدواعي
 على اتخاذها اذ كل احد لا يهمل قوت نفسه ولا قوت
 منزله لشهرة او سنته فيعم اتخاذها اهل المصر اجمع او الاكثر
 منهم في ذلك المصر او فيما قرب منه لا بد من ذلك وكل
 مستخذ لقوته فيفضل عنه وعن اهل بيته فضلة كثيرة تسد خلّة
 كثيرين من اهل ذلك المصر فتفضل الاقوات عن اهل
 المصر من غير شك فترخص اسعارها في الغالب الا ما
 يصيبها في بعض السنين من الآفات السهاوية ولولا احتكار
 الناس لها لما يتوقع من تلك الآفات لبذلت دون ثمن
 ولا عوض لكثرتها بكثرة العمران (واما) سائر المرافق من الادم
 والفواكه وما اليها فانها لا تعم فيها البلوى ولا يستغرق اتخاذها
 اعمال اهل المصر اجمعين ولا الكثير منهم ثم ان المصر اذا
 كان مستبحرا موفور العمران كثير حاجات الترف توفرت
 حينئذ الدواعي على طلب تلك المرافق والاستكثار منها
 كل بحسب حاله فيقصر الموجود منها عن الحاجات
 قصورا بالغا ويكثر المستامون لها وهي قليلة في نفسها
 فتزدحم الاغراض ويبذل اهل الترف والرفه اثمانها باسراف
 في الغلاء لحاجتهم اليها اكثر من غيرهم فيقع فيها الغلاء
 كما تراه (واما) الصنائع والاعمال ايضا في الامصار الموفورة

العمران فسبب الغلاء فيها امور ثلاثة الاول كثرة الحاجة لمكان
الترف في مصر بكثرة عمرانه والثاني اعتزاز اهل الاعمال
بخدمتهم وامتهان انفسهم لسهولة المعاش في الهدينة بكثرة
اقواتها والثالث كثرة المترفين وكثرة حاجاتهم الى امتهان
غيرهم والى استعمال الصناعات في مهنتهم فيبدلون في ذلك
لاهل الاعمال اكثر من قيمة اعمالهم مزاحمة ومنافسة في
الاستئثار بها فيعتزّ الفعلة والصناعات واهل الحرف وتغلا اعمالهم
وتكثر نفقات اهل مصر في ذلك واما الامصار الصغيرة
القليلة الساكن فاقواتهم قليلة لقلّة العمل فيها وما يتوقعونه
لصغر مصرهم من عدم القوت فيتمسكون بها يحصل منه في
ايديهم ويحتكرونه فيعزّ وجوده لديهم ويغلا ثمنه على مستامه
(واما) مرافقهم فلا تدعو اليها ايضا حاجة لقلّة الساكن
وضعف الاحوال فلا ينفق لديهم سوقه فيختص بالرخص
في سعرة وقد يدخل في قيمة الاقوات ما يفرض عليها
من المكوس والهغرم للسلطان في الاسواق وابواب مصر
وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لانفسهم
ولذلك كانت الاسعار في الامصار اغلا من اسعار البادية
اذ المكوس والهغرم والفرائض قليلة لديهم او معدومة
والامصار بالعكس سببها في اواخر الدول وقد يدخل ايضا في
قيمة الاقوات قيمة علاجها في الفلح ويحافظ على ذلك

في اسعارها كما وقع بالاندلس لهذا العهد وذلك انهم
 لها الجاهم النصارى الى سيف البحر وبلاد المتوعدة الخبيثة
 الزراعة النكرة النبات وملكوا عليهم الارض الزاكية والبلد
 الطيب فاحتاجوا الى علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها
 وفاسحها وكان ذلك العلاج باعمال ذات قيم ومواد من
 الزبل وغيره لها مؤنة وصارت في فاسحهم نفقات لها خطر
 فاعتبروها في سعرهم واختص قطر الاندلس بالغلاء منذ اضطرهم
 النصارى الى هذا المعمور بالاسلام مع سواحلها لاجل ذلك
 ويحسب الناس اذا سمعوا بغلاء الاسعار في قطرهم انها لقلّة
 الاقوات والحبوب بارضهم وليس كذلك فهم اكثر اهل
 المعمور فاسحا فيما علمناه واقومهم عليه وقل ان يخلو منهم
 سلطان او سوقة عن فدان او مزرعة او فلاح الا قليل من
 اهل الصناعات والمهن او الطراء على الوطن من الغزاة
 والمجاهدين ولهذا يختصهم السلطان في عطائهم بالعولة
 وهي اقواتهم وعلوفتهم من المزارع (1) وانما السبب في غلاء
 السعر عندهم في الحبوب ما ذكرناه ولما كانت بلاد البربر
 بالعكس من ذلك في زكاء مناباتهم وطيب ارضهم ارتفعت
 عنهم المون جملة في الفلاح مع كثرته وعهومه فصار ذلك سببا
 لرخص الاقوات ببلدهم والله سبحانه وتعالى مقدر الليل والنهار

(1) Man. C. et D. الزرع.

فصل في قصور اهل البادية عن سكنى المصار الكثير العمران

والسبب في ذلك ان المصار الكثير العمران يكثر ترفه كما
 قدمناه وتكثر حاجات ساكنه من اجل الترف وتعداد (1)
 تلك الحاجات لما تدعو اليها فتتقلب ضرورات وتصير
 الاعمال فيه كلها مع ذلك عزيزة والمرافق غالية بازدياد
 الاغراض عليها من اجل الترف وبالمغرم السلطانية التي
 توضع على الاسواق والبياعات وتعتبر في قيم المبيعات
 ويعظم فيها الغلاء في المرافق والاقوات والاعمال فتكثر
 لذلك نفقات ساكنيه كثرة بالغة على نسبة عمرانته
 ويعظم خرجه فيحتاج حينئذ الى الهال الكثير للنفقة على
 نفسه وعياله في ضرورات عيشهم وسائر مؤنهم والبدوي لم
 يكن دخله كثيرا اذ كان ساكنا بمكان كاسد الاسواق
 في الاعمال التي هي سبب الكسب فلم يتأثر كسبا
 ولا مالا فيعتذر عليه من اجل ذلك سكنى المصار الكبير
 لاجل مرافقه وعزة حاجاته وهو في بدوة يسد خلته باقل
 الاعمال لانه قليل عوائد الترف في معاشه وسائر مؤنه
 فلا يضطر الى المال وكل من يتشوف الى المصار وسكنائه من
 اهل البادية فسريعا ما يظهر عجزه ويفتضح الا من تقدم

(1) Mar. C. et D. يعناده.

منهم تأييل المال ويحصل له منه فوق الحاجة ويجرى الى
الغاية الطبيعية لاهل العمران من الدعة والترف فحينئذ ينتقل
الى المصر وينتظم حاله مع احوال اهله في عوائدهم وترفهم
وهكذا شأن بداية عمران الامصار والله بكل شئ محيط

فصل في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير
مثل الامصار

اعلم ان ما توفر عمرانها في الاقطار وتعددت الامم في جهاته
وكثر ساكنه اتسعت احوال اهله وكثرت اموالهم وامصارهم
وعظمت دولهم وممالكهم والسبب في ذلك كله ما ذكرناه
من كثرة الاعمال وما سيأتي ذكره من انها سبب للثروة بها
يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريات في حاجات الساكن
من الفضلة البالغة على مقدار العمران وكثرته فيعود على
الناس كسبا يتأثرونه حسبما نذكر ذلك في فصل المعاش
وبيان الرزق والكسب فيزيد الرفه لذلك وتتسع الاحوال
ويجىء الترف والغنى وتكثر الجباية للدولة بنفاق الاسواق
فيكثر مالها ويشمخ سلطانها ويتفتن في اتخاذ المعامل
والحصون واختطاط المدن وتشيد الامصار واعتبر ذلك
باقطار المشرق مثل مصر والشام وعراق العجم والهند والصين
وناحية الشمال كلها واقطارها وراء البحر الرومي لما كثر

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عمرانها كيف كثر المال فيهم وعظمت دولهم وتعددت مدنهم
وحواضرهم وعظمت متاجرهم واحوالهم فالذي نشاهده لهذا
العهد من احوال تجار الامم النصرانية الواردين على المسلمين
بالمغرب في رفهم واتساع احوالهم اكثر من ان يحيط
به الوصف وكذا تجار اهل المشرق وما يبلغنا من احوالهم
اكثر من ان يحيط وابلغ منها احوال اهل المشرق الاقصى
من عراق العجم والهند والصين (1) فانه يبلغنا عنهم في باب
الغني والرفه احوال غرائب يسير الركاب بحديثها وربما
تتلقى بالانكار في غالب الامر ويحسب من يسمعها من
العامة ان ذلك لزيادة في اموالهم او لان المعادن الذهبية
والفضية اكثر بارضهم او لان ذهب الاقدمين من الامم
استأثروا بها دون غيرهم وليس كذلك فمعدن الذهب الذي
نعرفه في هذه الاقطار انما هو ببلاد السودان وهي الى المغرب
اقرب وجميع ما في ارضهم من البضاعة فانما يجلبونه الى
غير بلادهم للتجارة فلو كان المال عتيدا موفورا لديهم لما
جلبوا بضائعهم الى سواهم يبتغون بها الاموال ولا يستغنوا (2)
عن اموال الناس بالجملة ولقد ذهب المنجمون لما رأوا مثل
ذلك واستغربوا ما في المشرق من كثرة الاحوال واتساعها
ووفور اموالها فقالوا ان عطايا الكواكب والسهام في مواليدهم

(1) Man. A. et B. اليهن.

(2) Man. C. استغنوا.

اهل المشرق اكثر منها حصصا في مواليد اهل المغرب
وذلك صحيح من جهة المطابقة بين الاحكام النجومية
والاحوال الارضية كما قلناه وهم انما اعطوا في ذلك السبب
النجومى وبقي عليهم ان يعطوا السبب الارضى وهو ما
ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بارض المشرق واقطاره
وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة الاعمال التى هى
سببه فلذلك اختص المشرق بالرفه من بين الآفاق
لا ان ذلك بمجرد الاثر النجومى فقد فهمت مما اشرفنا
لك اول انه لا يستقل بذلك فان المطابقة بين حكمه
وعمران الارض وطبيعتها امر لا بد منه واعتبر حال هذا الرفه
من العمران في قطر افريقية وبرقة لما حق ساكنها
وتناقص عمرانها كيف تلاشت احوال اهلها وانتهوا الى
الفقر والخصاصة وضعفت جباياتها فقلت اموال دولها بعد
ان كانت دول الشيعة وصنهاجة بها على ما بلغك من
الرفه وكثرة الجبايات واتساع الاحوال في نفقاتهم واعطيائهم
حتى لقد كانت الاموال ترفع من القيروان الى صاحب مصر
لحاجاته ومهماته في غالب الاوقات وكانت اموال الدولة
بحيث حمل جوهر الكاتب في سفره الى فتح مصر
الف حمل من الهال يستعدّها لارزاق الجنود واعطيائهم
ونفقات الغزاة وقطر المغرب وان كان في القديم دون

افريقية فلم يكن بالقليل في ذلك وكانت احواله في
دولة الموحدين متسعة وجباياته موفورة وهو لهذا العهد قد
اقصر عن ذلك لقصور العمران فيه وتناقضه فقد ذهب
من عمران البربر فيه اكثره ونقص من معهودة نقضا ظاهرا
محسوسا وكاد ان يلحق في احواله بمثل احوال افريقية
بعد ان كان عمرانها متصلا من البحر الرومي الى بلاد
السودان في طول ما بين السوس الاقصى وبرقة وهي اليوم
كلها او اكثرها قفار وخلاء وصحارى الا ما هو منها بسيف
البحر او ما يقاربه من التلول والله وارث الارض ومن عليها
وهو خير الوارثين

فصل في تأثر العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها
ومستغلاتها

اعلم ان تأثر العقار والضياع الكثيرة لاهل المدن والامصار
لا يكون دفعة ولا في عصر واحد اذ ليس يكون لاحد منهم
من الثروة ما يملك به الاملاك التي يخرج فيها عن الحد
ولو بلغت احوالهم في الرفه ما عسى ان تبلغ وانما يكون
ملكهم لها وتأثرهم تدريجا اما بالوراثة من ابائه وذوي رحمه
حتى تتأدى املاك الكثيرين منهم الى الواحد واكثر كذلك
او يكون (1) بحوالة الاسواق فان العقار في اواخر الدولة واول

(1) Man. D. واكثر ذلك ان يكون

الآخري عند فناء الحامية وخرق السياج وتداعى المصر الى
الخراب تقل الغبطة به لقلّة المنفعة فيها بتلاشى الاحوال
فترخص قيمها وتتملك بالاثمان اليسيرة وتتخطى بالميراث
الى ملك الآخر وقد استجدّ المصر شبابه باستفحال الدولة
الثانية وانتظمت معه احوال حسنة تحصل معها الغبطة في
العقار والضياع لكثرة منافعها حينئذ فتعظم قيمها ويكون لها
خطر لم يكن في الاول وهذا معنى الحوالة فيها ويصبح
مالكها من اغنى اهل المصر وليس ذلك بسعيه
واكتسابه اذ قدرته تعجز عن مثل ذلك (واما) فوائد (1) العقار
والضياع فهي غير كافية لمالكها في حاجات معاشه اذ هي
لا تفي بعوائد الترف واسبابه وانما هي في الغالب لسدّ
الخلّة وضرورة المعاش والذي سمعناه من مشيخة البلدان
ان القصد باقتناء الملك من العقار والضياع انما هو الخشية
على من يترك خلفه من الذريّة الضعاف ليكون مرباهم
ورزقهم فيه ونشوهم بفائدته ما داموا عاجزين عن الاكتساب
فاذا اقتدروا على تحصيل المكاسب سعوا فيها بانفسهم
وربما يكون من الولد من يعجز عن التكبّب لضعف
في بدنه او آفة في عقله المعاشي فيكون ذلك العقار
قواما لحاله هذا قصد المترفين في اقتنائه (واما) التمول

(1) تزايد. Man. A. et D.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

منه واجراء احوال المترفين فلا وقد يحصل ذلك منه للقليل
او النادر بحوالة الأسواق وحصول الكثرة البالغة منه والتغالى (1)
فى جنسه وقيمته فى المصر الا ان ذلك اذا حصل
فربما امتدت اليه اعين الامراء والولاة واغتصبوه فى الغالب
او ارادوه على بيعه منهم ونالت اصحابه منه مضارّ ومعاطب
والله غالب على امره

فصل فى حاجة المتمولين من اهل الامصار الى الجاه (2)
والمدافعة

وذلك ان الحضرى اذا عظم تموله وكثر للعقار والضياع
تأثله واصبح اغنى اهل المصر ورمقته العيون وانفسحت
احواله فى الترف والعوائد زاحم عليها الامراء والملوك
وغصوا به ولما فى طباع البشر من العدوان تمتد اعينهم الى
تملك ما بيده وينافسونه فيه ويتحيلون على ذلك بكل
ممكن حتى بحصوله (3) فى ربة حكم سلطانتى وسبب من
المواخذة ظاهر ينتزع به ماله واكثر الاحكام السلطانية جائرة
فى الغالب اذ العدل المحض انما هو فى الخلافة الشرعية
وهى قليلة اللبث قال صلعم الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم
تعود ملكا عضوا فلا بد حينئذ لصاحب المال والثروة الشهيرة

(1) Man. A. المغالى. B. et C. العالى.

(2) Man. D. الحماية.

(3) Man. A. يحصلونه D. محصوله.

في العمران من حامية تدود عنه وجاه ينسحب عليه من
ذى قرابة للهلك او خالصة له او عصبية يتحاماها السلطان
فيستظل هو بظلمها ويرتفع (1) في امنها من طوارق التعدي
وان لم يكن له ذلك اصبح نهبا بوجوه التحيلات واسباب
الحكم والله يحكم لا معقب لحكمه

فصل في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها
ترسخ باتصال الدولة ورسوخها

والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة
على الضروري من احوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت
الرفه وتفاوت الامم (2) في القلة والكثرة تفاوتها غير منحصر
ويقع فيها عند كثرة التفتن في انواعها واصنافها فيكون
بمنزلة الصنائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه المهرة
فيه ويقدر ما يتميز من اصنافها بتزويد اهل صناعتها ويتلون
ذلك الجيل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك
الصناعات حذق اولئك الصنائع في صناعاتهم ومهروا
في معرفتها والاعصار بطولها وانفساح امدها وتكرر امثالها
تزيدها استحكما ورسوخا واكثر ما يكون ذلك في
الامصار لاستبحار العمران وكثرة الرفه في اهلها وذلك كله

(1) Man. A. et B. يرتفع.

(2) Man. C. et D. الامر.

أما يجي من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال الرعيّة
وتنفقها في بطانتها ورجالها وتتسع احوالهم بالجاه اكثر
من اتساعها بالمال فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا
وخرجها في اهل الدولة ثم فيمن تعلق بهم من اهل
المصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم
وتزيد عوائد الشرف ومذاهبه وتستحكم لديهم الصنائع في
سائر قنونه وهذه هي الحضارة ولهذا نجد الامصار التي في
القاصية ولو كانت موفورة العمران فتغلب عليها احوال
البداءة وتبعد عن الحضارة في جميع مذاهبها بخلاف المدن
المتوسطة في الاقطار التي هي مركز الدولة ومقرها وما ذلك
الا لمجاورة السلطان لهم وفيض امواله فيهم كالماء يخضر ما
قرب منه مما (1) قرب من الارض الى ان ينتهي الى الجفوف
على البعد (2) وقد قدّمنا ان السلطان والدولة سوق للعالم
فالبضائع كلها موجودة في السوق وما قرب منه واذا بعدت
عن السوق افتقدت البضائع جملة ثم انه اذا اتصلت
تلك الدولة وتعاقب ملوكها في ذلك المصر واحدا بعد
واحد استحكمت الحضارة فيهم وزادت رسوخا واعتبر ذلك
في اليهود لما طال ملكهم في الشام نحو من الف واربعماية
سنة رسخت حضارتهم وحذقوا في احوال المعاش وعوائده

(1) Man. A. بما. C. فيها.

(2) Man. A. et B. البعيد.

والتفنن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر احوال
الهنزل حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب الى اليوم ورسخت
الحضارة ايضا وعواندها في الشام منهم ومن دول الروم
بعدهم ستمائة سنة فكانوا في غاية الحضارة وكذلك ايضا
القبط دام ملكهم في الخليقة ثلاثة آلاف من السنين
فرسخت عوائد الحضارة في بلدهم مصر واعقبهم بها ملك
اليونانيين والروم ثم ملك الاسلام الناسخ لكل فلم تنزل
عوائد الحضارة بها متصلة وكذلك ايضا رسخت عوائد
الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالقة
والتابعة آفا من السنين واعقبهم ملك مصر وكذلك
الحضارة بالعراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من لدن
الكلدانيين والكنيية والكسروية والعرب بعدهم آفا من
السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر من اهل
الشام والعراق ومصر وكذلك ايضا رسخت عوائد الحضارة
بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط ثم ما اعقبها من
ملك بنى امية آفا من السنين وكلا الدولتين عظيم
فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت واما افريقية
والمغرب فلم يكن فيها قبل الاسلام ملك ضخم انما قطع
الروم والافرنجة الى افريقية البحر وملكوا الساحل وكانت
طاعة البربر اهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

قلعة واوفاز (1) واهل المغرب لم تجاورهم دولة وانما كانوا
يبعثون بطاعتهم الى القوط من وراء البحر ولما جاء الله
بالاسلام وملك العرب افريقية والمغرب لم يلبث فيهم
ملك العرب الا قليلا اول الاسلام وكانوا لذلك العهد في
طور البداوة ومن استقر منهم بافريقية والمغرب لم يجد بهما
من الحضارة ما يقد فيه من سلفه اذ كانوا برابر منغهمسين
في البداوة ثم انتفض برابرة المغرب الاقصى لا قرب العهود
على يد ميسرة المظفرى ايام هشام بن عبد الملك ولم
يراجعوا امر العرب بعد واستقلوا بامر انفسهم وان بايعوا
لادريس فلا تعد دولتهم فيهم عربية لان البرابرة هم الذين
تولوها ولم يكن من العرب فيها كبير عدد وبقيت افريقية
للاغلبة ومن اليهم من العرب فكان لهم من الحضارة
بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه
وكثرة عمران القيروان وورث ذلك عنهم كتامة ثم صنهاجة
من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ اربعماية سنة وانصرفت
دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة
وتغلب بدو العرب الهلاليين عليها وخربوها وبقي اثر خفي
من حضارة العمران فيها والى هذا العهد يونس فيمن سلف
له بالقلعة او القيروان او المهديّة سلف فتجد له من احوال

(1) Man. C. قلعه واوفاز. D. قلعة وافان.

الحضارة في شؤون منزله وعوائد احواله آثارا ملتبسة بغيرها
يمييزها الحضري البصير بها وكذا في اكثر امصار افريقية
وليس ذلك في المغرب وامصار لرسوخ الدولة في افريقية
اكثر امدا منذ عهد الاغالبة والشيعة وصنهاجة واما المغرب
فانتقل اليه منذ دولة الموحدين من الاندلس حظ كبير من
الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من
الاستيلاء على بلاد الاندلس وانتقل الكثير من اهلها اليهم
طوعا وكرها وكانت من اتساع النطاق ما علمت فكان فيها
حظ صالح من الحضارة واستحكامها ومعظمها من اهل
الاندلس ثم انتقل اهل شرق الاندلس عند جالية النصارى
الى افريقية فابقوا بها وبامصارها من الحضارة آثارا معظمها
بتونس امتزجت بحضارة مصر وما ينقله المسافرون من عوائدها
فكانت بذلك للمغرب وافريقية حظ من الحضارة صالح
عفا عليه الخفا ورجع على اعقابه وعاد البربر بالمغرب الى
اديانهم من البداوة والخشونة وعلى كل حال فائر الحضارة
بافريقية اكثر منها بالمغرب وامصارها لها تداول فيها من الدول
السالفة اكثر من المغرب ولقرب عوائدهم من عوائد اهل
مصر بكثرة المترددين بينهم فتغتن لهذا السر فانه خفي
عن الناس (واعلم) انها امور متناسبة وهي حال الدولة
في القوة والضعف وكثرة الامة او الجليل وعظم المدينة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoon.

او المصر وكثرة النعمة واليسار وذلك ان الدولة والملك
صورة الخليقة وال عمران وكلها مادة له من الرعايا والامصار
وسائر الاحوال واموال الجباية عائدة عليهم ويسارهم في
الغالب من اسواقهم ومتاجرهم واذا افاض السلطان عطاءه
وامواله في اهلها انبتت فيهم ورجعت اليه ثم اليهم منه
فهى ذاهبة عنهم في الجباية والخراج عائدة عليهم في
العطاء فعلى نسبة مال الدولة يكون يسار الرعايا وعلى نسبة
يسار الرعايا ايضا وكثرتهم يكون مال الدولة واصله كله العهران
وكثرته فاعتبره وتامله تجده والله سبحانه وتعالى يحكم
لا معقب لحكمه

فصل فى ان الحضارة غاية لل عمران ونهاية لعمره
وانها مؤذنة بفساده

قد بيّنا لك فيما سلف ان الملك والدول غاية
للعصبية وان الحضارة غاية للبداءة وان العمران
كله من بداءة وحضارة وملك وسوقة له عمر
محسوس كما ان للشخص الواحد من اشخاص المكونات
عمر محسوسا وتبين فى المعقول والمنقول ان الاربعين
للانسان غاية فى تزايد قواه ونموها وانه اذا بلغ سن الاربعين
وقفت الطبيعة عن اثر النمو والنمو برهة ثم تاخذ بعد ذلك

في الانحطاط فلتعلم ان الحضارة في العمران ايضا كذلك
 لانه غاية لا مزيد وراها وذلك ان الترف والنعمة اذا
 حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الى مذاهب الحضارة
 والتخلق بعوائدها والحضارة كما علمت هي التفتن في
 الترف واستجادة احواله والكلف بالصنائع التي تونق (1) من
 اصنافه وسائر فنونه كالصنائع المهيبة للطبايح واليابس
 او المبانى او الفرش او الآنية لسائر احوال المنزل وللتائق
 في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة
 وعدم التائق فيها واذا بلغ التائق في هذه الاحوال المنزلية
 الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من تلك العوائد
 بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما
 دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها واما دنياها
 فلكثرة الحاجات والمونات التي تطالب بها العوائد ويعجز
 الكسب عن الوفاء بها وبيانه ان المصر بالتفتن في الحضارة
 يعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت العمران فمتى
 كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قدّمنا
 ان المصر الكثير العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار
 حاجاته ثم تزيدها الهكوس غلاء لان كمال الحضارة انها
 يكون عند نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع

(1) Man. D. تونق.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الهكوس في الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والهكوس تعود على البياعات بالغلاء لان السوق والتجار كلهم يحتسبون على سلعهم وبصائعهم بجميع ما ينفقونه حتى مؤنة انفسهم فيكون المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات وانهاها فتعظم نفقات اهل الحاضرة (1) وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من اسر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون (2) في الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضائع فتكسد الاسواق وتفسد حال المدينة وداعية ذلك كله افراط الحضارة والترف وهذه مفسدتها في المدينة على العموم في الاسواق وال عمران واما فساد اهلها في (3) ذواتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد تحصيلها بحصول لون اخر من الوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجرياء على الكذب والمقامرة والغش والخلافة والسرقفة والفجور في الايمان والرباء في

(1) Man. D. الحضارة.

(2) Ibid. يتتابعون.

(3) Man. A. et B. من.

البياعات ثم تجدهم لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن
الترف ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به وبدواعيه
واطراح الحشمة في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوى
الارحام والمحام الذين يقتضى البداوة الحياء منهم فى
الاقذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالهكر والخديعة يدفعون
بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب
على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم
الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل
الخلق الذميمة ويجاريهم (1) فيها كثير من ناشئة (2) الدولة
وولدانهم ممن اهل عن التأديب واهلته الدولة من عداها
وغلب عليه خلق الجوار والصحابة (3) وان كانوا اصحابه اهل
انساب وابوات وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما
تفاضلوا وتمايزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب
الرزائل فمن استحكمت فيه صبغة الرذيلة باى وجه كان
وفسدت خلق الخير فيه لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب
منبته ولهذا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوى الاحساب
والاصالة واهل الدول مطرحين فى الغمار منتحلين
للحرف الدنيّة فى معاشهم بها فسد من اخلاقهم وما
تلوّنوا به من صبغة الشر والسفسفة واذا كثر ذلك فى

(1) Man. D. يجازهم.

(2) Man. C. نسبة.

(3) Man. D. الصحاب.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

المدينة او اامة تاذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض الخواص (1) ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارج تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحاشى (2) غرس النارج بالدور تطيرا به وليس المراد ذلك ولا انه طيرة (3) في النارج وانما معناه ان البساتين واجراء المياه هو من توابع الحضارة ثم ان النارج والليم والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة هو من غايات الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد التنفث في مذاهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلا وهو من هذا الباب اذ الدفلا لا يقصد بها الا تلون البساتين بنورها ما بين احمر وابيض وهو من مذاهب الترف ومن مفسد الحضارة ايضا لانهم ماك في

(1) Man. A. et B. اهل الخواص. D. اهل الحواصر. (2) Man. D. يتحاشى.

(3) Man. C. et D. خاصة.

الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات البطن من الماكل وملاذها والمشارب وطيبها ويتبع ذلك التفتن في شهوات الفرج بانواع المناكح من الزناء واللواط فيفضى ذلك الى فساد النوع اما بواسطة اختلاط الانساب كما في الزناء فيجهل كل احد ابنه اذ هو لغير رشده ولان المياه مختلطة في الارحام فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويودى ذلك الى انقطاع النوع او يكون فساد النوع بغير واسطة كما في اللواط المودى الى عدم النسل راسا وهو اشد في فساد النوع اذ هو يودى الى ان لا يوجد النوع والزناء يودى الى عدم ما يوجد منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله في اللواط اظهر من مذهب غيره ودل على انه ابصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به ان غاية العمران هي الحضارة والترف وانه اذا بلغ غايته انقلب الى الفساد واخذ في الهرم كالعمر الطبيعية للحيوانات بل نقول ان الخلق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد لان الانسان انما هو انسان باقتداره على جلب منافعه ودفع مضاره واستقامة خلقه للسعى في ذلك والحضرة لا يقدر على مباشرة حاجاته اما عجزا بها حصل له من الدعة او ترفعا لما حصل له من المرء في النعيم والترف

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وكلا الأمرين ذميم وكذلك لا يقدر على دفع الهضار بما
فقد من خلق البأس بالتشرف والمربا في قهر التآديب
والتعليم فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه ثم
هو فاسد أيضا في دينه غالبا بما افسدت منه العوائد وطاعاتها
وما تلوّنت (1) به النفس من ملكاتها كما قررناه الا في
الاقل النادر واذا فسد الانسان في قدرته ثم في اخلاقه ودينه
فقد فسدت انسانيته وصار مسخا على الحقيقة وبهذا
الاعتبار كان الذين يتقربون من جند السلطان الى
البداءة والخشونة انفع من الذين يربون على الحضارة
وخلقها وهذا موجود في كل دولة فقد تبين ان الحضارة
سنّ الوقوف لعمر العالم من العمران والدول والله الواحد
القهار

فصل في ان الامصار التي تكون كراسي للملوك
تخرب بخراب الدولة وانتقاضها

قد استقر بنا في العمران ان الدولة اذا انتقضت واختلت
فان المصر الذي يكون كرسيا لسلطانها ينتقض عمرانها
وربما ينتهي في انتقاضه الى الخراب ولا يكاد ذلك
يتخلف (2) والسبب فيه امور (الاول) الدولة لا بد في اولها
من البداءة المقتضية للتجافي عن اموال الناس والبعد عن

(1) تلوّنت Man. A. et B.

(2) يتخلف Man. A.

التحذلق ويدعو ذلك الى تخفيف الجباية والمغارم التي
 منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقصر الترف فاذا صار
 المصر الذي كان كرسيا للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة
 ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف فيمن تحت ايديها
 من اهل المصر لان الرعايا تبع للدولة فيرجعون الى خلق الدولة
 اما طوعا بما في طباع البشر من تقليد متبوعهم او كرها
 بها تدعو اليه خلق الدولة من الانقباض عن الترف في جميع
 الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر لذلك
 حضارة مصر ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهي معنى
 ما نقوله من خراب مصر (الامر الثاني) ان الدولة انما
 يحصل لها الملك والاستيلاء بالغلب وانما يكون بعد
 العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين اهل
 الدولتين وتكثر احديهما على الاخرى في العوائد والاحوال
 وغلب احد المنافيين يذهب بالمنافى الاخر فتكون احوال
 الدولة السابقة منكورة عند اهل الدولة الجديدة ومستشعة (1)
 وقبيحة وخصوصا احوال الترف فتفقد في عرفهم بنكير
 الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج عوائد اخرى من الترف
 يكون عنها حضارة مستأنفة وفيها بين ذلك قصور الحضارة
 الاولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في مصر (الامر

(1) Man. A. et B. مستشعة.

الثالث) ان كل أمة لا بد لهم من وطن هو منشأوهم ومنه
أولية ملكهم واذا ملكوا وطنا اخر صار تبعا للاول وامصاره
تابعة لامصار الاول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من
توسط الكرسي بين تخوم الممالك التي للدولة لانه شبه
المركز للنطاق فيبعد مكانه عن مكان الكرسي الاول وتهدى
افئدة الناس اليه من اجل الدولة والسلطان فينتقل اليه
العمران ويخف من مصر الكرسي الاول والحضارة انما هي
بوفور العمران كما قدّمنا فتنتقص حضارته وتمدّنه وهو معنى
اختلاله وهذا كما وقع للساجوقية في عدولهم بكرسيهم عن بغداد
الى اصبهان وللعرب قبلهم في العدول عن الهدائن الى
الكوفة والبصرة ولبنى العباس في العدول عن دمشق الى
بغداد ولبنى مرين بالمغرب في العدول عن مراکش
الى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر يخل
بعمران الكرسي الاول (الامر الرابع) ان الدولة المتجددة
اذا غلبت على الدولة السابقة لا بد فيها من تتبع اهل
الدولة السابقة واشياعها بتحويلهم الى قطر اخر تؤمن فيه
غايلتهم على الدولة واكثر اهل مصر الكرسي اشياع للدولة
اما من الحماية الذي نزلوا به اول الدولة او من اعيان
المصر لان لهم في الغالب مخالطة في الدولة على طبقاتهم
وتنوع اصنافهم بل اكثرهم ناشئ في الدولة فهم شيعة

لها وان لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم بالميل والمحبة
والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة محو آثار الدولة السابقة
فتنقلهم من مصر الكرسي الى وطنهم المتكمن في ملكتها
فبعضهم على نوع التغريب والحبس وبعض على نوع الكرامة
والتلطف بحيث لا يؤدي الى النفرة حتى لا يبقى في مصر
الكرسي الا الباعة والههل من اهل الفلاح والعيارة وسواد
العامة وينزل مكانهم في حاميتهما واشياعها من تسد به
المصر واذا ذهب من مصر اعيانه على طبقاتهم نقص ساكنه
وهو معنى اختلال عمرانه ثم لا بد ان يستجد عمراننا اخر
في ظل الدولة الجديدة وتحصل فيه حضارة اخرى على
قدر الدولة وانما ذلك بمثابة من يملك بيتا داخله البلى
والكثير من اوضاعه في بيوته ومرافقه لا توافق مقترحه وله
قدرة على تغيير تلك الاوضاع واعادة بنائها على ما يختاره
ويقترحه فيخرب ذلك البيت ثم يعيد بناءه ثانيا وقد
وقع من ذلك كثير في الامصار التي هي كراسي
للملك وشاهدناه وعلمناه والله مقدر الليل والنهار والسبب
الطبيعي الاول في ذلك على الجملة ان الدولة والملك
للعمران بمثابة الصورة للمادة وهو الشكل الحافظ بنوعه
لوجودها وقد تقرر في علوم الحكمة انه لا يمكن انفكاك
احدهما عن الاخر فالدولة دون العمران لا تتصور والعمران

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

دون الدولة والهلك متعذر بها في طباع البشر من التعاون
الداعي الى الوازع فتتعين السياسة لذلك اما الشريعة او
الملكيّة وهي معنى الدولة واذا كانا لا ينفكان فاختلال
احدهما مؤثر في اختلال الآخر كما كان عدمه مؤثرا في عدمه
والخلل العظيم انما يكون من خلل الدولة الكليّة مثل دولة
الفرس او الروم او العرب على العموم او بنى امية او بنى
العباس كذلك واما الدول الشخصية مثل دولة انوشروان
او هرقل او عبد الملك بن مروان او الرشيد فاشخاصها
متعاقبة على العمران حافظة لوجوده وبقائه وقريبة الشبه
بعضها من بعض فلا تؤثر كثير اختلال لان الدولة بالحقيقة
الفاعلة في مادة العمران اتما هي للعصبية والشوكة وهي
مستمرة مع اشخاص الدول فاذا ذهبت تلك العصبية
ودفعت عصبية اخرى مؤثرة في العمران فذهبت اهل الشوكة
باجمعهم عظم الخلل كما قررناه اولا والله قادر على ما يشاء
ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك
على الله بعزير

فصل في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

وذلك انه من البيّن ان اعمال اهل مصر تستدعي بعضها
بعضا لما في طبيعة العمران من التعاون وما يستدعي من

الاعمال يختص ببعض اهل مصر فيقومون عليه
ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ويجعلون معاشهم
فيه ورزقهم منه لعموم البلوى فيه في مصر والحاجة اليه وما
لا يستدعى في مصر يكون غفلا اذ لا فائدة لمنحله في
الاحتراف به وما يستدعى من ذلك لضرورة المعاش فيوجد
في كل مصر كالخياط والحداد والنجار وامثالها وما يستدعى
لعوائد الترف واحواله فانها يوجد في المدن المستبصرة في
العمارة الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج
والصائغ والدهان والطباخ والصفار والسفاج والهتاس والدباج
وامثال هذه وهي متفاوتة (1) ويقدر ما تزيد عوائد الحضارة
وتستدعى احوال الترف تحدث صنائع لذلك النوع فتوجد
لذلك الهصر دون غيره ومن هذا الباب الحمامات لانها
انما توجد في الامصار المستحضرة المستبصرة العمران لما
يدعو اليه الترف والغنى من التنعم ولذلك لا يكون في
المدن المتوسطة وان نزع بعض الملوك والروساء اليه
فيختطها ويجري احوالها الا انها اذا لم تكن لها داعية من
كافة الناس فسرعان ما تهجر وتخرب وتفر عنها القومة لقلّة
فائدتهم ومعاشهم منها والله يقبض ويبسط

(1) متقاربة. Man. A. et B.

فصل في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم
على بعض

من البين ان الالتحام والاتصال موجود في طباع البشر وان لم يكونوا اهل نسب واحد الا انه كما قد مناه اضعف مما يكون بالنسب وانه تحصل به العصبية بعضا مما يحصل بالنسب واهل الامصار كثير منهم ما تتحمون بالصهر يجذب بعضهم بعضا الى ان يكونوا لُحما لُحما وقرابة قرابة وتجد بينهم من الصداقة والعداوة ما يكون بين القبائل والعشائر مثله فيفترقون شعبا (1) وعصائب فاذا نزل الهرم بالدولة وتقلص الملك عن القاصية احتاج اهل امصارها الى القيام على امرهم والنظر في حماية بلدهم ورجعوا الى الشورى وتميز العلية عن السفلة والنفوس بطباعها متطاولة الى الغلب والرياسة فتطمح المشيخة لجلء الجو من السلطان والدولة القاهرة الى الاستبداد وينازع كل صاحبه ويستوصلون بالاتباع من الموالى والشييع والاحلاف (2) ويبذلون ما في ايديهم للاوغاد والاوشاب فيعصوب كل صاحبه ويتعين الغلب لبعضهم فيعطف على اكفائه ليغص من اعنتهم ويتبعهم بالقتل والتغريب حتى يخضد منهم الشوكات النافذة ويقلم الاظفار

(1) Man. C. et D. شيعة.

(2) Man. D. الاجلاف.

الخادشة ويستبد بمصره اجمع ويرى انه قد استحدث
 ملكا يورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الاصغر ما
 يحدث في الملك الاعظم من عوارض الجدة والهرم وربما
 يسمو بعض هؤلاء الى منازع الملوك الاعظم اصحاب القبائل
 والعشائر والعصبيات والزحوف والحروب والاقطار والممالك
 فينتحلون من الجلوس على السرير واتخاذ الآلة واعداد
 المواكب للسير في اقطار البلد والتختم والتحية والخطاب
 والتمويل ما يسخر منه من يشاهد احوالهم لما انتحلوه من
 شارات الملك التي ليسوا لها باهل انما دفعهم الى ذلك
 تقلص الدولة والتحام بعض القرابات حتى صارت
 عصبية وقد يتنزّه بعضهم عن ذلك ويجرى على مذاهب
 السذاجة فرارا من التعريض بنفسه للسخرى والعيب ووقع
 هذا بافريقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لاهل بلاد
 الجريد من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة
 والزاب وما الى ذلك سمو الى مثلها عند تقلص ظل
 الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على امصارهم
 واستبدوا بامرهم على الدولة في الاحكام والجباية واعطوا
 طاعة معروفة وصفقة ممرضة واقطعوها جانبا من الملاينة
 والملاطفة والانقياد وهم بمعزل عنه واورثوا ذلك اعقابهم لهذا
 العهد وحدث في خلقهم من الغلظة والتجبر ما يحدث

لاعتقاد الهلوك وخلفهم ونظموا انفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بامصار الجريد اهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين وملكهم عبد المؤمن ابن علي ونقلهم كلهم من امارتهم بها الى المغرب ومحا من تلك البلاد آثارهم كما نذكر في اخباره وكذلك وقع بسببته لآخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون غالبا في اهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرياسة في المصر وقد يحدث التغلب لبعض السفلة من الدهماء والغوغاء اذا حصلت له العصبية والالتحام بالاوغاد لاسباب يجرها له المقدار فيغلب على المشيخة والعلية اذا كانوا فاقدين للعصاة والله غالب على امره

فصل في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة والجيل الغالبين عليها والمختطين لها وكذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالمشرق والمغرب لهذا العهد عربية وان كان اللسان العربي المصرق قد فسدت ملكته وتغير اعرابه والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامم والدين والملة صورة للوجود وللملك

وكلها مواد له والصورة مقدّمة على المادّة والدين أنها يستفاد
 من الشريعة وهي بلسان العرب لها ان النبي صلعم عربيّ
 فوجب هجر ما سوى اللسان العربيّ من اللسان في جميع
 ممالكها واعتبر ذلك في نهى عمر رضي الله عنه عن رطانة
 الاعاجم وقال انها خب يعنى مكر وخديعة فلما هجر
 الدين اللغات الاعجميّة وكان لسان القائمين بالدولة الاسلاميّة
 عربيّا هجرت كلها في جميع ممالكها لان الناس تبع
 للسلطان وعلى دينه فصار اللسان العربيّ استعماله من شعائر
 الاسلام وطاعة العرب وهجر الامم لغاتهم والسنتهم في جميع
 الامصار والممالك وصار اللسان العربيّ لسانهم حتى رسخ
 ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت اللسان
 الاعجميّة دخيلة فيها وغريبة ثم فسد اللسان العربيّ
 بمخالطتها في بعض احكامه وتغيّر اواخره وان كان بقى في
 الدلالات على اصله وسهى لسانا حضريّا في جميع امصار
 الاسلام وايضا فاكثر اهل الامصار في الملة لهذا العهد من
 اعقاب العرب المالكين لها المالكين في ترفها بما كثر
 العجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات
 متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الآباء وان
 فسدت احكامها بمخالطة الاعجام شأ فشاّ وسميت لغتهم
 حضريّة منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف لغة البدو

PROLÉGOMÈNES
d'Ibn-Khaldoun.

من العرب فانها كانت اعرق (1) في العروبية ولما تملك
العجم من الديلم والساجوقية بعدهم بالمشرق وزناتة والبربر
بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك
الاسلامية فسد اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما
حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنّة الذين بهما
حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء اللغة الحضريّة (2) بالامصار
عربية فلما ملك الططر والمغل بالمشرق ولم يكونوا على
دين الاسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية
على الاطلاق ولم يبق لها رسم في الممالك الاسلامية
بالعراق وخراسان وبلاد فارس وارض الهند والسند وما وراء
النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم وذهبت اساليب اللغة
العربية من الشعر والكلام الا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين
المتدايسة من علوم العرب وحفظ كلامهم لمن يسره الله
لذلك وربما بقيت اللغة العربية الحضريّة بمصر والشام
والاندلس والمغرب لبقاء الدين طالبا لها فانحفظت بعض
الشيء واما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق له اثر
ولا عين حتى ان كتب العلوم صارت تكتب باللسان
العجمي وكذا تدريسه في المجالس والله مقدر الليل والنهار
صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(1) Man. C. اعرق.

(2) Man. A. et B. الحضريّة.

دائماً ابدا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين
تم الفصل الرابع من الكتاب الاول ويليه الفصل الخامس
في المعاش ووجوه الكسب

الفصل الخامس من الكتاب الاول في المعاش ووجوهه
من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله من
الاحوال وفيه مسائل

فصل في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب
هو قيمة الاعمال البشرية

اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته (I) ويمونه في
حالته واطواره من لدن نشوءه الى اشده الى كبره والله الغني
وانتم الفقراء والله سبحانه وتعالى خلق جميع ما في العالم
للإنسان وامتن به عليه في غير ما اية من كتابه فقال
تعالى خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا
وسخر لكم الشمس والقمر وسخر لكم البحر وسخر لكم
الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد وبيد الانسان
مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف

(I) يقوته. D. يقويه. Man. C. (1)

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وايدى البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر الا بعوض فالانسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما اتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعواض عنها قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق وقد يحصل له ذلك بغير سعي كالمطر المصلح للزراعة وامثاله الا انها انما تكون معينة ولا بد من سعيه معها كما ياتي فتكون له تلك المكاسب معاشا ان كانت بمقدار الضرورة والحاجة ورباشا ومتمولا ان زادت على ذلك ثم ان ذلك الحاصل او المقتنى ان عادت منفعتة على العبد وحصلت له ثمرته من انفاقه في مصالحه وحاجاته سمي رزقا قال صلعم انما لك من مالك ما اكلت فافئيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وان لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يسمى رزقا والتملك منه حينئذ بسعي العبد وقدرته يسمى كسبا وهذا مثل التراث فانه يسمى بالنسبة الى الهالك كسبا ولا يسمى رزقا اذ لم يحصل له به منتفع وبالنسبة الى الوارثين متى انتفعوا به يسمى رزقا هذا حقيقة مسوى الرزق عند اهل السنة وقد اشترط المعتزلة في تسميته رزقا ان يكون بحيث يصح تملكه وما لا يتهلك عندهم فلا يسمى رزقا

وأخرجوا المغصوبات (1) والحرام كله عن ان يسمى شئ
منها رزقا والله تعالى يرزق العاصب والظالم والمؤمن والكافر
ويختص برحمته وهدايته من يشاء ولهم في ذلك حجج
ليس هذا موضع بسطها ثم اعلم ان الكسب انما يكون
بالسعي في الاقتناء والقصد الى التحصيل فلا بد في
الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله وابتغائه من وجوهه
قال تعالى فابتغوا عند الله الرزق والسعي اليه انما يكون
باقدار الله والهامة فالكل من عند الله فلا بد من الاعمال
الانسانية في كل مكسوب و متمول لانه ان كان عملا بنفسه
مثل الصنائع فظاهر وان كان مقتنى من الحيوان او النبات
او المعدن فلا بد فيه من العمل الانساني كما تراه ولا لم
يحصل ولم يقع به انتفاع ثم ان الله سبحانه خلق
الحجرين المعدنين من الذهب والفضة قيمة لكل متمول
وهي الذخيرة والقنية لاهل العالم في الغالب وان اقتنى
سواهما في بعض الاحيان فانما هو لقصد تحصيلهما بما يقع
في غيرها من حوالة الاسواق التي هما عنها بمعزل فهما
اصل المكاسب والقنية والذخيرة واذا تقرر هذا كله (فاعلم)
ان ما يفيد الانسان ويقتنيه من المتمولات ان كان من
الصنائع فالمفاد المقتنى منه هو قيمة عمله وهو القصد بالقنية

(1) Man. C. et D. الغصوبات.

اذ ليس هنالك الا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية وقد يكون مع الصنائع في بعضها غيرها مثل التجارة والحياكة معها الخشب والغزل الا ان العمل فيها اكثر فقيته اكثر وان كان من غير الصنائع فلا بد في قية ذلك المفاد والقنية من دخول قية العمل الذي حصلت به اذ لولا العمل لم تحصل قنيته وقد تكون ملاحظة العمل ظاهرة في الكثير منها فتجعل له حصّة من القيمة عظمت او صغرت وقد تخفى ملاحظة العمل كما في اسعار الاقوات بين الناس فان اعتبار الاعمال والنفقات فيها ملاحظة في اسعار الحبوب كما قدّمناه لكنّه خفى في الاقطار التي علاج الفلاح فيها ومؤنته يسيرة فلا يشعر به الا القليل من اهل الفلاح فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها او اكثرها انما هي قيم الاعمال الانسانية وتبين مسي الرزق وانه المنتفع به فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما (واعلم) انه اذا فقدت الاعمال او قلت بانتقاص العمران تاذن الله برفع الكسب الا ترى الى الامصار القليلة الساكن كيف يقل الرزق والكسب فيها او يفقد لقلّة الاعمال الانسانية وكذلك الامصار التي تكون اعمالها اكثر يكون اهلها اوسع احوالا واشد رفاهية كما قدّمناه قبل (ومن) هذا الباب تقول العامة في البلدان اذا تناقص عمرانها قد ذهب رزقها

حتى ان العيون والانهار ينقطع جريها في القفر لما ان فور
العيون انما يكون بالانباط والامتراء الذي هو عمل انساني
كالحال في ضروع الانعام فما لم يكن امتراء ولا انباط نصبت
وغارت بالجملة كما يجق الصرع اذا ترك امتراوه وانظره
في البلاد التي يعهد فيها العيون لايام عمراتها ثم ياتي
عليها الخراب كيف تغور مياهها جملة كان لم تكن والله
مقدر الليل والنهار

فصل في وجوه الهعاش واصنافه ومذاهبه

اعلم ان الهعاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعى في
تحصيله وهو مفعول من العيش كانه لما كان العيش الذي
هو الحياة لا يحصل الا بهذا جعلت موضعا له على طريق
المبالغة (ثم) ان تحصيل الرزق وكسبه اما ان يكون باخذه
من يد الغير وانتزاعه بالاعتدار عليه على قانون متعارف
ويسمى مغرما وجباية واما ان يكون من الحيوان الوحشي
بافتراسه واخذه برسته من البر او البحر ويسمى اصطيادا واما
ان يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرفه
بين الناس في منافعهم كاللبن من الانعام والحري من دوده
والعسل من نحله او يكون من النبات في الزرع والشجر
بالقيام عليه واعداده لاستخراج ثمرته ويسمى هذا كله فاحا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وأما ان يكون الكسب من الاعمال الانسانية أما في مواد
بعينها وتسمى الصنائع من كتابة ونجارة وخباطة وحياسة
وفروسية وامثال ذلك او في مواد غير معينة وهي جميع
الامتيازات والتصرفات وأما ان يكون الكسب من البضائع
واعدادها للاعواز أما بالتغلب بها في البلاد او احتكارها
وارتقاب حوالة الاسواق فيها ويسمى هذا تجارة فهذه
وجوه المعاش واصنافه وهي معنى ما ذكره المحققون من
اهل الادب والحكمة كالحريزي وغيره قالوا المعاش امارة
وتجارة وفلاحة وصناعة (فأما الامارة) فليست بمذهب
طبيعي للمعاش فلا حاجة بنا الى ذكرها وقد تقدم شئ من
احوال الجبايات السلطانية واهلها في الفصل الثاني (وأما)
الفلاحة والصناعة والتجارة فهي وجوه طبيعية للمعاش (أما
الفلاحة) فهي متقدمة عليها كلها بالذات اذ هي بسيطة
وطبيعية وفطرية لا تحتاج الى نظر ولا الى علم ولهذا تنسب
في الخليفة الى ادم ابي البشر وانه معلمها والقائم عليها
اشارة الى انها اقدم وجوه المعاش وانسبها الى الطبيعة
(وأما) الصنائع فهي ثانیتها ومتأخرة عنها لانها مركبة وعلیة
تصرف فيها الافكار والانظار ولهذا لا توجد غالبا الا في اهل
الحضر الذي هو متأخر عن البدو وثان عنه ومن هذا المعنى
نسبت الى ادريس الاب الثاني للخليفة وانه مستنبطها

لمن بعده من البشر بالوحى من الله تعالى (واما) التجارة وان كانت طبيعيتة فى الكسب فالأكثر من طرقها ومذاهبها انما هى تحييلات فى الحصول على ما بين القيمتين فى الشراء والبيع لتحصل فائدة الكسب من تلك الفضيحة ولذلك اباح الشرع فيه المكائسة لما انه من باب المقامرة الا انه ليس اخذا للمال من الغير مجانا فلهذا اختص بالمشروعية والله اعلم

فصل فى ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعى

اما السلطان فلا بد له من اتخاذ الخدمة فى سائر ابواب الامارة والملك الذى هو بسبيله من الجندى والشرطى والكاتب ويستكفى فى كل باب بمن يعلم غناه فيه ويتكفل بارزاقهم من بيت ماله وهذا كله مندرج فى الامارة ومعاشها اذ كلهم ينسحب عليهم حكم الامارة والملك الاعظم هو ينبوع جداولهم واما ما دون ذلك من الخدمة فسببها ان اكثر المترفين يرتفع عن مباشرة حاجاته او يكون عاجزا عنها لما ربي عليه من خلق التنعّم والترف فيتخذ من يتولى ذلك له ويقطعه عليه اجرا من ماله وهذه الحالة غير محمودة بحسب الرجولة الطبيعية للانسان اذ الثقة بكل احد عجز ولانها تزيد فى الوظائف والخراج وتبدل على

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

العجز والخنث الذي ينبغي في مذاهب الرجولة (I) التنزه
عنهما الا ان العوائد تغلب طبائع الانسان الى مألوفها فهو
ابن عوائده لا ابن نسبه (ومع ذلك فالخديم الذي يستكفي
به ويوثق بغنائه كالمفقود اذ الخديم القائم بذلك لا يعدو اربع
حالات (اما) مضطلع بامره وموثوق فيما يحصل بيده واما
بالعكس فيها وهو ان يكون غير مضطلع بامره ولا موثوق فيها
يحصل بيده (واما) بالعكس في احدهما فقط مثل ان يكون
مضطلعا غير موثوق او موثوقا غير مضطلع فاما الاول فهو المضطلع
الموثوق فلا يمكن احدا من استعماله بوجه اذ هو باضطلاعه وثقته
غنى عن اهل الرتب الدنيئة ومحتقر لمنال الاجر من
الخدمة لاقتداره على اكثر من ذلك فلا يستعمله الا
الامراء اهل الجاه العريض لعموم الحاجة الى الجاه واما
الصنف الثانى وهو من ليس بهضطلع ولا موثوق فلا ينبغي
لعاقل استعماله لانه محجف بمخدومه فى الامر بن معا فيضيع
عليه بعدم الاضطلاع تارة ويذهب ماله بالخيانة اخرى فهو
كل على مولاة فهذان الصنفان لا يطمع احد فى استعمالهما
ولم يبق الا استعمال الصنفين الاخرين موثوق غير مضطلع
ومضطلع غير موثوق وللناس فى الترجيح بينهما مذهبان
ولكل من الترجيحين وجه الا ان المضطلع ولو كان غير

(1) Man. D. الرجولية.

مؤثوق ارجح لانه يؤمن من تضييعه ويحاول على التحرز
من خيانتة جهد الاستطاعة واما الهضيغ ولو كان مأمونا فضرره
بالتضييع اكثر من نفعه فاعلم ذلك واتخذة قانونا في
الاستكفاء بالخدمة والله قادر على ما يشاء

فصل في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس
ببعاش طبيعي

اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرمون على
استخراج الاموال من تحت الارض يبتغون الكسب من
ذلك ويعتقدون ان اموال الامم السالفة مخترنة كلها تحت
الارض مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفض ختامها ذلك
الا من عشر على علمه واستحضره ما يحلّه من البخور والدعاء
والقربان فاهل الامصار بافريقية يرون ان الافرنجة الذين
كانوا بها قبل الاسلام دفنوا اموالهم كذلك وادعوها في
الصحف بالكتاب الى ان يجدوا السبيل الى استخراجها
واهل الامصار بالمشرق يرون مثل ذلك في امم القبط
والروم والفرس ويتناقلون ذلك في احاديث تشبه حديث
خرافة من انتهاء بعض الطالبين لذلك الى حفر موضع
المال مدين لم يعرف طلسمه وخبره فيجدونه خلوا او معمورا
بالديدان او يستارف الاموال والجواهر موضوعة والحرس

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

دونها منتصبين سيوفهم او يمتد به الارض حتى يظنه خسفا
او مثل ذلك من الهذر وتجد كثيرا من طلبه البربر
بالمغرب العاجزين عن المعاش الطبيعي واسبابه يتقربون
الى اهل الدنيا بالاوراق المخترمة (1) الحواشي اما بخطوط
اعجمية او بما ترجم (2) بزعمهم منها من خطوط اهل الدفائن
باعطاء الامارات عليها في (3) اماكنها يبتغون بذلك الرزق منهم
بما يبعثونهم على الحفر والطلب ويموهون عليهم بانه انما
حملهم على الاستعانة بهم طلب الجاه في مثل هذا من
منال (4) الحكام والعقوبات وربما تكون عند بعضهم نادرة
او غريبة من الاعمال السحرية يموه بها على تصديق ما
بقي (5) من دعواه وهو بمعزل عن السحر وطرقه فيولع الكثير من
ضعفاء العقول بجمع الايدي على الاحتفار والتستر فيه بظلمات
الليل مخافة الرقباء وعيون اهل الدول فاذا لم يعثروا على
شيء ردوا ذلك الى الجهل بالظلم الذي ختم به على
ذلك المال يخادعون به انفسهم عن اخفاق مطامعهم
والذي يحمل على ذلك في الغالب زيادة على ضعف
العقل انما هو العجز عن طلب المعاش بالوجوه الطبيعية
للكسب من التجارة والفاصح والصناعة فيطلبونه بالوجوه

(1) Man. C. et D. المتخرمة. (2) Man. D. ترجع. (3) Man. A. et B. من.

(4) Man. C. مثال. (5) Man. D. نفى.

المنحرفة وعلى غير الوجه الطبيعي من هذا وامثاله عجزا عن
السعي في المكاسب وركونا الى تناول الرزق من غير
تعب ولا نصب في تحصيله واكتسابه ولا يعلمون انهم
يوقعون انفسهم بابتغاء ذلك من غير وجهه في نصب
ومتاعب وجهه شديد اشد من الاول ويعرضون انفسهم مع
ذلك لهنال العقوبات وربها يحمل في الاكثر على ذلك
زيادة الترف وعوائده وخروجها عن حد النهاية حتى تقصر
عنها وجوه الكسب ومذاهبه ولا تفي بمطالبها فاذا عجز له
الكسب بالمجرى الطبيعي لم يجد وليجة في نفسه الا التمتي
لوجود المال العظيم دفعة من غير كلفة ليفي ذلك بالعوائد
التي حصل في اسرها فيحرص على ابتغاء ذلك ويسعى
فيه جهده ولهذا اكثر من تراهم يحرصون على ذلك هم
المترفون من اهل الدول ومن سكان الامصار الكثيرة الترف
المتسعة الاحوال مثل مصر وما في معناها تجد الكثير منهم
مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ومسائلة الركبان عن شواذه
كما يحرصون على الكيبيا هكذا يبلغنا عن اهل مصر في
مفاوضة من يلقونه من طلبة المغاربة لعلهم يعثرون منه على
دفين او كنز ويزيدون على ذلك البحث عن تغوير المياه
لما يرون ان غالب هذه الاموال الدفينة كلها في مجارى النيل
وانه اعظم ما يستر دفينا او مختزنا في تلك الآفاق ويموه

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

عليهم اصحاب تلك الدفانر المستفعله في الاعتذار عن
الوصول اليها بجزية النيل تسترا بذلك من الكسب حتى
يحصل على معاشه فيحرص سامع ذلك منهم على نضوب
الماء بالاعمال السحرية ليحصل ما ابتغاه من بعده كلفا بشأن
السحر متوارثا في ذلك القطر عن اوليهم فعلومها السحرية
وآثارها باقية بارضهم في البرابى وغيرها وقصة سحرة فرعون
شاهدة باختصاصهم بذلك (وقد) يتناقل اهل الغرب قصيدة
ينسبونها الى حكماء المشرق يعطى فيها كيفية العمل في
التغوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهي

يا طالبها للسرى التغوير	اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم	من قول بهستان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي	ان كنت ممن لا يرى بالزور
فاذا اردت تغوير البئر التي	حارت لهما الافهام في التدبير
صور كصورتك التي اوقفتها	والراس راس الشبل في التقدير
ويداه ماسكتان للحبل الذي	في الدلو ينشل من قرار البئر
وبصدره ماء كما عاينتها	عدد الطلاق احذر من التكبير
ويطاء على الطات غير ملامس	مشى اللبيب الكيس التحير
ويكون حول الكل (1) خط دائر	تريعه اول من المتكوير
واذبح عليه الطير والطخه به	واقصد عقيب الذبح بالتبخير
بالسندروس وباللبان ومبيعة	والقسط والبسه بشوب حرير
من احمر او اصفر او ازرق (2)	لا اخضر فيه ولا تسكدير
وشدة خيطان صوف ابيض	او احمر من خالص التخير

(1) Man. D. لشكل.

(2) Man. C. et D. لا ازرق.

والطالع الاسد الذى قد بينوا ويكون بدر الشهر غير منير
والبدر متصل بسعد عطارد في يوم سبت ساعة التدبير

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

يعنى تكون الطآات بين قدميه كأنه يمشى عليها وعندى
ان هذه القصيدة من تمويهاات الممخرقين فلمهم فى ذلك
احوال غريبة واصطلاحات عجيبة وتنتهى المخرقة
والكذب بهم الى ان يسكنوا المنازل المشهورة والدور
المعروفة بهل هذا ويحتفرون بها الحفر ويضعون فيها
المطابق والشواهد التى يكتبونها فى صحائف كتبهم ثم
يقصدون ضعفاء العقول بامثال هذه الصحائف ويبعثونه على
اكتراء ذلك المنزل وسكناه ويوهونه ان به دفينا من الهال
لا يعبر عن كثرته ويطالبونه بالمال لاشترى العقاقير والبخورات
لحل الطلاسمة ويعدونه بظهور الشواهد التى قد اعدوها هنالك
بانفسهم ومن فعلهم فينبعث بما يراه من ذلك وهو قد خدع
ولبس عليه من حيث لا يشعر وبينهم فى ذلك اصطلاح
فى كلامهم يلبسون به عليهم لتخفى عنهم محاورتهم فيها
يتناولونه من حفر وبخور وذبح حيوان وامثال ذلك (واما
الكلام) فى ذلك على الحقيقة فلا اصل له فى علم ولا خبر
(واعلم) ان الكنوز وان كانت توجد لكتنها فى حكم النادر وعلى
وجه الاتفاق لا على وجه القصد اليها وليس ذلك بامر تعم به
البلوى حتى يذخر الناس غالبا اموالهم تحت الارض

ويختصون عليها بالطلاسم لا في القديم ولا في الحديث
(والركاز) الذي ورد في الحديث وفرضه الفقهاء وهو دفن
الجاهلية انما يوجد بالعثور والاتفاق لا بالقصد والطلب
وايضا فمن اخترن ماله وختم عليه بالاعمال السحرية فقد بالغ
في اخفائه فكيف ينصب عليه الامارات والادلة لمن يبتغيه
ويكتب ذلك في الصحائف حتى يطلع على ذخيرته
اهل الاعصار والآفاق هذا يناقض قصد الاخفاء وايضا فافعال
العقلاء لا بد ان تكون لغرض مقصود في الانتفاع ومن
اخترن المال فانما يختزنه لولده او قريبه او من يؤثره به
واما ان يقصد اخفاءه بالكلية عن كل احد وانما هو للبلبلى
والهلاك او لمن لا يعرفه بالكلية ممن سيأتي من الامم
فهذا ليس من مقاصد العقلاء بوجه (واما) قولهم اين اموال
الامم من قبلنا وما علم فيها من الكثرة والوفور فاعلم ان
الاموال من الذهب والفضة والجواهر والامتعة انها هي معادن
ومكاسب مثل الحديد والنحاس والرصاص وسائر العقارات
والمعادن والعمران يظهرها بالاعمال الانسانية ويزيد فيها
او ينقصها وما يوجد منها بايدي الناس فهو متناقل متوارث
وربما انتقل من قطر الى قطر ومن دولة الى اخرى
بحسب اعواضه والعمران الذي يستدعيه فان نقص المال
في المغرب وافريقية فلم ينقص في بلاد الصقالبة والافرنجة

وان نقص في مصر والشام فلم ينقص في الهند والصين وإنما هي آلات ومكاسب والعمران يوفرها او ينقصها مع ان المعادن يدركها البلاء كما يدرك سائر الموجودات ويسرع الى اللؤلؤ والجوهر اعظم مما يسرع الى غيره وكذا الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير ينالها من البلاء والفناء ما يذهب باعيانها لا قرب وقت (واما) ما وقع في مصر من امر المطالب والكنوز فسيببه ان مصر كانت في ملكة القبط منذ الفين اثنين (1) او تزيد من السنين وكان موتاهم يدفنون بموجودهم من الذهب والفضة والجواهر واللائي على مذهب من تقدم من اهل الدول فلما انقرضت دولة القبط وملك الفرس بلادهم نفروا (2) عن ذلك (3) من قبورهم وكشفوا عنه فاحذوا من قبورهم ما لا يوصف كالاهرام من قبور الملوك وغيرها وكذا فعل اليونانيون من بعدهم وصارت قبورهم مظنة لذلك لهذا العهد ويعثر على الدفين فيها في كثير من الاوقات اما ما يدفنونه من اموالهم او ما يكرمون به موتاهم في الدفن من اوعية وتوابيت من الذهب والفضة معدة لذلك فصارت قبور القبط منذ آلاف من السنين مظنة لوجود ذلك فيها فلذلك عنى (4) اهل مصر

(1) Man. C. et D. منذ الف.

(2) Man. D. نفروا.

(3) Man. C. et D. في.

(4) Man. C. غنى.

بالبحث عن المطالب لوجود ذلك فيها واستخراجها حتى
انهم حين ضربت المكوس على الاصناف آخر الدول ضربت
على اهل المطالب وصارت ضريبة على من يشتغل بذلك
من الحمقى والمهوسين فوجد بذلك المتعاطون له من
اهل الاطماع الذريعة الى الكشف عنه والزعم باستخراجه
وما حصلوا الا على الخيبة في جميع مساعيهم نعوذ بالله
من الخسران فيحتاج من دفع الى شئ من هذا الوسواس
او ابتلى به ان يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب
معاشه كما تعوذ رسول الله صلعم عن ذلك وينصرف
عن طرق الشيطان ووسواسه ولا يشغل نفسه بالمحالات
والكاذب من الحكايات والله يرزق من يشاء بغير حساب

فصل في ان الجاه مفيد للمال

وذلك انا نجد صاحب الجاه والحظوة في جميع اصناف
المعاش اكثر يسارا وثروة من فاقد الجاه والسبب في ذلك ان
صاحب الجاه مخدوم بالاعمال يتقرب بها اليه في سبيل
التزلف والحاجة الى جاهه فالناس معينون له باعمالهم في
جميع حاجاته من ضروري او حاجي او كمال فتحصل
قيمة تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع ما شأنه ان
تبدل فيه الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير

عوض فتتوفر قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم للاعمال
يكتسبها وقيم اخرى تدعوه الضرورة الى اخراجها فتتوفر عليه
والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فيفيد الغنى لا قرب وقت
ويزداد مع الايام يسارا وثروة ولهذا المعنى كانت الامارة احد
اسباب الهعاش كما قدمناه (وفاقد) الجاه بالكليّة ولو كان
صاحب مال فلا يكون يسارة الا بهقدار ماله وعلى نسبة
سعيه وهؤلاء هم اكثر التجار ولهذا نجد اهل الجاه منهم
يكونون ايسر بكثير (ومما) يشهد لذلك انا نجد كثيرا من
الفقهاء واهل الدين والعبادة اذا اشتهر حسن الظن بهم
واعتقد الجمهور معاملته الله في ارفادهم فاخلص الناس في
اعانتهم على احوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم اسرعت
اليهم الثروة واصبحوا مياسير من غير مال مقتنى الا ما
يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من
الناس لهم راينا من ذلك اعدادا في الامصار والهدن
وفي البدو يسعى لهم الناس في لفلح والتجر وهو قاعد في
منزله لا يبرح من مكانه فينمو ماله ويعظم كسبه ويتاثر
الغنى من غير سعي ويعجب من لا يفتن لهذا السر في
حال ثروته واسباب غناه ويسارة والله يرزق من يشاء بغير
حساب

فصل في ان السعادة والكسب انما تحصل غالبا لاهل
الخصوع والملق وان هذا الخلق من اسباب السعادة

وقد سبق لنا فيها سلف ان الكسب الذي يستفيدة البشر
انما هو قيم اعمالهم ولو قدر احد عاظلا عن العمل جملة لكان
فاقد الكسب بالكلية وعلى قدر عمله وشرفه بين الاعمال
وحاجة الناس اليه يكون قدر قيمته وعلى قدر ذلك
نمو كسبه او نقصانه (وقد) بيّنا آنفا ان الجاه يفيد المال
بما يحصل لصاحبه من تقرب الناس اليه باعمالهم
وباموالهم في دفع المضار وجلب المنافع وكان ما يتقربون
به من عمل او مال عوض عما يحصلون عليه بسبب الجاه
من كثير الاعراض في صالح او طالح وتصير تلك
الاعمال في كسبه وقيمها اموال وثروة فيستفيد الغنى
واليسار في اقرب وقت (ثم) ان الجاه متوزع في الناس
ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو الى الهلوك
الذين ليس فوقهم يد غالبية وفي السفلى الى من لا يملك
ضرا ولا نفعا بين ابناء جنسه وبين ذلك طبقات متعدّدة
حكمة من الله في خليقته بها ينتظم معاشهم وتيسر
مصالحهم ويتمّ بعلوهم (لان) النوع الانساني لها كان لا يتم
وجوده وبقاؤه الا بتعاون ابناءه على مصالحهم لانه قد تقرّر

ان الواحد منهم لا يتم وجوده وانه وان نذر ذلك في صورة مفروضة فلا يصح بقاؤه ثم ان هذا تعاون لا يحصل الا بالاكراه عليه لجهلهم في الاكثر بمصالح النوع ولها جعل الله لهم من الاختيار وان افعالهم انما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع فقد يمتنع من المعونة فيتعين حمله عليها فلا بد من حامل يكره ابناء النوع على مصالحهم لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا النوع وهذا معنى قوله وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريًا ورحمة ربك خير مما يجمعون (فقد) تبين ان معنى الجاه هو القدرة الحاصلة للبشر على التصرف فيهم تحت ايديهم من ابناء جنسهم بالاذن والمنع والتسلط فيهم بالقهر والغلبة ليحملهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل وbacher الشرائع او السياسة وعلى اغراضه فيما سوى ذلك لكن الاول مقصود في العناية الربانية بالذات والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الالهى لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير الا بوجود شر يسير من اجل الهواد فلا يفوت الخير بذلك بل يقع على ما ينطوى عليه من الشر اليسير وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم (ثم) ان كل طبقة من طباق اهل العمران من مدينة او اقليم لها قدرة على من دونها من الطباق وكل واحد من الطبقة السفلى يستند هذا الجاه من



اهل الطبقة التي فوقه ويزداد كاسبه تصرفا فيمن تحت
 يده على قدر ما يستفيد منه والجاه مع ذلك داخل على
 الناس في جميع ابواب الهعاش ويتسع ويضيق بحسب
 الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فان كان الجاه متسعا كان
 الكسب الناشئ عنه كذلك وان كان ضيقا وقليلًا فمثلته
 وفاقده الجاه ولو كان له مال فلا يكون يساره الا بمقدار عمله
 او ماله وعلى نسبة سعيه ذاهبا وجائيا في تنميته كالكثير
 التجار واهل الفلاحة في الغالب واهل الصنائع كذلك اذا
 فقدوا الجاه واقتصروا على فوائد صنائعهم فانهم يصيرون
 الى الفقر والخصاصة في الاكثر ولا تسرع اليهم ثروة انما
 يرمقون العيش ترميقا ويدفعون ضرورة الفقر مدافعة (واذا
 تقرر ذلك) وان الجاه متوزع وان السعادة والخير مقترنان
 بحصوله علمت ان بذله وافادته من اعظم النعم واجلها
 وان باذله من اجل المنعمين وانما يبذله لمن تحت يده
 فيكون بذله بيد عالية وعن عزة فيحتاج طالبه ومبتغيه الى
 خضوع وتملق كما يسأل اهل العز والملوك والا فيتعذر
 حصوله فلذلك قلنا ان الخضوع والتملق من اسباب
 حصول هذا الجاه المحصل للسعادة والكسب وان اكثر
 اهل الثروة والسعادة بهذا الخلق ولهذا نجد الكثير ممن
 يتخلق بالترفع والشهم لا يحصل لهم غرض من الجاه

فيقتصرون في التكتسب على اعمالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة (واعلم) ان هذا الكبر والترفع من الخلق المذمومة انما يحصل من توهم الكمال وان الناس يحتاجون الى بضاعته من علم او صناعة كالعالم المتبحر في علمه والكاتب المجيد في كتابته والشاعر البليغ في شعره وكل محسن في صناعته يتوهم ان الناس محتاجون الى ما بيده فيحدث له الترفع عليهم بذلك وكذا يتوهم اهل الانساب ممن كان في آباءه ملك او عالم مشهور او كامل في طور يفترون (1) فيما رأوه او سمعوه من حال آباءهم في المدينة ويتوهمون انهم استحقوا مثل ذلك بقرابنتهم اليهم ووراثتهم عنهم فهم مستمسكون في الحاضر بالامر المعدوم اذ الكمال لا يورث وكذلك اهل الحنكة والتجارب والبصر بالامور قد يتوهم بعضهم كمالا في نفسه بذلك واحتياجا اليه وتجد هولا الاصناف كلهم مترفعين لا يخضعون لصاحب جاه ولا يمتلقون لمن هو اعلى منهم ويستصغرون من سواهم لاعتقادهم الفضل على الناس فيستنكف احدهم عن الخضوع ولو كان للهلك ويعدّه مذلة وهوانا وسفها ويحاسب الناس في معاملتهم آياه بهقدار ما يتوهم في نفسه ويحقد على من قصر له في شئ مما يتوهمه من ذلك

(1) Man. C. يعترفون.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

وربما يدخل على نفسه الهموم والاحزان من تقصيرهم فيه ويستهر في عناء عظيم من ايجاب الحق لنفسه واباية الناس له من ذلك ويحصل له الهقت في الناس لها في طباع البشر من التآله وقل ان يسلم احد منهم لاحد في الكمال والترفع عليه الا ان يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة وهذا كله في ضمن الجاه فاذا فقد صاحب هذا الخلق الجاه وهو مفقود له كما تبين لك مقتته الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظ من احسانهم ففقد الجاه لذلك من اهل الطبقة التي هي اعلى منه لاجل المقت وما يحصل له بذلك من القعود عن تعاهدهم وغشيان منازلهم ففسد معاشه وبقي في خصاصة وفقرا او فوق ذلك بقليل واما الثروة فلا تحصل له اصلا ومن هذا اشتهر بين الناس ان الكامل في المعرفة محروم من الحظ وانه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ وهذا معناه ومن خلق لشيء يسر له والله المقدر لا رب سواه (ولقد) يقع في الدول اضطراب في المراتب من اجل هذا الخلق ويرتفع فيها كثير من السفلاء وينزل كثير من العلية بسبب ذلك وذلك ان الدول اذا بلغت غايتها من التغلب والاستيلاء وانفرد منها منبت الملك بهلكهم وسلطانهم ويئس سواهم من ذلك وانما صاروا في مراتب

دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان وكانهم حول له
 فاذا استمرت الدولة وشيخ الملك تساوى حينئذ في
 الهنزة عند السلطان كل من انتهى الى خدمته وتقرّب اليه
 بنصيحته واصطنعه السلطان لغناؤه في كثير من مهماته فتجد
 كثيرا من السوقة يسعى في التقرب من السلطان بجده
 ونصحهم ويتزلف اليه بوجه خدمته ويستعين على ذلك
 بعظيم من الخضوع والتملق ولحاشيته واهل نسبه حتى يرسخ
 قدمه معهم وينظمه السلطان في جملة فيحصل له بذلك
 حظا عظيم من السعادة وينتظم في عداد اهل الدولة وناشئة
 الدولة حينئذ من ابناء قومها الذين ذلّوا صعابها ومهدوا
 اكنافها مغترون بما كان لابائهم في ذلك من الالباء
 وتشبه به نفوسهم على السلطان ويعتدون باثارة ويجرون
 في مضمار الدالة بسببه فيمقتهم السلطان لذلك ويباعدهم
 ويميل الى هؤلاء المصطنعين الذين لا يعتدون بتقديم ولا يذهبون
 الى دالة ولا ترفع انما دأبهم الخضوع له والتملق
 والاعتمال في غرضه متى ذهب اليه فيتسع جاههم وتعلو
 منازلهم وتنصرف اليهم الوجوه والخواص بها يحصل لهم
 من ميل السلطان والهكارة عنده وتبقى ناشئة السلطان فيما
 هم فيه من الترفع والاعتداد بالقديم لا يزيدهم ذلك الا بعدا
 من السلطان ومقتا واشارا الى هؤلاء المصطنعين عليهم الى ان

الاشارة

تنقرض الدولة وهذا امر طبيعي في الدول ومنه جاء شأن
المصطنعين في الغالب والله فعّال لها يريد

فصل في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا
والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك
لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب في ذلك ان الكسب كما قدّمناه قيمة الاعمال
وانها متفاوتة بحسب الحاجة اليها فان كانت الاعمال
ضرورية في العمران عامة البلوى فيه كانت قيمتها اعظم
وكانت الحاجة اليها اشدّ واهل هذه البضائع الدينية لا تضطرّ
اليها عامة الخلق وانما يحتاج الى ما عندهم الخواص
ممن اقبل على دينه وان احتيج الى القضاء والفتيا في
الخصومات فليس على وجه الاضطرار والعموم فيقع الاستغناء
عن هولاء في الاكثر وانما يهتم بهم وباقامة مراسمهم
صاحب الدولة لما له من النظر في المصالح فيقسم لهم
حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم على النحو الذي
قررناه لا يساويهم باهل الشوكة ولا باهل الصنائع الضرورية
وان كانت بضاعتهم اشرف من حيث الدين والمراسم
الشرعية لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة اهل
العمران فلا يصحّ في قسمتهم الا القليل وهم ايضا لاشرف

بضاعتهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم فلا يخضعون لاهل
الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق بل ولا تفرغ
اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه البضائع الشريفة
المشتملة على الفكر والتدبر بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم
لاهل الدنيا لشرف بضائعهم فهم بمعزل عن ذلك فلذلك
لا تعظم ثروتهم في الغالب (ولقد) باحشت بعض الفضلاء
ونكر ذلك على فوقع بيدي اوراق مخرومة من حسابات
الدواوين بدار المامون تشتمل على كثير من الدخل والخرج
يومئذ وكان فيما طالعت فيه ارزاق القضاة والائمة والمؤذنين
فوقفت عليه وعلم منه صحة ما قلته ورجع اليه وقضينا
العجب من اسرار الله في خليقته وحكمته في عوالمه والله
الخالق المقدر

فصل في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل
العافية من البدو

وذلك لانه اصل في الطبيعة وبسيط في منجاة ولهذا
لا تجده ينتحله احد من اهل الحضرة في الغالب ولا من
المترفين ويختص منتحله بالمدلة قال صلعم وقد راي السكة
ببعض دور الانصار ما دخلت هذه دار قوم الا دخله الذل
وحمله البخاري على الاستكثار منه وترجم عليه باب

ما يحذر من عواقب الاشتغال بألة الزرع أو تجاوز الحد
الذى امر به والسبب فيه والله اعلم ما يتبعها من المغرم
المفضى الى التحكّم واليد الغالبة فيكون الغارم ذليلاً بأئسا
بها يتناوله ايدى القهر والاستطالة قال صلعم لا تقوم الساعة
حتى تعود الزكاة مغرماً اشارة الى الملك العضوض القاهر
للناس الذى معه التسلّط والجور ونسيان حقوق الله تعالى
فى الممتلكات واعتبار الحقوق كلّها مغارم للملوك والدول
والله قادر على ما يشاء

فصل فى معنى التجارة ومذاهبها وصناتها

اعلم ان معنى التجارة محاولة على الكسب بتسمية المال
فى شراء السلعة بالرخص وبيعها بالغلاء ما كانت السلعة
من رقيق او زرع او حيوان او سلاح او قماش وذلك
القدر النامى يسمّى ربحاً والمحاولة لذلك الربح اما بان
تختزن السلعة ويتحصّن بها حوالة السوق من الرخص الى
الغلاء فيعظم ربحه واما بان ينقله الى بلد اخر تنفق
فيه تلك السلعة اكثر من بلده الذى اشتراها فيه فيعظم
ربحه ولذلك قال بعض الشيوخ من التجّار لطالب الكشف
عن حقيقة التجارة انا اعلمكها فى كلمتين اشتر الرخيص
وبع الغالى وقد حصلت التجارة اشارة بذلك الى المعنى

الذى قرّره والده الرزاق ذو القوة المتين

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فصل فى نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع الا ما تعم الحاجة اليه من الغنى والفقير والسلطان والسوقة اذ فى ذلك نفاق سلعته واما اذا اختص نقله بما يحتاج اليه البعض فقط فقد يتعذر نفاذ سلعته حينئذ باعواز الشراء على ذلك البعض لعارض من العوارض فيكسد سوقه وتفسد ارباحه وكذلك اذا نقل السلعة المحتاج اليها فانما ينقل الوسط من صنفها فان العالى من كل صنف من السلع انما يختص به اهل الثروة وحاشية الدولة وهم الاقل وانما يكون الناس اسوة فى الحاجة الى الوسط من كل صنف فليتحرر ذلك جهده ففیه نفاق سلعته او كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة او فى شدة الخطر فى الطرقات يكون اكثر فائدة للتجار واعظم ارباحا واكفل بحوالة الاسواق لان السلع المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعدها او شدة الغرر فى طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها واذا قلت وعزت غلت اثمانها واذا كان البلد قريب المسافة والطريق سابل بالامن فانه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص اثمانها (ولهذا) تجد التجار الذين

يولعون بالدخول الى بلاد السودان ارفه الناس واكثرهم
اموالا لبعدهم طريقهم ومشقته واعتراض المغازة الصعبة المخطرة
بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء الا في اماكن
معلومة يهتدى اليها ادلاء الركاب فلا يرتكب هذا الطريق
وبعده الا الاقل من الناس فتجد سلع بلاد السودان قليلة لدينا
فتختص بالغلاء وكذا سلعنا لديهم فتعظم بضائع التجار من
تناقلها ويسرع اليهم الغنى والثروة من اجل ذلك وكذلك
المسافرون من بلادنا الى المشرق لبعده المشقة (I) ايضا واما
المترددون في الافق الواحد ما بين امصاره وبلدانه ففائدتهم
قليلة وارباحهم تافهة لكثرة السلع وكثرة ناقلها والله
الرزاق ذو القوة المتين

فصل في الاحتكار

ومما اشتهر عند ذوى البصر والتجربة في الامصار ان احتكار
الزرع لتحسين اوقات الغلاء به مشوم وانه يعود على فائدته
بالتلف والخسران وسببه والله اعلم ان الناس لحاجتهم الى
الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطرارا
فتبقى النفوس متعلقة به في تعلق النفوس بما لها شر كبير
في وباله على من ياخذة مجانا (ولعله) الذى اعتبره

(I) Man. C. الشقة.

الشارع في اخذ اموال الناس بالباطل وهذا وان لم يكن
مجانا (1) فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في
العدر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات
لاضطرار الناس اليها وانما يبعثهم عليها التفتن في الشهوات
فلا يبذلون اموالهم فيها الا باختيار وحرص فلا يبقى لهم
تعلق بما اعطوه فلهذا يكون من عرف الاحتكار تجتمع
القوى النفسانية على متابعتها بما ياخذها من اموالهم فيفسد
ربحه والله اعلم (وسمعت) فيما يناسب ذلك حكاية طريفة
عن بعض مشيخة المغرب اخبرني شيخنا ابو عبد الله الابلبي (2)
قال حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان ابو سعيد
وهو الفقيه ابو الحسن الهليلي وقد عرض عليه ان يختار
بعض الالقاب المخزنية لجرأته فاطرق مليا ثم قال لهم من
مكس الخمر فاستضحك الحاضرون من اصحابه وعجبوا
وسائلوه عن حكمة ذلك فقال اذا كانت الجبايات كلها
حراما فاختار منها ما لا تتابعه نفوس معطيه والخمر قل ان
يبذل احد فيها ماله الا وهو طرب مسرور يوجد انه غير
اسف عليه ولا متعلق به وهذه ملاحظة غريبة والله تعالى
اعلم

(1) Man. D. باطلا محضا.

(2) Man. A. C. الابلبي.

فصل في ان رخص الاسعار مضرّ بالمحترفين بالرخص

وذلك ان الكسب والمعاش كما قدّمناه انما هو بالصنائع او التجارة والتجارة هي شراء البضائع والسلع وادخارها تتحيّن بها حوالة الاسواق بالزيادة في ائمانها ويسمى ربحا ويحصل منه الكسب والمعاش للمحترفين بالتجارة دائما فاذا استديم الرخص في سلعة او عرض من مأكول او ملبوس او متمول على الجملة ولم يحصل للتاجر حوالة الاسواق فيه فسد الربح والنماء بطول تلك الهدّة وكسدت سوق ذلك الصنف ولم يحصل التاجر الاعلى الغناء فيقعّد التجار عن السعي فيها وتفسد رؤس اموالهم (واعتبر) ذلك مثلا بالزرع اذا استديم رخصه كيف تفسد احوال المحترفين به في سائر اطواره من الفلح والزراعة لقلة الربح فيه ونزارته او فقده فيفقدون النماء في اموالهم او يجدونه على قلة ويعودون بالانفاق على رؤس اموالهم وتفسد احوالهم ويصيرون الى الفقر والخصاصة ويتبع ذلك فساد حال المحترفين ايضا بالطحن والنخيز وسائر ما يتعلّق بالزرع من الحرف من لدن زراعته الى مصيره مأكولا وكذا يفسد حال الجند اذا كانت ارزاقهم من السلطان عند اهل الفلح زراعا بالاقطاع فانهم تقل جبايتهم من ذلك ويعجزون عن اقامة الجندية

التي هم بسببها ويرتزقون من السلطان عليها فيقطع عنهم
الرزق وتفسد احوالهم وكذا اذا استدیم الرخص في العسل
والسكر فسد جميع ما يتعلق به وقعد المحترفون به عن
التجارة فيه وكذا حال الملبوسات اذا استدیم فيها الرخص
ايضا فاذن الرخص المفرط مخفف بمعاش المحترفين بذلك
الصنف الرخيص (وكذا الغلاء المفرط) ايضا وربما يكون في
النادر سببا لنماء الهال بسبب احتكاره وعظم فائدته وانما
معاش الناس وكسبهم في التوسط من ذلك وسرعة حوالة
الاسواق ومعرفة ذلك ترجع الى العوائد المتقررة بين اهل
ال عمران وانما يحدد الرخص في الزرع من بين المبيعات
لعموم الحاجة اليه واضطرار الناس الى الاقوات من بين
الغنى والفقير والعالة من الخلق هم الاكثر في العمران
فيعم الرفق بذلك ويرجح جانب القوت على جانب
التجارة في هذا الصنف الخاص والله الرزاق ذو القوة المتين

فصل في اتي اصناف الناس ينتفع بالتجارة واتيهم
ينبغي له تركها

قد تقدم لنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع
ومحاولة بيعها باغلا من ثمن الشراء اما بانتظار حوالة
الاسواق او نقلها الى بلد هي فيه انفق واغلا او بيعها

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بالغلاء على الآجال وهذا الربح بالنسبة الى اصل المال
نزر يسير لان المال ان كان كثيرا عظم الربح لان القليل في
الكثير كثير (ثم) لا بد في محاولة هذه التسمية الذي هو
الربح من حصول هذا المال بايدي الباعة في شراء البضائع
وبيعها وتقاضي اثمانها واهل النصفة منهم قليل فلا بد من
الغش والتطفيف المحجف بالبضائع والمطل في الاثمان
المحجف بالربح لتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نمو
ومن الجحود والانكار المسحت لرأس المال ان لم يقيّد
بالكتاب والشهادة وغناء الحكام في ذلك قليل لان
الحكم انما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك احوالا
صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح الا بعظم
الغناء والمشقة او لا يحصل ويتلشا رأس مساله فان كان
جريا على الخصومة بصيرا بالحسبان شديد المباحكة
مقداما على الحكام كان ذلك اقرب له الى النصفة منهم
بجراته ومماحكته والا فلا بد له من جاه يدرع به فيوقع له
الهيبة عند الباعة ويحمل الحكام على انصافه من غرمائه
فيحصل له بذلك النصفة واستخلاص ماله منهم طوعا في
الاول وكرها في الثاني واما من كان فاقد الجراءة والاقدام
من نفسه وفاقد الجاه من الحكام فينبغي له ان يجتنب
التجارة لانه يعرض بهاله للذهاب والهضيعة ويصييره مأكلة

للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لان الناس في الغالب متطلعون
الى ما فى ايدى الناس ولولا وازع احكام ما سلم لاحد شئ
مما فى يده وخصوصا الباعة وسفلة الناس ورعاعهم (1) ولولا دفاع
الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل
على العالمين

فصل فى ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء
وبعيدة عن المروءة

قد قدّمنا فى الفصل قبله ان التاجر مدفوع الى معاناة البيع
والشراء وجلب الفوائد والارباح ولا بدّ فى ذلك من
المكايسة والمهاكمة والتحدلق وممارسة الخصومات واللجاج
وهى عوارض هذه الحرفة وهذه الاوصاف تغض من الدكاء
والمروءة وتخدج فيها لان الافعال لا بدّ من عود آثارها على
النفس فافعال الخير تعود بآثار الخير والزكاء وافعال الشر
والسفسفة تعود بضدّ ذلك فتتمكّن وترسخ ان سبقت
وتكرّرت وتنقص من خلال الخير ان تأخرت عنها بما
ينطبع من آثارها المدمومة فى النفس شأن الملكات الناشئة
عن الافعال وتتفاوت هذه الآثار بتفاوت اصناف التجار
فى اطوارهم فمن كان منهم سافل الطور مخالطا لشرار الباعة اهل

(1) رعائهم. D. رعائهم. Man. A.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

العش والخلافة والخديعة والفجور في الايمان على البياعات
والاثمان اقرارا وانكارا كانت رداة تلك الخلق عنده اشد
وغلبت عليه السفسفة وبعد عن المروآت واكتسابها
بالجملة والآ فلا بد له من تأثير المكايسة والمهاكة في مروته
وفقدان ذلك فيهم بالجملة قليل ووجود الصنف الثاني
منهم الذي قدّمنا في الفصل قبله أنهم يدرعون (1) بالجاه
ويعوض لهم من مباشرة ذلك فهم نادر واقل من النادر
وذلك ان يكون المال قد توفر عنده دفعة بنوع غريب
او ورثه عن احد من اهل بيته فحصلت له ثروة تعينه على
الاتصال باهل الدولة وتكسبه ظهورا وشهرة بين اهل عصره
فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ويدفعه الى من يقوم له به
من وكلائه وحشمه ويسهل لهم الحكم النصفة (2) في حقوقهم
بما يونسونه من برة واتحافه فيبعدون عن تلك الخلق
بالبعد عن معاناة الافعال المقتضية لها كما مر فتكون مروتهم
ارسخ وابتعد عن المخدجات (3) الآ ما يسرى من آثار تلك
الافعال من وراء الحجاب فانهم يضطرون الى مشاركة احوال
اولئك الوكلاء ووفاقهم او خلافهم فيما يأتون ويدرون من
ذلك الآ انه قليل ولا يكاد يظهر اثره والله خلقكم وما تعلمون

(1) Man. C. et D. يزرعون.

(2) Man. C. et D. النصف.

(3) Man. B. المخرجات. C. المخرجات. D. المخرجات.

فصل في ان الصنائع لا بد لها من المعلم (1)

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

اعلم ان الصناعة هي ملكة في امر عملي فكري وبكونه
عمليا هو جسماني محسوس والاحوال الجسمانية المحسوسة
نقلها بالمباشرة اوعب لها واكمل لان المباشرة في الاحوال
الجسمانية المحسوسة اتم فائدة والملكة صفة راسخة
تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد اخرى
حتى ترسخ صورته وعلى نسبة الاصل تكون الملكة ونقل
المعينة اوعب واتم من نقل الخبر والعلم فالملكة
الحاصلة عنه اكمل وارسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر
وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم
في الصناعة وحصول ملكته ثم ان الصنائع منها البسيط
ومنها المركب والبسيط هو الذي يختص بالضروريات
والمركب هو الذي يكون للكماليات والمتقدم منها
في التعليم هو البسيط لبساطته اولا ولانه يختص بالضروري
الذي تتوفر الدواعي على نقله فيكون سابقا في التعليم
ويكون تعليمه لذلك ناقصا ولا يزال الفكر تخرج اصنافها
ومركباتها من القوة الى الفعل بالاستنباط شأ شأ على
التدرج حتى تكمل ولا يحصل ذلك دفعة وانما يحصل

(1) Man. C. معلم. D. العلم.

في ازمان واجيال اذ خروج الاشياء من القوة الى الفعل
لا يكون دفعة لاسيما في الامور الصناعيّة ولا بد له اذا من
زمان ولهذا نجد الصنائع في الامصار الصغيرة ناقصة
ولا يوجد منها الا البسيط فاذا تزيّدت حضارتها ودعت امور
الترف فيها الى استعمال الصنائع خرجت من القوة الى
الفعل والله اعلم

فصل في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرته

والسبب في ذلك ان الناس ما لم يستوف العمران الحضري
وتتمدن المدينة انما همهم في الضروري من المعاش وهو
تحصيل الاقوات من الحنطة وغيرها فاذا تهدنت المدينة
وتزيّدت فيها الاعمال ووفت بالضروري وزادت عليه صرف
الزائد حينئذ الى الكمالات من المعاش (ثم) ان الصنائع
والعلوم انما هي للانسان من حيث فكرة الذي يتميز به عن
الحيوانات والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية فهو
متقدم لضرورته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن
الضروري وعلى مقدار عمران البلد تكون جودة الصنائع للتأنق
فيها حينئذ وجودة ما يطلب منها بحسب دواعي الترف
والثروة (واما العمران البدوي) او القليل فلا يحتاج من

الصنائع الا البسيط خاصة المستعمل في الضرورات من
نجار او حداد او خياط او جزار او حائك واذا وجدت
هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجادة وانما يوجد منها
بمقدار الضرورة اذ هي كلها وسائل الى غيرها وليست
مقصودة لذاتها واذا زخر ببحر العمران وطلبت فيها الكمالات
كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجاداتها فكمملت
بجميع متمماتها وتزيدت صنائع اخرى معها مما تدعو اليه
عوائد الترف واحواله من خراز ودباغ وحرار وصانغ وامثال
ذلك (وقد) تنتهي هذه الاصناف اذا استبحر العمران
ان يوجد فيها كثير من الكمالات ويتأنق فيها في الغاية
وتكون من وجوه المعاش في الهصر لمنتهجها بل تكون
فائدتها من اعظم فوائد الاعمال لما يدعو اليه الترف في
المدينة مثل الدهان والصفار والحمامي والطباخ والسفاج
والهتراس ومعلم الغناء والرقص وقرع الطبول على التوقيع ومثل
الوراقين الذين يعانون صناعة انتساخ الكتب وتجليدها
وتصحيحها فان هذه الصناعة انما يدعو اليها الترف في
المدينة من الاشتغال بالامور الفكرية وامثال ذلك وقد
تخرج عن الحد اذا كان العمران خارجا عن الحد كما
يبلغنا عن اهل مصر ان فيهم من يعلم الطيور العجم
والحمر الانسية ويخيل اشياء من العجائب بايهام قلب

الاعيان وتعليم الحدا والرقص والمشى على الخيوط فى
الهواء ورفع الاثقال من الحيوانات والحجارة وغير ذلك
من الصنائع التى لا توجد عندنا بالمغرب لان عمران امصاره
لم يبلغ عمران مصر والقاهرة والله الحكيم العليم

فصل فى ان رسوخ الصنائع فى الامصار برسوخ
الحضارة وطول امدها

والسبب فى ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد لل عمران
والوان والعوائد انما ترسخ بكثرة التكرار وطول الامد فتستحكم
صبغة ذلك وترسخ فى الاجيال واذا استحكمت الصبغة
عسر نزعها ولهذا فاننا نجد الامصار التى كانت استبحرت
فى الحضارة لما تراجع عمرانها وتناقص بقيت فيها
اثار من هذه الصنائع ليست فى غيرها من الامصار المستحدثة
ال عمران ولو بلغت مبالغها فى الوفور والكثرة وما ذاك
الا لان احوال تلك القديمة عمران مستحكمة راسخة
بطول الاحقاب وتداول الاحوال وتكررها وهذه لم تبلغ الغاية
بعد وهذا كالحال فى الاندلس لهذا العهد فاننا نجد فيها
رسوم الصنائع قائمة واحوالها مستحكمة راسخة فى جميع ما
تدعو اليه عوائد امصارها كالمباني والطبخ واصناف الغناء واللهو
من الآلات والاورتار والرقص وتنصيب الفرش فى القصور

وحسن الترتيب والاوضاع في البناء وصوغ الآلية من المعادن
والخزف وجميع المواعين واقامة الولايم والاعراس وسائر
الصنائع التي يدعو اليها الترف وعوائده فتجدهم اقوم الناس
عليها وابصر بها وتجد صنائعها مستحكمة لديهم فهم على
حصّة موفورة من ذلك وحظّ متميز بين جميع الامصار
وان كان عمرانها قد تناقص والكثير منه لا يساوى عمران
غيرها من بلاد العدو وما ذاك الا لما قدّمناه من رسوخ
الحضارة بينهم برسوخ الدولة الاموية وما قبلها من دولة
القوط وما بعدها من دولة الطوائف الى هلم فبلغت الحضارة
فيها مبلغا لم تبلغه في قطر الا ما ينقل عن العراق والشام
ومصر ايضا لطول آماة الدول فيها فاستحكمت فيها الصنائع
وكملت جميع اصنافها على الاستجادة والتنميق وبقيت
صبغتها ثابتة في ذلك العمران لا تفارقه الى ان ينتقص
بالكلية حال الصبغ اذا رسخ في الثوب وكذا ايضا حال
تونس فيما حصل فيها من الحضارة بالدول الصنهاجية
والموحدين من بعدهم وما استكمل لها ذلك من الصنائع
في سائر الاحوال وان كان ذلك دون الاندلس الا انه
متضاعف برسوم منها تنتقل اليها من مصر لقرب المسافة
وبردد المسافرين من قطرها الى قطر مصر في كل سنة وربما
سكن اهلها هنالك عسورا فينقلون من عوائد ترفهم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

ومحکم صنائعهم ما يقع لديهم موقع الاستحسان فصارت
احوالها في ذلك متشابهة من احوال مصر لما ذكرناه ومن
احوال الاندلس لما ان اكثر ساكنها من شرق الاندلس
حين الجلاء لعهد المائة السابعة ورسخ فيها من ذلك
احوال وان كان عمراتها ليس يناسب لذلك لهذا العهد
الا ان الصبغة اذا استحكمت فقليل ما تحول الا بزوال محلها
وكذلك نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن حماد اثرا
باقيا من ذلك وان كانت هذه كلها اليوم خرابا او في
حكم الخراب ولا يتفطن لها الا البصير من الناس فيجد
من هذه الصنائع اثارا تدل على ما كان بها كثر الخط
المحور في الكتاب والله الخلاق

فصل في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر
طالبها

والسبب في ذلك ان الانسان لا يسمح بعمله ان يقع
مجانا لانه كسبه ومنه معاشه اذ لا فائدة له في جميع
عمره في شئ مما سواه فلا يصرفه الا فيما له قيمة في
مصره ليعود عليه بالنفع واذا كانت الصناعة مطلوبة
ويوجه اليها النفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي
نفق سوقها وتجلب للبيع فيجتهد الناس في المدينة لتعلم

تلك الصناعة ليكون منها معاشهم واذا لم تكن الصناعة
مطلوبة لم ينفق سوقها ولا يوجه قصد الى تعلمها
فاختصت بالترك وفقدت للاهمال (ولهذا) يقال عن علي كرم
الله وجهه قيمة كل امرء ما يحسنه بمعنى ان صناعته هي
قيمه اى قيمة عمله الذى هو معاشه وايضا فهنا سر اخر
وهو ان الصنائع واجادتها انما تطلبها الدولة فهى التى تنفق
من سوقها وتوجه الطلبات اليها وما لم تطلبه الدولة وانما
يطلبه غيرها من اهل المصر فليس على نسبتها لان الدولة
هى السوق الاعظم وفيها نفاق كل شئ والقليل والكثير
فيها على نسبة واحدة فما نفق فيها كان اكثريا ضرورة
والسوق وان طلبوا الصناعة فليس صلبهم بعام ولا سوقهم
بنافقة والله قادر على ما يشاء

فصل فى ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت
منها الصنائع

وذلك لما بيته من ان الصنائع انما تستجد اذا احتيج
اليها وكثر طالبيها فاذا ضعفت احوال المصر واخذ فى الهرم
بانقاص عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا
الى الاقتصار على الضرورى من احوالهم فتقل الصنائع
التي كانت من توابع الترف لان صاحبها حينئذ لا يصير

له بها معاش فيفر (1) الى غيرها او يموت ولا يكون خلف منه
فيذهب رسم تلك الصنائع جملة كما يذهب النقاشون
والصوّاغون والكتّاب والنساخ وامثالهم من الصنّاع لحاجات
الترف ولا تزال الصناعات في تناقص ما دام المصر في
تناقص الى ان يضمحل والله الخلاق العليم

فصل في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع

والسبب في ذلك انهم اعرق (2) في البدو وابتعد عن العمران
الحضري وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها والعجم من اهل
المشرق وامم النصرانية عدوة البحر الرومي اقوم الناس عليها
لانهم اعرق في العمران الحضري وابتعد عن البدو وعمرانه
حتى ان الابل التي اعانت العرب على التوحش في القفر
والاعراق في البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة مراعيها
والرمال المهية لنتاجها ولهذا انجد اوطان العرب وما
ملكوه في الاسلام قليل الصنائع بالجملة حتى تجلب
اليه من قطر اخر وانظر بلاد العجم من الصين والهند وارض
الترك وامم النصرانية كيف استكثرت فيها الصنائع
واستجلبها الامم من عندهم وعجم المغرب من البربر بمثابة
العرب في ذلك لرسوخهم في البداوة منذ احقاب من

(1) Man. D. فيفتقر.

(2) Man. D. اغرق.

السنين ويشهد لك بذلك قلة الامصار بقطرهم كما قدمناه
 فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكمة الا ما كان
 من صناعة الصوف في نسجه والجلد في حرزة ودبغه فانهم
 لما استحضروا بلغوا فيها المبالغ لعموم البلوى بها وكون
 هذين اغلب السلع في قطرهم لما هم عليه من حال
 البداوة واما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه منذ ملك
 الامم الاقدمين من الفرس والنبط والقبط وبنى اسرائيل ويونان
 والروم احقبا متطاولة فرسخت فيهم احوال الحضارة ومن
 جملتها الصنائع كما قدمناه فلم يمس رسمها واما اليمن
 والبحرين وعمان والجزيرة وان ملكها العرب الا انهم
 تداولوا ملكه آلاف من السنين في اسم كثيرين منهم واحتطوا
 ايضا امصاره ومدنه وبلغوا المبالغ من الحضارة والترف مثل
 عاد وثمود والعمالقة وحمير من بعدهم والتبابعة والاذواء فطال
 امد الملك والحضارة واستحكمت صبغتها وتوفرت الصنائع
 ورسخت فلم تبل ببلى الدولة كما قلناه فبقيت مستحكمة
 حتى الآن واختصت بذلك الموطن كصناعة الوشى
 والعصب وما يستجد من حوك الثياب والحرير فيها والله
 وارث الارض وما عليها

فصل في ان من حصلت له ملكة فقل ان يجيد
بعدها ملكة اخرى

ومثال ذلك الخياط اذا اجاد ملكة الخياطة واحكمها
ورسخت في نفسه فلا يجيد من بعدها ملكة التجارة
او البناء الا ان تكون الاولى لم تستحكم بعد ولم ترسخ
صبغتها والسبب في ذلك ان الملكات صفات للنفس
والوان فلا تزدهم دفعة ومن كان على الفطرة كان اسهل
لقبول الملكات واحسن استعدادا لحصولها فاذا تلونت
النفس بالملكة خرجت عن الفطرة وضعف فيها الاستعداد
باللون الحاصل من هذه الملكة فكان قبولها للملكة الاخرى
اضعف وهذا بين يشهد له الوجود فقل ان تجد صاحب
صناعة يحكمها فيحكم من بعدها اخرى ويكون فيها معا
على رتبة واحدة من الاجادة حتى ان اهل العلم الذين
ملكتهم فكرية فهم بهذه المثابة ومن حصل منهم على
ملكة علم من العلوم واجادها في الغاية فقل ان يجيد
ملكة علم اخر على نسبه بل يكون مقصرا فيه ان طلبه
الا في الاقل النادر من الاحوال ومبنا سببه على ما ذكرناه
من شأن الاستعداد وتلوينه بلون الملكة الحاصلة في النفس
والله اعلم

فصل في الإشارة الى امهات الصنائع

اعلم ان الصنائع في النوع الانساني كثيرة لكثرة الاعمال
المتداولة في العمران فهي بحيث تشد عن الحصر
ولا ياخذها العدد الا ان منها ما هو ضروري في العمران
او شريف بالموضوع فنخصها بالذكر ونترك ما سواهما
فاما الضروري فكالفلاحة والبناء والخياطة والنجارة والحياسة
واما الشريف بالموضوع فكالتوليد والكتابة والوراقة والغناء
والطب فاما التوليد فانها ضرورية في العمران وعامة البلوى
اذ بها تحصل حياة المولود وتتم غالبا وموضوعها مع ذلك
المولودون وامهاتهم (واما) الطب فهو حفظ الصحة للانسان
ودفع المرض عنه ويتفرع عن علم الطبيعة وموضوعه مع
ذلك بدن الانسان واما الكتابة وما يتبعها من الوراقاة
فهي حافظة على الانسان حاجته ومقيدة لها عن النسيان
ومبلغة ضمائر النفس الى البعيد الغائب ومخلدة نتائج
الافكار والعلوم في الصحف ورابعة رتب الوجود للمعاني
(واما) الغناء فهو نسب الاصوات ومظهر جمالها للاسماع
وكل هذه الصنائع الثلاثة داع الى مخالطة الملوك الاعظم
في خلواتهم ومجالس انسبهم فلها بذلك شرف ليس
لغيرها وما سوى ذلك من الصنائع فتابعة ومهتنة في

العالم وقد يختلف ذلك باختلاف الاغراض والدواعي والله
الخالق العليم

فصل في صناعة الفلاحة

هذه الصناعة ثمرتها اتخاذ الاقوات والحبوب بالقيام على
اثارة الارض لها وازدراعها وعلاج نباتها وتعاهده بالسقى
والتنمية الى بلوغ غايته ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من
غلافه واحكام الاعمال لذلك وتحصيل اسبابه ودواعيه وهي
اقدم الصنائع لما انها محصلة للقوت المكمل لحياة
الانسان غالبا اذ يمكن وجوده من دون جميع الاشياء الا من
دون القوت ولهذا (1) اختصت هذه الصناعة بالبدو اذ قدّمنا انه
اقدم من الحضرة وسابق عليه فكانت هذه الصناعة بذلك
بدوية لا يقوم عليها الحضرة ولا يعرفونها لان احوالهم كلها
ثانية عن البداوة فصنائعهم ثانية عن صنائعها وتابعة لها
والله الخالق العليم

فصل في صناعة البناء

هذه اول صنائع العمران الحضري واقدمها وهي معرفة
العهل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن (2) والماوى وذلك

(1) Man. C. et D. ما.

(2) Man. D. A. B. لكن. D. لكان.

ان الانسان بما جبل عليه من الفكر في عواقب احواله لا بد له ان يفكر في موانع اذاية الحر والبرد عنه باتخاذ البيوت ذوات الحيطان والسقف الحائلة دون من جهاته والبشر مختلفون في هذه الجبلة الفكرية التي هي معنى الانسانية فالمقيدون فيها ولو على التفاوت يتخذون ذلك باعتدال كاهل الاقليم الثاني وما بعده الى الاقليم السادس واما اهل الاول والسابع فيبعدون عن اتخاذ ذلك لانحرافهم وقصور افكارهم عن كيفية العمل في الصنائع الانسانية فياؤون الى الغيران والكهوف كما يتناولون الاغذية من غير علاج ولا نضج (ثم) المعتدلون المتخذون للبيوت للماوى قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضا بياتا فيحتاجون الى حفظ مجتمعهم بادارة سياج الاسوار التي تحوطهم ويصير جميعها مدينة ومصرى واحدا يحوطهم فيه الحكام بدفاع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون الى الاعتصام من العدو ويتخذون المعاقل والحصون لهم ولمن تحت ايديهم وهؤلاء مثل الهلوك ومن في معانهم من الامراء وكبراء القبائل (ثم) يختلف احوال البناء في الين كل مدينة على ما يتعارفون ويصطاحون عليه ويناسب مزاج هوائهم واختلاف احوالهم في الغنا والفقر وكذا حال اهل المدينة الواحدة فمنهم من

يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتملة على عدة الدور والبيوت والغرف لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جدرانها بالحجارة ويأحم بينها بالكلس ويعال عليها بالاصبغة والجص ويبالغ في كل ذلك بالتنجيد والتنميق اظهارا للبسطة (1) في العناية بشأن الماوى ويهيئ مع ذلك الاسراب والمطامير لاختزان اقواته والاصطبلات لربط مقرباته ان كان من اهل الجنود وكثرة التابع والغاشة كالامراء ومن في معانهم ومنهم من يبني الدويرة والبويت لنفسه وسكنه وولده لا يبتغى ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتضاره على الكنّ الطبيعي للبشر وبين ذلك مراتب غير منحصرة (وقد) يحتاج الى هذه الصناعة ايضا عند تأسيس الملوك واهل الدول المدن العظيمة والهيكل المرفعة ويبالغون في انقان الاوضاع وعلو الاجرام مع الاحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك كله واكثر ما تكون هذه الصناعة في الاقاليم المعتدلة من الرابع وما حوله اذ الاقاليم المنحرفة لا بناء فيها وانما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين او يآوون الى الكهوف والغيران واهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم القاصر (ثم) هي تتنوع انواعا كثيرة

(1) Man. D. النشطة.

فمنها البناء بالحجارة المنجدة (1) او بالاجر يقام بها الجدران
ملصقا بعضها الى بعض بالطين والكلس الذي يعقد معها
فتلتحم كأنها جسم واحد ومنها البناء بالتراب خاصة تقام
منه الحيطان بان يتخذ له لوحان من الخشب مقدران
طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير واوسطه اربعة
اذرع في ذراعين فينصبان على اساس وقد بوعد ما بينهما
على ما يراه صاحب البناء في عرض الاساس ويوصل بينهما
باذرعات من الخشب يربط عليها بالحبال والجدل وتسدد
الجهتان الباقيتان من ذلك الخلاء (2) بينهما بلوحيين اخرين
صغيرين ثم يوضع فيه التراب مختلطا بالكلس ويبلط
بالمراكز المعدة لذلك حتى ينعم ركزه وتختلط اجزائه
بالكلس ثم يزداد التراب ثانيا وثالثا الى ان يمتلى ذلك
الخلاء (3) بين اللوحيين فقد تداخلت اجزاء الكلس والتراب
وصارت جسما واحدا ثم يعاد نصب اللوحيين على الصورة
الاولى ويركز كذلك الى ان يتم وتنتظم اللواح كلها سطرا
فوق سطر الى ان ينتظم الحائط كله ملتحما كانه قطعة
واحدة ويسمى الطابية وصانعه الطواب (ومن) صنائع
البناء ايضا ان تجلل الحيطان بالكلس بعد ان يحلّ بالماء ويخمر
اسبوعا او اسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن افراط النارية

(1) Man. C. المتخذة.

(2) Man. A. et B. الفضاء.

(3) Ibid. الفضاء.

المفسدة للالحام فاذا تم له ما يرضاه من ذلك علاه من
 فوق الحائط وذلكه الى ان يلتحم (ومن) صنائع البناء عهل
 السقف بان تهد الخشب المحكمة النجارة او الساذجة على
 حائطى البيت ومن فوقها الالواح كذلك موصولة بالداستر
 ويصب عليها التراب والكلس ويبلط بالمرآكز حتى
 تتداخل اجزاؤها وتلتحم ويعالا عليه الكلس كما عولى
 على الحائط ومن صناعة البناء ما يرجع الى التنيق والتزيين
 كما تصنع من فوق الحيطان الاشكال المجسمة من الجص
 يعقد بالماء ثم يرفع مجسدا وفيه بقية البلل فيشكل على
 التناسب تخريما يثاقب الحديد الى ان يبقى له رونق
 ورواء وربما عولى على الحيطان ايضا بقطع الرخام او الاجر
 او الخزف او الصدف او السبع يفصل اجزاء متجانسة
 او مختلفة وتوضع فى الكلس على نسب واوزاع
 مقدرة عندهم يبدو به الحائط للعيان كانه قطع الرياض
 المنمنمة الى غير ذلك من بناء الجباب والصهاريج لسي
 الباء بعد ان تعد فى البيوت قصاع الرخام القورا المحكمة
 الخراط بالفوهات فى وسطها لتبع الماء الجارى الى
 الصهريج يجلب اليها من خارج فى القنوات المفضية به
 الى البيوت وامثال ذلك من انواع البناء ويختلف الصناع
 فى جميع ذلك باختلاف الحدق والبصر ويعظم عمران

المدينة ويتسع فيكثرون (وربها) يرجع الحكام الى نظر هولاء فيها هم ابصر به من احوال البناء وذلك ان الناس في المدن الكثيرة (1) الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء للاعلى والاسفل في الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيهنج جاره من ذلك الا ما كان له فيه حق ويختلفون ايضا في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة في القنوات وربما يدعى بعضهم على بعض في حائط او علوه او قناته لتضائق الجوار او يدعى بعض على جاره اعتلال حائطه وخشية سقوطه ويحتاج الى الحكم عليه بهدمه ودفع ضرره عن جاره عند من يراه او يحتاج الى قسمة دار او عرصة بين شريكين بحيث لا يقع معهما فساد في الدار ولا اهمال لمنفعتها وامثال ذلك ويخفى جميع ذلك الا على اهل البصر بالبناء العارفين باحواله المستدلين عليها بالمعاقد والقهط ومراكز الخشب وميل الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة اوضاعها ومنافعها وتسريب المياه في القنوات مجاوبة ومدفوعة بحيث لا تضر بها مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك فلهم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والقصور في

(1) Man. C. et D. الكثرة.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الاجيال باعتبار الدول وقوتها فانا قدّمنا ان الصنائع وكمالها
انما هو بكمال الحضارة وكثرتها بكثرة الطالب لها فلذلك
عند ما تكون الدولة بدويّة في اول امرها تفتقر في امر
البناء الى غير قطرها كما وقع للوليد بن عبد الملك حين
اجتمع بناء مسجد المدينة والقدس ومسجده بالشام فبعث الى
ملك الروم بالقسطنطينية في الفعلة المهرة في البناء فبعث
اليه منهم بهن كمل له غرضه من تلك المساجد (وقد) يصرف
صاحب هذه الصناعة اشياء من الهندسة مثل تسوية
الحيطان بالوزن واجراء المياه باخذ الارتفاع وامثال ذلك
فيحتاج الى البصر بشيء من مسائله وكذلك في جسر
الاثقال بالهندام فان الاجرام العظيمة اذا شيدت بالحجارة
الكبيرة تعجز قدر الفعلة عن رفعها الى مكانها من الحائط
فيتحيل لذلك بمضاعفة قوة الحبل بادخاله في المعالق
من اتقاب مقدرة على نسب هندسيّة يصير الثقيل عند
معاونة الرفع خفيفا وتسمى آلة لذلك بالمخال فيتم المراد
من ذلك بغير كلفة وهذا انما يتم باصول هندسيّة معروفة
متداولة بين البشر ويثلها كان بناء الهياكل المائلة لهذا
العهد التي يحسب الناس انها من بناء الجاهليّة وان ابدانهم
كانت على نسبتها في عظم الجثمان وليس كذلك
وانما يتم لهم ذلك بالحيل الهندسيّة كما ذكرناه

فتفهم ذلك والله يخلق ما يشاء

فصل في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضرورات العمران ومادتها الخشب وذلك ان الله سبحانه وتعالى جعل للادمي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضروراته او حاجاته وكان منها الشجر فان له فيه من المنافع ما لا ينحصر مّا هو معروف لكل احد ومن منافعها اتّخاذها خشبا اذا يبست واول منافع الخشب ان يكون وقودا للنيران في معاشهم وعصيا في الاتكاء والذود وغيرهما من ضروراتهم ودعائم لما يخشى ميله من اثقالهم ثم بعد ذلك منافع اخرى لاهل البدو والحضر فاما اهل البدو فيتخذون العمد والاوّاد لخيامهم والحدوج لظعائهم والرماح والقسيّ والسهام لسلاحهم واما اهل الحضر فالسقف لبيوتهم والاعلاق لابوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فالخشب مادة لها ولا يصير الى الصورة الخاصّة بها الا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها الى تفصيل الخشب اولا اما بخشب اصغر منه او بالواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصورة المصلوبة فهو في كل ذلك يحاول بصنغته

اعداد تلك الفصائل بالانتظام الى ان تصير اعضاء لذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم اذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف او باب او كرسي او ماعون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجاداته بغرائب من الصنعة كمالية ليست من الضروري في شئ مثل التخطيط في الابواب والكراسي ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم بريها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالدهان فتبدو لمراى العين ملتحمة وقد اخذ منها اختلاف الاشكال على تناسب يصنع هذا في كل شكل يتخذ من الخشب فيجئ انق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج اليه من الآلات المتخذة من الخشب من اى نوع كانت وكذلك قد تحتاج الى هذه الصناعة في انشاء السفن البحرية ذات الالواح والدهسر وهي اجرام هندسية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحة في الماء بقوامه وكله ليكون ذلك الشكل اعون لها على مصادمة الماء وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسك تحريك الرياح وربما اعينت بحركة المجاذيف كما في الاساطيل وهذه الصناعة من اصلها محتاجة الى جزء كبير من الهندسة في جميع

اصنافها لان اخراج الصور من القوة الى الفعل على وجه
 الاحكام محتاج الى معرفة التناسب في المقادير اما عموما
 او خصوصا وتناسب المقادير لا بد من الرجوع فيه الى
 المهندس ولهذا كانت ائمة الهندسة اليونانيين كلهم ائمة في
 هذه الصناعة فكان اوقليدس صاحب كتاب الاصول في
 الهندسة نجارا وبها كان يعرف وكذلك ابلونيوس
 صاحب كتاب المخروطات وميلاوش وغيرهم
 وفيما يقال ان معلم هذه الصناعة في الخليقة هو
 نوح صلعم وبها انشأ سفينة النجاة التي بها كانت معجزته
 عند الطوفان وهذا الخبر وان كان ممكنا اعنى كونه نجارا
 الا ان كونه اول من عملها لا دليل يقوم عليه لبعده الآماد
 وانما معناه الاشارة الى قدم النجارة لانه لم تصح حكاية
 عنها قبل خبر نوح صلعم فجعل كانه اول من تعلمها فتفهم
 اسرار الصنائع في الخليقة والله الخلاق العليم

فصل في صناعة الحياكة والخياطة

اعلم ان المعتدلين من البشر في معنى الانسانية لا بد لهم
 من الفكر في الدفء كالفكر في الكبر ويحصل الدفء
 باشتغال المنسوج للوقاية من الحر والبرد ولا بد لذلك من
 الحمام الغزل حتى يصير ثوبا واحدا وهو النسج والحياكة

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

فان كانوا بادية اقتصروا عليه وان مالوا الى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعا يقدرون منها ثوبا على البدن بشكله وتعدّد اعضائه واختلاف نواحيها ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصائل حتى تصير ثوبا واحدا على البدن ويلبسونها والصناعة المحصلة لهذه الملائمة هي الخياطة وهاتان الصنعتان ضرورتان في العمران لما يحتاج اليه الشر من الدفء فالاولى لنسج الغزل من الصوف والقطن سدوا في الطول والحاما في العرض واحكاما لذلك النسج بالالتحام الشديد فتتم منها قطع مقدرة فمنها الاكسية من الصوف للاشتمال ومنها الثياب من القطن والكتان للباس (والصناعة الثانية) لتقدير المنسوجات على اختلاف الاشكال والعوائد تفصل اولا بالمقراض قطعا مناسبة للاعضاء البدنية ثم تاحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلا او حبكا او تنبيتا او تفتيحا على حسب نوع الصناعة وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما ان اهل البدو يستغنون عنها وانما يشتملون الاثواب اشتمالا وانما تفصيل الثياب وتقديرها والحامها بالخياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها وتفهم هذا في سرّ تحريم المخيط في الحجّ لما ان مشروعية الحجّ مشتملة على نبد العلائق الدنيوية كلها والرجوع الى الله تعالى كما خلقنا اول مرة حتى لا يعلق العبد قلبه بشئ من عوائد

ترفه لا طيبا ولا نساء ولا مخيطا ولا خفا ولا يعرض لصيد
ولا لشيء من عوائده التي تلونت بها نفسه وخلقه مع انه
يفقدها بالموت ضرورة وانما يجيى كانه وارد على المحشر
ضارعا بقلبه مخلصا لربه فكان جزاؤه ان تتم له اخلاصه
في ذلك ان يخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه سبحانه
ما ارفقك بعبادك وارحمك بهم في طلب هدايتهم
اليك وهاتان الصناعتان قديمتان في الخليقة لهما ان
الدف ضروري للبشر في العمران المعتدل واما المنحرف
الى الحر فلا يحتاج اهله الى دف ولهذا يبلغنا عن اهل
الاقليم الاول من السودان انهم عراة في الغالب ولقدّم هذه
الصنائع تنسبها العامة الى ادريس عليه السلام وهو اقدم
الانبياء عليهم السلام وربما ينسبونها الى هرمس وقد يقال
ان هرمس هو ادريس والله الخلاق العليم

فصل في صناعة التوليد

وهي صناعة يعرف بها العمل في استخراج المولود من بطن
امه من الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة اسباب ذلك
ثم ما يصلح بعد الخروج على ما يذكر وهي مختصة
بالنساء في غالب الامر لما اتتهن الظاهرات بعضهن على
عورات بعض وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة

استعير فيه معنى الاعطاء والقبول كان النفساء تعطيها الجنين
وكاتها تقبله وذلك ان الجنين اذا استكمل خلقه في
الرحم وطواره وبلغ الى غايته والمدّة التي قدر الله لمكثه وهي
تسعة اشهر في الغالب فيطلب الخروج بما جعل الله فيه
من النزوع لذلك وبضيق عليه المنفذ فيعسر وربما مزق
بعض جوانب الفرج بالضغط وربما انقطع (1) ما كان في
الاعشية من الالتصاق والالتحام بالرحم وهذه كلها آلام يشدّد
لها الوجع وهو معنى الطلق فتكون القابلة معينة في ذلك
بعض الشيء بغمز الظهر والوركين وما يحاذي الرحم من
الاسافل تساوق بذلك فعل الدافعة في اخراج الجنين
وتسهيل ما يصعب منه بما يمكنها وعلى ما تهتدى الى
معرفة عسره (ثم) اذا خرج الجنين بقيت بينه وبين الرحم
الوصلة التي كان يتغذى منها متصلة من سرته بمعاه وتلك
الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة فتقطعها القابلة
من حيث لا يتعدى مكان الفصلة ولا يضرب بمعاه ولا برحم
أمه ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكفى او بما تراه من
وجوه الاندمال (ثم) ان الجنين عند خروجه من ذلك
المنفذ الضيق وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانثناء
فربما تتغير اشكال اعضائه واوضاعها (2) لقرب التكوين

(1) Man. C. et D. انقلع.

(2) Man. A. et B. اوضاعه واعضائه.

ورطوبة المواد فتتناوله القابلة بالغمز والاصلاح حتى يرجع كل عضو الى شكله الطبيعي ووضعه المقدر له ويرتد خلقه سويا (ثم) بعد ذلك تراجع النفساء وتحاذيها بالغمز والملاينة لخروج اغشية الجنين لانها ربما تتأخر عن خروجه قليلا ويخشى عند ذلك ان تراجع الماسكة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الاغشية وهي فضلات فتتعفن ويسرى عفنها الى الرحم فيقع الهلاك فتحاذر القابلة هذا وتحاول في اعانة الدفع الى ان تخرج تلك الاغشية ان كانت قد تاخرت ثم ترجع الى المولود فتخرج اعضاءه بالادهان والذرور القابضة لتشدّها وتجفف رطوبات الرحم وتحنكه لرفع لهاته وتسعته لاستفراغ بطون دماغه وتغرغره باللعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق ثم تداوى النفساء بعد ذلك من الوهن الذي اصابها بالطلق وما لحق رحمها من الم الانفصال اذ المولود وان لم يكن عضوا طبيعيا فحالة التكوين في الرحم صيرته بالالتحام كالعضو المتصل فلذلك كان في انفصاله الم يقرب من الم القطع وتداوى مع ذلك ما يلحق الفرج من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج وهذه كلها ادواء نجد هولاء القوابل ابصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من ادواء في بدنه الى حين الفصال نجدهن ابصر بها من الطبيب الماهر وما ذاك

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الآن بدن الانسان في تلك الحالة إنما هو بدن انساني بالقوة فقط فاذا جاوز الفصال صار بدنا انسانيًا بالفعل فكانت حاجته حينئذ الى الطبيب اشدّ فهذه الصناعة كما تراه ضرورية في العمران للنوع الانساني لا يتم كون اشخاصه في الغالب دونها وقد يعرض لبعض اشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة اما بخلق الله ذلك لهم معجزة وخرقًا للعادة كما في حق الانبياء صلعم او بالهام وهداية يلهم لها المولود ويفطر عليها فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة (فاما) شأن المعجزة من ذلك فقد وقع كثيرا ومنه ما روى ان النبي صلعم ولد مختونا مسرورا واضعا يديه على الارض شاخصا ببصره الى السماء وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك (واما) شأن الالهام فلا ينكر واذا كانت الحيوانات العجم تختص بغرائب من الالهامات كالنحل وغيرها فما ظنك بالانسان المفضل عليها وخصوصا من اختص بكرامة الله (ثم) الالهام العام للمولودين في الاقبال على الشدى من اوضح شاهد على وجود الالهام لهم فشأن العناية الالهية اعظم من ان يحاط به ومن هنا يفهم بطلان راي الفارابي وحكماء الاندلس فيما احتجوا به لعدم انقراض الانواع واستحالة انقطاع المكونات وخصوصا في النوع الانساني وقالوا لو انقطعت اشخاصه لاستحال وجودها بعد

ذلك لتوقفه على وجود هذه الصناعة التي لا يتم كون
الانسان الا بها اذ لو قدرنا مولودا دون هذه الصناعة وكفالتها الى
حين الانفصال لم يتم بقاؤه اصلا ووجود الصنائع دون الفكر
ممتنع لانها ثمرته وتابعة له وتكلف ابن سينا في الرد على
هذا الراى لمخالفته اياه وذهابه الى امكان انقطاع الانواع
وخراب عالم التكوين ثم عوده ثانية لاقتضات فلكية
واوضاع غريبة تندرج في الاحقاب بزعمه فتقتضى تخمير
طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة فيتم كونه انسانا ثم يقبض
له حيوان يخلق فيه الالهام لتربيته والحنو عليه الى ان
يتم وجوده وفصاله واطنب في بيان ذلك في الرسالة
التي سماها برسالة حى بن يقظان وهذا الاستدلال غير
صحيح وان كنا نوافق على انقطاع الانواع لكن من غير ما
استدل به فان دليله مبنى على استناد الافعال الى العلة
الموجبة ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ولا واسطة
على القول بالفاعل المختار بين الافعال والقدرة القديمة
ولا حاجة الى هذا التكلف ثم لو سلمناه جدلا فغاية ما
يبنى عليه اطراد وجود هذا الشخص بخلق الالهام لتربيته
فى الحيوان الاعجم وما الضرورة الداعية لذلك واذا كان
الالهام يخلق فى الحيوانات العجم فما المانع من خلقه
للمولود نفسه كما قررناه اولا وخلق الالهام فى شخص

لمصالح نفسه اقرب من خلقه فيه لمصالح غيره فكل
المذهبيين شاهدان على انفسهما بالبطلان في مناحيهما
لها قررت لك والله الخلاق العليم

فصل في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر
والامصار دون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من
فائدتها فان ثمرتها حفظ الصحة للاصحاء ودفع المرض عن
المرضى بالمدواة حتى يحصل لهم البرء من ادوائهم واعلم
ان اصل الامراض كلها انما هو من الاغذية كما قال صلعم
في الحديث الجامع للطب كما ينقل بين اهل الصناعة
وان طعن فيه العلماء وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية
رأس الدواء واصل كل داء البردة فاما قوله المعدة بيت
الداء فظاهر واما قوله الحمية رأس الدواء فالحمية الجوع
وهو الاحتماء عن الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواء العظيم
الذي هو اصل الادوية واما قوله اصل كل داء البردة فمعنى
البردة ادخال الطعام على الطعام في المعدة قبل ان يتم هضم
الاول (وشرح) هذا ان الله سبحانه وتعالى خلق الانسان
وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالاكل وينفذ فيه القوى
الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما ملائما لاجزاء البدن من

اللحم والعظم ثم تاخذه النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى
 المهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى
 يصير خراة بالفعل من البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل
 فى الفم ولاكته الاشداق أثرت فيه حرارة الفم طبخا يسيرا
 وقلبت مزاجه بعض الشئ كما تراه فى اللقمة اذا تناولتها
 طعاما ثم اجدتها مضغا فترى مزاجها غير مزاج
 الطعام ثم يحصل فى المعدة فتطبخه حرارة المعدة الى
 ان يصير كيموسا وهو صفة (1) ذلك المطبوخ وترسله الى
 الكبد وترسل ما يرسب منه فى المعاء ثفلا ينفذ الى
 المخرجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس الى ان
 يصير دما غبيطا وتطفو عليه رغوّة من الطبخ هى الصفراء
 وترسب منه أجزاء يابسة هى السوداء ويقصر الحارّ الغريزى
 بعض الشئ عن طبخ الغليظ منه فهو البلغم ثم ترسلها
 الكبد كلها فى العروق والمجداول وياخذها طبخ الحار
 الغريزى هنالك فتكون عن الدم الخالص بخار حارّ رطب
 يمدّ الروح الحيوانى وتاخذ النامية ماخذها فى الدم فيكون
 لحما ثم غليظة عظاما ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجته
 من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط
 والدمع هذه صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما

(1) Man. C. et D. صفو.

ثم ان اصل الامراض ومعظمها هي الحميات وسببها ان
الحمار الغريزي قد يضعف عن تمام النضج في طبخه في
كل طور من هذه فيبقى ذلك الغذاء دون نضج وسببه غالبا
كثرة الغذاء في المعدة حتى يكون اغلب على الحمار الغريزي
او ادخال الطعام الى المعدة قبل ان يستوفى طبخ الاول
فيشتغل به الحمار الغريزي ويترك الاول بحاله او يتوزع عليها
فيقصر عن تمام الطبخ والنضج وترسله المعدة كذلك الى
الكبد فلا تقوى حرارة الكبد ايضا على انضاجه وربما بقى
في الكبد من الغذاء السابق فضلة غير ناضجة ويرسل الكبد
جميع ذلك الى العروق غير ناضج كما هو فاذا اخذ البدن
حاجته الملائمة ارسله مع الفضلات الاخرى من العرق
والدمع واللعاب ان اقتدر على ذلك وربما يعجز عن
الكثير منه فيبقى في العروق والكبد والمعدة ويتزائد مع
الايام وكل ذي رطوبة من المهترجات اذا لم ياخذ الطبخ
والنضج تعفن فيتعفن ذلك الغذاء غير الناضج وهو المسمى
بالخلط وكل متعفن ففيه حرارة غريبة وتلك هي الهسامة
في بدن الانسان بالحمى واعتبر ذلك في الطعام اذا
ترك حتى يتعفن وفي الزبل اذا تعفن كيف تنبعث فيه
الحرارة وتأخذ مأخذها فهذا معنى الحميات في الابدان
وهي راس الامراض واصلها كما وقع في الحديث ولهذه

الحميات علاجات بقطع الغذاء عن المريض اسابيع معلومة
ثم تناوله الاغذية الملائمة حتى يتم برؤه وكذلك في حال
الصحة له علاج في التحفظ من هذا المرض وغيره وقد يكون
ذلك التعفن في عضو مخصوص فيتولد عنه مرض في
ذلك العضو او تحدث جراحات في البدن اما في
الاعضاء الرئيسية او في غيرها وقد يمرض العضو ويحدث
عنه مرض القوى الموجودة له هذه كلها جماع الامراض
واصلها في الغالب من الاغذية (وهذا) كله مدفوع الى
الطبيب ووقوع هذه الامراض في اهل الحضرة والامصار اكثر
لخصب عيشهم وكثرة ماكلهم وقلة اقتصارهم على نوع
واحد من الاغذية وعدم توفيتهم لتناولها وكثرة ما يخلطون
بالاغذية من التوابل والبقول والفواكه رطبا ويابساً في سبيل
العلاج بالطبخ ولا يقتصرون في ذلك على نوع ولا انواع
فربما عددنا في اللون الواحد من الوان الطبخ اربعين نوعاً
من النبات والحيوان فيصير للغذاء مزاج غريب وربما يكون
بعيدا عن ملائمة البدن واجزائه (ثم) ان الاهوية في الامصار
تفسد بمخالطة الابخرة العفنة من كثرة الفضلات والاهوية
منشطة للارواح ومقوية بنشاطها لاثر الحار الغريزي في
الهضوم ثم الرياضة مفقودة لاهل لامصار اذ هم في الغالب
وادعون ساكنون لا تاخذ منهم الرياضة شأ ولا تؤثر اثرها

فكان وقوع الامراض كثيرا في المدن والامصار وعلى قدر وقوعه كانت حاجتهم الى هذه الصناعة (فاما) اهل البدو فاكلهم قليل في الغالب والجوع اغلب عليهم لقلّة الحبوب حتى صار ذلك لهم عادة وربما يظنّ انها جبلة لاستمرارها ثم لادم قليلة لديهم او مفقودة بالجملة وعلاج الطبخ بالتوابل والفواكه اتما يدعو اليه ترف الحضارة الذي هم عنه بمعزل فيتناولون اغذيتهم بسيطة بعيدة عما يخالطها ويغرب مزاجها من ملأمة البدن واما اهويتهم فقليلة العفن لقلّة الرطوبات والعفونات ان كانوا اهليين او لاختلاف الاهوية ان كانوا ظواعن ثم ان الرياضة موجودة فيهم من كثرة الحركة في ركض الخيل او الصيد او طلب الحاجات او مهنة انفسهم في حاجاتهم فيحسن بذلك الهضم كله ويجود ويفقد ادخال الطعام على الطعام فتكون امزجتهم اصلح وابتعد عن الامراض فتقل حاجتهم الى الطب ولهذا لا يوجد الطبيب في البادية بوجه وما ذاك الا للاستغناء عنه اذ لو احتيج اليه لوجد لانه يكون له بذلك في البدو معاش يدعو الى سكناه سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

فصل في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية
وهو رسوم واشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة
على ما في النفس فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية وهو صناعة
شريفة اذ الكتابة من خواص الانسان التي يتميز بها عن
الحيوان وايضا فهي تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها
الاعراض الى البلد البعيد فتقضى الحاجات وقد دفعت
مؤنة المباشرة لها ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف
الاولين وما كتبه في علومهم واخبارهم فهي شريفة بجميع
هذه الوجوه والمنافع وخروجها في الانسان من القوة الى
الفعل انما يكون بالتعليم وعلى قدر الاجتماع والعمران
والتناغي (1) في الكمالات والطلب لذلك تكون جودة
الخط في المدينة اذ هو من جملة الصنائع وقد قدمنا ان
هذا شأنها وانها تابعة للعمران ولهذا نجد اكثر البدو
اميين لا يقرؤن ولا يكتبون ومن قرأ منهم او كتب فيكون
خطه قاصرا وقرانه غير نافذة ونجد تعليم الخط في الامصار
الخارج عمرانها عن الحد ابلغ واسهل واحسن طريقا
لاستحكام الصبغة (2) فيها كما يحكى لنا عن مصر لهذا العهد
وان بها معلمين منتصبين لتعليم الخط يلقون على المتعلم
قوانين واحكاما في وضع كل حرف ويزيدون الى ذلك

(1) Man. D. التناهي.

(2) Man. D. الصنعة.

الهباشرة بتعليم وضعه فتعتمد لديه رتبة العلم والحسن في
التعليم وتأتي ملكته على اتم الوجوه وانما اتى هذا من كمال
الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الاعمال وليس الشأن
في تعليم الخط بالاندلس والمغرب كذلك في تعلم كل
حرف بانفراده على قوانين يلقيها المعلم للتعلم وانها يتعلم
بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة ويكون ذلك
من المتعلم ومطالعة المعلم له الى ان يحصل له الاجادة
ويتمكن في بنائه الملكة فيسمى مجيدا (وقد) كان الخط
العربي بالغا مبالغه من الاحكام والاتقان والجودة في دولة
التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف وهو المسمى بالخط
الحميري وانتقل منهم الى الحيرة لما كان بها من دولة
آل المنذر نساء التبابعة في العصبية والمجديين لملك العرب
بارض العراق ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان
عند التبابعة لقصور ما بين الدولتين فكانت الحضارة
وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك ومن الحيرة
لقنه اهل الطائف وقريش فيما ذكر (يقال) ان الذي تعلم
الكتابة من الحيرة هو سفيان بن امية وقيل حرب بن امية
واخذها من اسلم بن سدره وهو قول ممكن واقرب ممن
ذهب الى انهم تعلموها من اياد اهل العراق لقول شاعرهم

قوم لهم ساحة العراق اذا ساروا جميعا والخط والقلم

وهو قول بعيد لان ابادا ولو نزلوا ساحة العراق فلم يزلوا على
 شأنهم من البداوة والخط من الصنائع الحضريّة وانما معنى
 قول الشاعر انهم اقرب الى الخط والعلم من غيرهم من
 العرب لقربهم من ساحة الامصار وضواحيها فالقول بان اهل
 الحجاز انما لقنوها من الحيرة ولقنها اهل الحيرة من التبابعة
 والحمير هو الايق من الاقوال (ورايته) في كتاب التكملة (1)
 لابن الابار عند التعريف بابن فروخ القيرواني الفارسي
 الاندلسي من اصحاب مالك رضى الله عنه واسمه عبد
 الله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن ابيه
 قال قلت لعبد الله بن عباس يا معشر قريش خبروني عن
 هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل ان يبعث
 الله محمدا صلعم تجمعون منه ما اجتمع وتفرون منه ما
 افترق مثل الالف واللام والهم والنون قال نعم قلت وممن
 اخذتموه قال من حرب بن امية قلت وممن اخذه حرب
 قال من عبد الله بن جدعان قلت وممن اخذه عبد الله
 بن جدعان قال من اهل الانبار قلت وممن اخذه اهل
 الانبار قال من طارطرا عليهم من اهل اليمن قلت وممن
 اخذه ذلك الطاري قال من الخالجان بن القسم كانت
 الوحي لهود النبي صلعم وهو الذي يقول

(1) Man. A. المتكلمة.

افى كل عام سنة تحدثونها وراى على غير الطريق يعبر
وللموت خير من حياة تسبنا بها جرهم فيمن يسب وحيير

انتهى ما نقله ابن الابار فى كتاب التكملة (1) وزاد فى
آخرة حدثنى لذلك ابو بكر بن ابى حميرة (2) فى كتابه
عن ابى بجر بن العاصى عن ابى الوليد الوقشى عن ابى
عمر الطلمنكى بن ابى عبد الله بن مفرح ومن خطه نقلته
عن ابى سعيد بن يونس عن محمد بن موسى بن النعمان
عن يحيى بن محمد بن حشيش بن عمر بن ايوب المغافرى
التونسى عن بهلول بن عبيدة الحمى عن عبد الله بن
فروخ انتهى (وكان) لحمير كتابة تسمى المسند حروفها
منفصلة وكانوا يمنعون من تعليمها الا باذنهم ومن حمير
تعلمت مضر الكتابة العربية الا انهم لم يكونوا مجيدين لها
شان الصناع اذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذهب
ولا مائلة الى الاتقان والتنميق لبون ما بين البدو والصناعة
واستغناء البدو عنها فى الاكثر فكانت كتابة العرب
بدوية مثل او قريبة من كتابتهم لهذا العهد او نقول ان
كتابتهم لهذا العهد احسن صناعة لان هولاء اقرب الى
الحضارة ومخالطة الامصار والدول (واما مضر) فكانوا اعرق
فى البدو وابتعد عن الحضار من اهل اليمن والشام ومصر

(1) Man. A. التكملة.

(2) Man. A. جرة.

واهل العراق وكان الخط العربي لاول الاسلام غير بالغ الى
 الغاية من الاحكام والانتقان والاجادة ولا الى التوسط لهكسان
 العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع وانظر ما
 وقع لاجل ذلك في رسم المصحف حيث كتبه الصحابة
 بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير
 من رسومهم ما اقتضته اقيسة رسوم صناعة الخط عند اهلها
 ثم اقتفى التابعون من السلف رسومهم فيها تبركا بها رسمه
 اصحاب رسول الله صلعم وخير الخلق من بعده المتلقون
 لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتضى لهذا العهد خط
 ولى او عالم تبركا ويتبع رسمه خطاء او صوابا واين نسبة
 ذلك من الصحابة وما كتبه فاتبع ذلك واثبت رسما
 وتبه العلماء بالرسم على مواضعه ولا تلتفتن في ذلك الى
 ما يزعمه بعض المغفلين من انهم كانوا محكمين لصناعة الخط
 وان ما يتخيل ومن مخالفة خطوطهم لاصول الرسم ليس
 كما يتخيل بل لكلها وجه ويقولون في مثل زيادة الالف
 في لا اذبحنه انه تنبيه على ان الذبح لم يقع وفي زيادة
 الباء في قوله باييد انه تنبيه على كمال القدرة الربانية
 وامثال ذلك مما لا اصل له الا التحكم المحض وما حملهم على
 ذلك الا اعتقادهم ان في ذلك تنزيها للصحابة عن
 توهم النقص في قلة اجادة الخط وحسبوا ان ذلك الخط

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

كمال فنزّهوهم عن نقصه ونسبوا اليهم الكمال باجادته وطبوا
تعليل ما خالف الاجادة من رسمه وذلك ليس بصحيح
(واعلم) ان الخط ليس بكمال في حقهم اذ الخط من جملة
الصنائع الهندية المعاشية كما رأته فيها من الكمال في الصنائع
اضافى وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في
الدين ولا في الخلال وإنما يعود على اسباب المعاش وبحسب
العمران والتعاون عليه لاجل دلالته على ما في النفوس وقد
كان النبي صلعم امياً وكان ذلك كمالاً في حقه وبالنسبة
الى مقامه وتنزّهه عن الصنائع العملية التي هي اسباب
المعاش والعمران كلها وليست الامية كمالاً في حقنا نحن
اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة الدنيا
شأن الصنائع كلها حتى العلوم الاصطلاحية فان الكمال في
حقه هو تنزّهه جملة بخلافنا (ثم) لما جاء الملك للعرب
وفتحوا الامصار وملكوا الممالك ونزلوا البصرة والكوفة
واحتاجت الدولة الى الكتاب استعملوا الخط وطلبوا صناعته
وتعلّموه وتداولوه فترقت (1) الاجادة فيه واستحكم وبلغ في
الكوفة والبصرة رتبة من الاتقان الا انها كانت دون الغاية
والخط الكوفي معروف الرسم لهذا العهد ثم انتشرت العرب
في الاقطار والممالك وافتتحوا افريقية والانديلس واحتط بنو

(1) Man. B. et D. فترقت.

العباس بغداد وترقت الخطوط فيها الى الغاية لها استبحرت
 في العمران وكانت دار الاسلام ومركز الدولة العربية وخالفت
 اوضاع الخط ببغداد اوضاعه بالكوفة في الميل الى اجادة الرسوم
 وجهال الرونق وحسن الرواء واستحكمت هذه المخالفة في
 الاعصار الى ان رفع رايتها ببغداد على بن مقلة الوزير ثم
 تلاه في ذلك على بن هلال الكاتب الشهير بابن البواب
 ووقف سند تعليلها عليه في الهاية المألثة وما بعدها وبعدت
 رسوم الخط البغدادي واوضاعه عن الكوفة حتى انتهى الى
 الهباينة ثم ازدادت المخالفة بعد تلك العصور بتفنن الجهابذة
 في احكام رسومه واوضاعه حتى انتهت الى المتأخرين مثل
 ياقوت والولي على العجمي ووقف سند تعليم الخط عليهم
 وانتقل ذلك الى مصر وخالفت طريقة العراق بعض
 الشئ ولقنها العجم هنالك فظهرت مخالفة لخط اهل مصر
 او مباينة (وكان) الخط الافريقي المعروف رسمه القديم لهذا
 العهد يقرب من اوضاع الخط المشرقي وتحييز ملك
 الاندلس بالامويين فتميزوا باحوالهم من الحضارة والصنائع
 والخطوط فتميز صنف خطهم الاندلسي كما هو معروف
 الرسم وطما بحر العمران والحضارة في الدول الاسلامية في
 كل قطر وعظم الملك ونفقت اسواق العلوم وانتسخت
 الكتب واجيد كتبها وتخليدها وملئت بها القصور والخزائن

الملوكية بها لا كفاء له وتنافس اهل الاقطار في ذلك
وتناغوا فيه (ثم) لها انحلال نظام الدولة الاسلامية وتناقضت
تناقض ذلك اجمع ودرست معالم بغداد بدروس الخلافة
فانتقل شأنها من الخط والكتاب بل والعلم الى مصر
والقاهرة فلم تزل اسواقه بها نافقة لهذا العهد وللخط بها
معلمون يرسمون للمتعلم الحروف بقوانين في وضعها واشكالها
متعارفة بينهم فلا يلبث المتعلم او يحكم اشكال تلك الحروف
على تلك الاوضاع وقد لقنها حسنا وحذق فيها دربة وكتابا
واخذها قوانين عهلية فتجى احسن ما يكون (واما
اهل الاندلس) فافترقوا في الاقطار عند تلاشي ملك العرب
بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم امم النصرانية
فانتشروا في عدوة المغرب وافريقية من لدن الدولة
المتونية الى هذا العهد وشاركوا اهل العمران بما لديهم
من الصنائع وتعلقوا باذيال الدولة فغلب خطهم على الخط
افريقي وعفا عليه ونسى خط القيروان والمهدية بنسيان
عواندهما وصنائعهما وصارت خطوط اهل افريقية كلها على الرسم
الاندلسي بتونس وما اليها لتوفر اهل الاندلس بها عند الجمالية من
شرق الاندلس وبقي منه رسم ببلاد الجريد الذين لم يخالطوا
كتاب الاندلس ولا تمرسوا بجوارهم اذ انما كانوا يقدرون (1)

(1) Man. C. et D. يفرون.

على دار الملك بتونس فصار خطّ اهل افريقية من
جنس خطوط اهل الاندلس حتى اذا تقلص ظلّ الدولة
الموحدية بعض الشئ وتراجع امر الحضارة والترّف بتراجع
العمران نقص حينئذ حال الخطّ وفسدت رسومه وجهل فيه
وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه
آثار الخطّ الاندلسي تشهد بما كان لهم من ذلك لما
قدمناه من ان الصنائع اذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها (1)
(وحصل) في دولة بنى مرين بعد ذلك بالغرب الاقصى
لون من الخطّ الاندلسي لقرب جوارهم وسقوط من خرج
منهم الى فاس قريبا واستعمالهم اياهم سائر الدولة ونسى عهد
الخطّ فيما بعد عن سدة الملك وداره كان لم يعرف فصارت
الخطوط بافريقية والمغربين مائلة الى الردّة بعيدة عن
الجودة وصارت الكتب ان انتسخت فلا فائدة تحصل
لمتصفحها منها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من
الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة
حتى لا تكاد تقرا الا بعد عسر ووقع فيه ما وقع في سائر
الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله يحكم لا معقب
لحكمه وللاستاذ ابي الحسن على بن هلال الكاتب البغدادي
الشهير بابن البواب قصيدة من بحر البسيط على روى الرء

(1) Man. A. et B. رفعها.

يذكر فيها صناعة الخط وموادها من احسن ما كتب في
ذلك رايت اثباتها في هذا الكتاب من هذا الباب
لينتفع بها من يريد تعلم هذه الصناعة واولها

يا من يريد اجادة التحرير
ان كان عزمك في الكتابة صادقا
اصدد من الاقلام كل مشقفي
واذا عمدت لبريه فتوخه
انظر الى طرفيه فاجعل بريه
واجعل لجلفته قواما عادلا
والشق وسطه ليهبقي بريه
حتى اذا اتقنت ذلك كله
فاصرف لراى القط عزمك كله
لا تطمعن في ان ابوح بسره
لكس جملة ما اقول بانه
والق دواتك بالدخان مدبرا
واصف اليه مغرة قد صولت
حتى اذا خمرت فاعمد الى
فاكبسه بعد القطع بالمعصار كى
ثم اجعل التمثيل دابك صابرا
ابدا به في اللوح منتضيا له
لا تنجس من الردى نخطه
فالامر يصعب ثم يرجع هينا
حتى اذا ادركت ما املتته
فاشكر الهك واتبع رضوانه
وارغب لكفك ان تخط بنانها
فجميع فعل المرء يلقيه غدا

ويروم حسن الخط والتصوير
فارغب الى مولاك في التيسير
صلب يصوغ صناعة التحرير
عند القياس باوسط التقدير
من جانب التدقيق والتخصير
لا يخلو عن التطويل والتقصير
من جانبيه مشاكل التقدير
اتقن طب بالمراد خبير
فالقط فيه جملة التدبير
اتى اصن بسره المستور
ما بين تحريف الى تدوير
بالخمل وبالحصرم المعصور
مع اصفر الزرنبيخ والكافور
الورق النقي الناعم المخبور
ينأى عن التشعيب والتغيير
ما ادرك المامول مثل صبور
عزما تجرده عن التشهير
في اول والتمثيل والتسطير
ولرب سهل جاء بعد عسير
اصحيت رب مسرة وحبور
ان الاله يجيب كل شكور
خييرا تخلفه بدار غرور
عند التقاء كتابة المنشور

(واعلم) ان الخطّ بيان عن القول والكلام كما ان القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني فلا بدّ لكل منهما ان يكون واضح الدلالة قال الله تعالى خلق الانسان علمه البيان وهو يشتهل بيان الادلّة كلها فالخطّ الموجود كماله ان تكون دلالاته واضحة بابانة حروفه المتواضعة واجادة وضعها ورسها كل واحد على حدة متهيّز عن الاخر الا ما اصطاح عليه الكتاب من ايصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض سوى حروف اصطاحوا على قطعها مثل الالف المتقدّمة في الكلمة وكذا الراء والزاي والذال وغيرها بخلاف ما اذا كانت متاخّرة وهكذا الى آخرها ثم ان المتاخّرين من الكتاب اصطاحوا على وصل كلمات بعضها ببعض وحذف حروف معروفة عندهم لا يعرفها الا اهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم وهؤلاء كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة كانهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم لكثرة موارد الكتابة عليهم وشهرة كتابتهم واحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم فان كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي ان يعدلوا عن ذلك الى البيان ما استطاعوه والا كان بهتابة الخطّ الاعجميّ لانها بمنزلة واحدة في عدم التواضع عليه وليس بعذر في هذا القدر الا كتاب الاعمال السلطانيّة في الاموال والجيوش لانهم مطلوبون

بكتمان ذلك عن الناس فانه من الاسرار السلطانية التي
يجب اخفاؤها فيبالغون في رسم اصطلاح خاص بهم ويصير
بمثابة المعنى وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف
بكلمات من اسماء الطيب والفواكه والطيور او الازهار ووضع
اشكال اخرى غير اشكال الحروف المتعارفة يصطلىح عليها
المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة وربها وضع
الكتاب للعثور على ذلك وان لم يضعوه اولا قوانين
بمقائيس استخراجها لذلك بهداركهم يستونها فك المعنى
وللناس في ذلك دواوين مشهورة والله العليم الحكيم

فصل في صناعة الوراق

كانت العناية قديما بالدواوين العلمية والسجلات في
نسخها وتجليدها وتصحيحها بالرواية والضبط وكان سبب
ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد
ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدول وتناقص
ال عمران بعد ان كان منه في الملة الاسلامية بحر زاجر بالعراق
والاندلس اذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدول
ونفاق اسواق ذلك لديها فكثرت التواليف العلمية
والدواوين وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والاعصار
فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانيين

للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر امور الكتب والدواوين
 واختصت بالامصار العظيمة العمران وكانت السجلات اولا
 لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات
 والصكوك في الرقوق الهيأة بالصناعة من الجلد لكثرة
 الرفه وقلة التواليف صدر الهلة كما نذكره وقلة الرسائل
 السلطانية والصكوك مع ذلك فاقترضوا على الكتاب
 في الرق تشريفا للمكتوبات وميلا بها الى الصحة والاتقان
 ثم طما بحر التواليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه
 وضاق الرق عن ذلك فاشار الفضل بن يحيى بصناعة
 الكاغذ وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذة
 الناس من بعده صحفا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت
 الاجادة في صناعته ما شاءت (ثم) وقفت عناية اهل العلوم
 وهم اهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها
 بالرواية المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشأن الاهم من
 التصحيح والضبط فبذلك تسند الاقوال الى قائليها والفتيا
 الى الحاكيم بها المجتهد في طريق استنباطها وما لم
 يكن تصحيح المتن باسنادها الى مدونيتها فلا يصح اسناد
 قول لهم ولا فتيا وهكذا كان شأن اهل العلم وحملته في
 العصور والاحيال والآفاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة
 الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

معرفة صحيح الأحاديث وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتمحضت زبدة ذلك في الأمهات المتلقاة بالقبول عند الأمة وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل ولم يبق ثمرة الرواية والاشتغال بها الا في صحيح تلك الأمهات الحديثية وسواها من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتواليف العلمية واتصال سندها بمولفيتها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس معيدة الطرق واضحة المسالك ولقد تجد الدواوين المنتسخة لذلك العهد في اقطارهم على غاية من الاتقان والصحة ومنها لهذا العهد بايدي الناس في العالم اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك واهل الآفاق يتناقلونها الى الآن ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب واهله لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداءة اهله وصارت الأمهات والدواوين تنتسخ بالخطوط البدوية ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداة الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغلق على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل النادر (وايضا) فقد دخل الخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية عن ائمة المذهب واتما تتلقى من تلك الدواوين

على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما يتصدى اليه بعض
 ائمتهم من التأليف لقلّة بصرهم بصناعته وعدم الصنائع
 الوافية بهقاصده ولم يسبق من هذا الرسم الا اثاره بالاندلس
 خفية بالامحاض وهي على الاضحلال فقد كاد العلم ان ينقطع
 بالكلية من المغرب والله غالب على امره ويبلغنا لهذا
 العهد ان صناعة الرواية قائمة بالمشرق وتصحيح الدواوين
 لمن يرومه بذلك سهل على مبتغيه لنفاق اسواق العلوم
 والصنائع كما نذكره بعد الا ان الخط الذي بقي من الاجادة
 في الاستنساخ هنالك انما هو للعجم وفي خطوطهم واما
 النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب واشد والله غالب
 على امره

فصل في صناعة الغناء

هذه الصناعة هي تالحين الاشعار الموزونة بتقطيع الاصوات
 على نسب منتظمة معروفة توقع على كل صوت منها
 توقيعا عند قطعه فتكون نغمة ثم تولف تلك النغم
 بعضها الى بعض على نسب متعارفة فيلذّ سماعها لاجل
 التناسب وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الاصوات
 وذلك انه تبين في علم الموسيقى ان الاصوات
 تتناسب فيكون صوت نصف صوت وربع اخر وخمس
 اخر وجزء من احد عشر من اخر واختلاف هذه النسب

عند تأديتها الى السمع يخرجها عن البساطة الى التركيب وليس كل تركيب منها ملذوذا عند السمع بل تركيب خاصة هي التي حصرها اهل علم الموسيقى وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه وقد يساوق ذلك التامحين في النغمات الغنائية بتقطيع اصوات اخرى من الجمادات اما بالقرع او النفخ في آلات تتخذ لذلك فتزيدها لذة عند السمع فمنها لهذا العهد بالمغرب اصناف منها المزمارة يستونه الشباب وهي قصبة جوفاء بابخاش في جوانبها معدودة ينفخ فيها فتصوت ويخرج الصوت من جوفها على سداة من تلك الابخاش ويقطع الصوت بوضع الاصابع من اليدين جميعا على تلك الابخاش وضعا متعارفا حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه وتتصل كذلك متناسبة فيلتذ السمع بادراكها للتناسب الذي ذكرناه ومن جنس هذه الآلة آلة الزمر التي تسمى الزلامى وهي شكل القصبة منحوتة الجانبين من الخشب جوفاء من غير تدوير لاجل اتلافها من قطعيتين منفوذة كذلك بابخاش معدودة ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل فينفذ النفخ بواسطتها اليها وتصوت بنغمة حادة ويجرى فيها من تقطيع الاصوات من تلك الابخاش بالاصابع مثل ما يجرى في الشبابة ومن احسن آلات الزمر لهذا العهد البوق وهو بوق من نحاس اجوف في مقدار

الذراع يتسع الى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دور الكف على شكل برى القلم وينفخ فيه بقصبة صغيرة تودي الريح من الفم اليه فيخرج الصوت ثخينا دوتيا وفيه ابخاش ايضا معدودة وتقطع نغمة منها كذلك بالاصابع على التناسب فيكون ملذودا ومنها الآت الاوتار وهي جوفاء كلها اما على شكل قطعة من الكرة كالبربط والرباب او على شكل مربع كالفانون توضع الاوتار على بسائطها مشدودة في راسها الى دساتر جائلة ليتأتى رخواها عند الحاجة اليها بادارتها ثم تفرع الاوتار اما بعود او بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يطلى بالشمع والكنندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في امرارة او بنقله من وتر الى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع الآت الاوتار توقع باصابعها على اطراف الاوتار فيما يقرع او يحك بالوتر فتحدث الاصوات متناسبة ملذودة (وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان او في الاعواد بعضها ببعض على توقيع متناسب يحدث عنه التذاد بالمسموع ولينيين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك ان اللذة كما تقرّر في موضعه هي ادراك الملائم والمحسوس انما تدرك منه كيفية فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت ملذودة واذا كانت منافية له منافرة له كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما ناسبت

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

كيفية حاسة الذوق في مزاجها وكذا الملائم من الملموسات
وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبى البخارى لانه
المدرک واليه تؤديه الحاسة ولهذا كانت الرياحين والازهار
العطريات احسن رائحة واشد ملائمة للروح لغلبة الحرارة
فيها التى هى مزاج الروح القلبى واما المرئيات والمسهوعات
فالملائم فيها تناسب الاوضاع فى اشكالها وكيفياتها فهو
انسب عند النفس واشد ملائمة لها فاذا كان المرئى متناسبا
فى اشكاله وتخاطيطه التى له بحسب مادته بحيث لا يخرج
عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع وذلك
هو معنى الجمال والحسن فى كل مدرک كان ذلك حينئذ
مناسبا للنفس المدركة فتلدّ باذراك ملائمتها (1) ولهذا
نجد العاشقين المستهترين (2) فى المحبة يعبرون عن غاية محبتهم
وعشقهم بامتزاج ارواحهم بروح المحبوب ومعناه من وجه
اخر ان الوجود يشرك بين الموجودات كما يقوله الحكماء
فتودّ ان تمتزج بما شهدت فيه الكمال لتتحد به (ولما) كان
انسب الاشياء الى الانسان واقربها الى مدرک الكمال
فى تناسب موضوعها هو شكله الانسانى فكان ادراكه
للجمال والحسن فى تخاطيطه واصواته من المدارك التى
هى اقرب الى فطرته فيلهج كل انسان بالحسن فى

(1) Man. A. et B. ملائمتها.

(2) Man. A. et B. المستهترين.

الهرى أو المسموع بمقتضى الفطرة والحسن فى المسموع
 أن تكون الاصوات متناسبة لا متنافرة وذلك أن الاصوات
 لها كيفيات من الهمس والجرى والرخاوة والشدة والقلقلة
 والضغط وغير ذلك والتناسب فيها هو الذى يوجب لها
 الحسن فأولا أن لا يخرج من الصوت الى ضدّه دفعة بل
 بتدرىج ثم يرجع كذلك وكذلك الى المثل بل لا بد
 من توسط المغائر بين الصوتين وتامل هذا من استقباح
 اهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة او المتقاربة
 المخارج فانه من بابه وثانيا تناسبها بالاجزاء كما مر اول
 الباب فيخرج من الصوت الى نصفه او ثلثه او جزء من كذا
 منه على حسب ما يكون التنقل مناسبا على ما حصره اهل
 صناعة الموسيقى فاذا كانت الاصوات على تناسب فى
 الكيفيات كما ذكره اهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة
 (ومن) هذا التناسب ما يكون بسيطا ويكون الكثير من
 الناس مطبوعين عليه لا يحتاجون فيه الى تعليم ولا صناعة
 كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص
 وامثال ذلك وتسمى العامة هذه القابلية بالمضمار وكثير من
 القراء بهذه المثابة يقرؤون القرآن فيجيدون فى تلاحين اصواتهم
 كأنها الهزامير فيطربون بحسن مساقمهم وتناسب نغماتهم
 ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب وليس كل الناس

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

يستوى في معرفته ولا كل الطبائع توافق صاحبها في العمل به اذا علم وهذا هو التلحين الذي يتكفل به علم الموسيقى كما نشرحه بعد ذكر العلوم (وقد) انكر مالك رضى الله عنه القراءة بالتلحين واجازها الشافعى رضى الله عنه وليس المراد تلحين الموسيقى الصناعى فانه لا ينبغي ان يختلف في حظه اذ صناعة الغناء مبأنة للقران لان القراءة والاداء يحتاج الى مقدار من الصوت يتعين اداء الحروف به من حيث اشباع الحركات في مواضعها ومقدار المد عند من يطيله او يقصره وامثال ذلك والتلحين ايضا يتعين له مقدار من الصوت لا يتم الا به من اجل التناسب الذى قلناه في حقيقة التلحين فاعتبار احدهما قد يخل بالآخر اذا تعارضا وتقديم التلاوة متعين فرارا من تغيير الرواية المنقولة في القران (1) فلا يمكن اجتماع التلحين والاداء المعتبر في القران بوجه وانها المراد من اختلافهم التلحين البسيط الذى يهتدى اليه صاحب المصنوع بطبعه كما قدمناه فيردد اصواته ترديدا على نسب يدركها العالم بالغناء وغيره هذا هو محل الخلاف والظاهر تنزيه القران عن هذا كما ذهب اليه الامام رحمه الله لان القران هو محل خشوع بذكر الموت وما بعده وليس مقام التذاذ بادراك الحسن من الاصوات وهكذا

(1) Man. A. et B. القراءة.

كانت قراءة الصحابة كما في اخبارهم (فاما) قوله صلعم
لقد اوتى مزمارا من مزامير آل داود فليس المراد به التردد
والتأحين وانها معناه حسن الصوت واداء القراءة والابانة في
مخارج الحروف والنطق بها واذا قد ذكرنا معنى الغناء
(فاعلم) انه يحدث في العمران اذ توفّر وتجاوز حدّ الضرورى
الى الحاجى ثم الى الكمالى وتفتنوا فيه فتحدث هذه
الصناعة لانها لا يستدعيها الا من فرغ عن جميع حاجاته
الضرورية والمهمّة من المعاش والمنزل وغيره فلا يطلبها
الا الفارغون عن سائر احوالهم تفتنوا في مذاهب الملدوذات
(وكان) في سلطان العجم قبل الملة منها بحمر زاخر فى
امصارهم ومدنهم وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به
حتى لقد كان لملوك الفرس اهتمام باهل هذه الصناعة ولهم
مكان من دولتهم وكانوا يحضرون مشاهدتهم ومجامعهم
ويغنون فيها وهذا شأن العجم لهذا العهد في كل افق من
افاقهم ومملكة من ممالكهم (واما العرب) فكان لهم اولافن
الشعر يولفون فيه الكلام اجزاء متساوية على تناسب بينها
فى عدّة حروفها المتحركة والساكنة ويفصلون الكلام فى تلك
الاجزاء تفصيلا يكون كل جزء منها مستقلا بالافادة لا ينعطف
على الاخر ويسمونه البيت فيلائم الطبع بالتجزئة اولا ثم
بتناسب الاجزاء فى المقاطع والمبادئ ثم بتادية المعنى

المقصود وتطبيق الكلام عليه فلهجوا به وامتاز من بين
كلامهم بحظ من الشرف ليس لغيره لاجل اختصاصه بهذا
التناسب وجعلوه ديوانا لاجبارهم وحكمهم وشرفهم ومحكما
لقرائحهم في اصابة المعانى واجادة الاساليب واستمروا
على ذلك وهذا التناسب الذى من اجل الاجزاء
والمتحرك والساكن من الحروف قطرة من بحر من
تناسب الاصوات كما هو معروف فى كتاب الموسيقى
الا انهم لم يشعروا بما سواه لانهم حينئذ لم ينتحلوا علما
ولا عرفوا صناعة وكانت البداوة اغلب محلتهم (ثم) تغنى
الحدادة منهم فى حداء ابلهم والفتيان فى قضاء خلواتهم
فرجعوا الاصوات وترنموا وكانوا يسمون الترنم اذا كان بالشعر غناء
واذا كان بالتهليل او نوع القراءة تغبيرا بالغين المعجمة والباء
الموحدة وعللها ابو اسحق الزجاج بانها تذكر بالغابر وهو
الباقي اى باحوال الآخرة وربما ناسبوا فى غنائهم بين
النعيمات مناسبة كما ذكره ابن رشيق فى آخر كتاب
العهد وغيره وكانوا يسمونه السناد وكان اكثر ما يكون
منهم فى الخفيف الذى يرقص عليه ويهشى بالدق والهزمار
فيطرب ويستخف الحلوم وكانوا يسمون هذا الهزج وهذا البسيط كله
من التلاحين هو من اوائلها ولا يبعد ان يتفطن له الطباع من
غير تعليم شأن البسائط كلها من الصنائع ولم يزل هذا شأن

العرب في بداوتهم وجاهليتهم (فلما) جاء الاسلام واستولوا
على ممالك الدنيا وحازوا سلطان العجم وغلّبوهم عليه
وكانوا من البداوة والغضاضة على الحال التي عرفت لهم مع
غضاضة (1) الدين وشدته في ترك احوال الفراغ وما ليس بنافع
في دين ولا معاش فهجر ذلك شأ ما ولم يكن الملهذوذ
عندهم الا ترجيع القراءة (2) والترنم بالشعر الذي كان ديدنهم
ومذهبهم فلما جاء الترف وغلّب عليهم الرفه بما حصل لهم
من غنائم الامم صاروا الى نضارة العيش ورقة الحاشية
واستحلاء الفراغ (وافترق) المغتّبون من الفرس والروم فوقعوا
الى الحجاز وصاروا موالى للعرب وغنّوا جميعا بالعيدان
والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تاحينهم الاصوات
فاحنوا عليها اشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس
وسائب خاثر مولى عبد الله بن جعفر فسمعوا شعر العرب
ولحنوه واجادوا فيه وطار لهم ذكر ثم اخذ عنهم معبد وطبقته
وابن شريح وانظارة (وما زالت) صناعة الغناء تتدرج الى ان
كملت ايام بنى العباس عند ابراهيم بن المهدي وابراهيم
الموصلى وابنه اسحق وابنه حماد وكان من ذلك في
دولتهم ببغداد ما تبعه الحديث به وبجالس (3) لهذا العهد
وامعنوا في اللهو واللعب واتخذت الآت الرقص في الملبس

(1) Man. D. عصاره. C. عصاره. (2) Man. A. et B. القرآن. (3) Mau. D. بحاسنه.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

والقضبان والاشعار التي يترنم بها عليه وجعل صنفا وحده
واتخذت الآت اخرى للرقص تسمى بالكرج (1) وهي تماثيل
خيل مسرجة من الخشب معلقة باطراف اقبية تلبسها
النسوان ويحاكون بها امتطاء الخيل فيكروون ويفرّون ويتشاقفون
وامثال ذلك من اللعب المعدة للولائم والاعراس وايام
الاعياد ومجالس الفراغ واللهو وكثر ذلك ببغداد وامصار
العراق وانتشر منها فيما سواها (وكان) للموصليين غلام
اسمه زرياب اخذ عنهم الغناء فاجاد فصرفوه الى المغرب
غيره به فالحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل
امير الاندلس فبالغ في تكريمته وركب للقاءه واسنى له
الجوائز والاقطاعات والجراريات واحله من دولته وندمائيه
بمكان فاورث بالاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى
ازمان الطوائف وطما منها باشبيلية بحر زاخر وتناقل منها
بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدو بافريقية والمغرب وانقسم الى
امصارها وبها الآن منها صباية على تراجع عمرانها وتناقص
دولها وهذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع
لانها كمالية في غير وظيفة من الوظائف الا وظيفة الفراغ
والفرح وهي ايضا اول ما ينقطع من العمران عند اختلاله
وتراجعه والله الخلاق

(1) Man. D. الكرج.

فصل في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا وخصوصا
الكتابة والحساب

وقد ذكرنا في الكتاب ان النفس الناطقة للانسان انما
توجد فيه بالقوة وان خروجها من القوة الى الفعل انما هو
بتجدد العلوم والادراكات من المحسوسات اولاً ثم ما
يكتسب بعدها بالقوة النظرية الى ان يصير ادراكها بالفعل
وعقلا محضاً فتكون ذاتاً روحانية وتستكمل حينئذ وجودها
فوجب لذلك ان يكون كل نوع من العلم والنظر يفيدها
عقلاً مزيداً والصنائع ابدأ يحصل عنها وعن ملكتها قانون
علمي مستفاد من تلك الملكة فلماذا كانت الحنكة في
التجربة تفيد عقلاً والملكات الصناعية تفيد عقلاً والحضارة
الكاملة تفيد عقلاً لانها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير
المنزل ومعاشرة ابناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم
ثم القيام بامور الدين واعتبار آدابها وشرائطها وهذه كلها
قوانين تنتظم علومها فتحصل منها زيادة عقل (والكتابة)
من بين الصنائع اكثر افادة (1) لذلك لانها تشتمل على علوم
وانظار بخلاف الصنائع وبيانه ان في الكتابة انتقالاً من
صور الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال
ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في

(1) Man. A. et B. فائدة.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

النفس فهو ينتقل ابدا من دليل الى دليل ما دام ملتبسا
بالكتابة وتتعود النفس ذلك دائما فيحصل لها ملكة
الانتقال من الادلة الى المدلولات وهو معنى النظر العقلي
الذي يكتسب به العلوم المجهولة فتكتسب بذلك ملكة
من التعقل تكون زيادة عقل ويحصل به مزيد فطنة وكيس في
الامور بما تعودوه من ذلك الانتقال وكذلك قال كسرى
في كتابه لما راهم بتلك الفطنة والكيس فقال ديوانه
اي شياطين وجنون قالوا وذلك اصل اشتقاق الديوان
لاهل الكتابة ويلحق بذلك الحساب فان في صناعة
الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق يحتاج فيه
الى استدلال كبير فيبقى متعودا للاستدلال والنظر وهو معنى
العقل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شئا وجعل
لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون

الفصل السادس من الكتاب الاول في العلوم واصنافها
والتعليم وطرقه وما يعرض في ذلك كله من الاحوال
وفيه مقدمة ولواحق

(فالمقدمة) في الفكر الانساني الذي تميز به البشر عن
الحيوانات واهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بابناء

جنسه والنظر في معبوده وما جاءت به الرسل من عنده
فصار جميع الحيوانات في طاعته وملكت قدرته وفضله
به على كثير خلقه

فصل في الفكر الانساني

(اعلم) ان الله سبحانه وتعالى ميز البشر عن سائر الحيوانات
بالفكر الذي جعله مبداء كماله ونهاية فضله على الكائنات
وشرفه وذلك ان الادراك وهو شعور المدرك في ذاته
بما هو خارج عن ذاته هو خاص بالحيوان فقط من بين سائر
الكائنات والموجودات فالحيوانات تشعر بما هو خارج عن
ذاتها بما ركب الله فيها من الحواس الظاهرة (السمع والبصر
والشم والذوق واللمس) ويزيد الانسان من بينها انه يدرك
الخارج عن ذاته بالفكر الذي وراء حسه وذلك بقوى
جعلت له في بطون دماغه ينتزع بها صور المحسوسات
ويجول بذهنه فيها فيجرد منها صورا اخرى والفكر هو
التصرف في تلك الصور وراء الحس وجولان الذهن فيها
بالانتزاع والتركيب وهو معنى الافئدة في قوله تعالى جعل
لكم السمع والابصار والافئدة والافئدة جمع فؤاد وهو هنا الفكر
وهو على مراتب (الاولى) تعقل الامور المرتبة في الخارج
ترتبا طبيعيا او وضعيا ليقصد ايقاعها بقدرته وهذا الفكر اكثر

تصوّرات وهو العقل التمييزيّ الذي يحصل منفعة ومعاشه ويدفع مضارّه (الثانية) الفكر الذي يفيد به الآراء والآداب في معاملة أبناء جنسه وسياستهم واكثرها تصديقات تحصل بالتجربة شأ شأ الى ان تتم الفائدة منها وهذا هو المسوّى بالعقل التجريبيّ (الثالثة) الفكر الذي يفيد العلم او الظنّ بمطلوب وراء الحسّ لا يتعلّق به عمل فهذا هو العقل النظريّ وهو تصوّرات وتصديقات تنتظم انتظاما خاصا على شروط خاصة فيفيد معلوما اخر من جنسها في التصوّر او التصديق ثم ينتظم مع غيره فيفيد علوما اخر كذلك وغاية افادته تصوّر الوجود على ما هو عليه باجناسه وفصوله واسبابه وعلله فيكمل بالفكر بذلك في حقيقته وبصير عقلا محضا ونفسا مدركة وهو معنى الحقيقة الانسانية

فصل في ان عالم الحوادث الفعلية أنّها يتم بالفكر

اعلم ان عالم الكائنات يشتمل على ذوات محضة كالعناصر وآثارها والمكونات الثلاثة عنها التي هي المعدن والنبات والحيوان وهذه كلّها متعلقات القدرة الالهية وعلى افعال صادرة عن الحيوانات واقعة بمقصودها متعلّقة بالقدرة التي جعل الله لها عليها فمنها منتظم مرتّب وهي الافعال البشرية ومنها غير منتظم ولا مرتّب وهي افعال الحيوانات غير البشر

وذلك الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع او
 بالوضع فاذا قصد ايجاد شئ من الاشياء فلاجل الترتيب
 بين الحوادث لا بد من التفطن بسببه او علته او شرطه وهي
 على الجملة مبادئة اذ لا يوجد الا ثانيا عنها ولا يمكن
 ايقاع المتقدم متاخرا ولا المتأخر متقدما وذلك المبدأ قد
 يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد الا متاخرا عنه
 وقد يرتقى ذلك او ينتهي فاذا انتهى الى آخر المبادئ
 في مرتبتين او ثلاث او ازيد وشرع في العمل الذي يوجد
 به ذلك الشئ بدأ بالمبدأ الاخير التي انتهى اليه الفكر
 فكان اول عمله ثم تابع ما بعده الى آخر المسببات التي
 كانت اول فكرته مثلا لو فكر في ايجاد سقف يكتنه انتقل
 بذهنه الى الحائط الذي يدعمه ثم الى الاساس الذي يقف
 عليه الحائط فهو آخر الفكر ثم يبدأ في العمل بالاساس ثم
 بالحائط ثم بالسقف وهو آخر العمل (وهذا) معنى قولهم اول
 العمل آخر الفكرة واول الفكرة آخر العمل فلا يتم فعل الانسان
 في الخارج الا بالفكر في هذه المراتب لتوقف بعضها على
 بعض ثم يشرع في فعلها واول هذا الفكر هو المسبب الاخير
 وهو آخرها في العمل واولها في العمل هو المسبب الاول وهو
 آخرها في الفكر ولاجل العثور على هذا الترتيب يحصل
 الانتظام في الافعال البشرية (واما الافعال) الحيوانية لغير

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل اذ الحيوانات انما تدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لانه لا يكون الا بالفكر ولما كانت الحواس المعبرة في عالم الكائنات هي المنتظمة وغير المنتظمة انما هي تتبع لها اندرجت حينئذ افعال الحيوانات فيها فكانت مسخرة للبشر واستولت افعال البشر على عالم الحوادث بما فيه فكان كله في طاعته ونسخره وهذا معنى الاستخلاف المشار اليه في قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة فهذا الفكر هو الخاصة البشرية التى تميز بها البشر عن غيره من الحيوان وعلى قدر حصول الاسباب والمسببات فى الفكر مرتبة تكون انسانيته فمن الناس من تتوالى له السببية فى مرتبتين او ثلاث ومنهم من لا يتجاوزها ومنهم من ينتهى الى خمس او ست فتكون انسانيته اعلا واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج فان فى اللاعبين من يتصور الثلاث حركات والخميس الذى ترتيبها وضعى ومنهم من يقصر عن ذلك لقصور ذهنه وان كان هذا المثال غير مطابق لان لعب الشطرنج بالملكة ومعرفة الاسباب والمسببات بالطبع لكنه مثال يحتذى به الناظر فى تعقل ما يورد عليه من القواعد والله خلق الانسان وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا

فصل في العقل التجريبي وكيفية حدوده

أنتك تسمع في كتب الحكماء قولهم ان الانسان هو مدني
الطبع يذكرونه في اثبات النبوات وغيرها والنسبة فيه الى المدينة
وهي عندهم كناية عن الاجتماع البشري ومعنى هذا القول
انه لا تمكن حياة المنفرد من البشر ولا يتم وجوده الا مع
ابناء جنسه وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال
وجوده وحياته فهو محتاج الى المعاونة في جميع حاجاته
ابدا بطبعه وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة اولا ثم
المشاركة وما بعدها وربما تفضى المعاملة عند اتحاد الاعراض
الى المنازعة والمشاجرة فتنشأ المنافرة والهولفة والصدافة
والعداوة ويؤل الى الحرب والسلم بين الامم والقبائل وليس
ذلك اى على وجه اتفق كما بين الهمل من الحيوانات
بل للبشر بما جعل الله فيهم من انتظام الافعال وترتيبها
بالفكر كما تقدم جعل منتظما فيهم ويسرهم لايقاعه
على وجوه سياسية وقوانين حكيمية ينكبون فيها عن المفسد
الى المصالح وعن الحسن الى القبائح بعد ان يميزوا القبائح
والمفسدة بما ينشأ عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة
وعوائد معروفة بينهم فيفارقون الهمل من الحيوان وتظهر
عليهم نتيجة الفكر في انتظام الافعال وبعدها عن المفسد

(هذه) المعانى التى يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحس كل البعد ولا يتعمق فيها الناظر بل كلها تدرك بالتجربة وبها يستفاد لانها معانى جزئية تتعلق بالمحسوسات وصدقها وكذبها يظهر قريبا فى الواقع فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذى يسر له منها مقتنصا له بالتجربة بين الواقع فى معاملة ابناء جنسه حتى يتعين له ما يجب وينبغى فعلا وتركها وتحصل فى ملابسة الملكة فى معاملة ابناء جنسه ومن تتبع ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية ولا بد بها تسعه التجربة من الزمن وقد يسهل الله على كثير من البشر تحصيل ذلك فى اقرب من زمن التجربة اذا قلد فيها الآباء والمشيخة والاكابر ولقن عنهم ووعى تعليمهم فيستغنى عن طول المعاناة فى تتبع الوقائع واقتنص هذا المعنى من بينها ومن فقد العلم فى ذلك والتقليد فيه او اعرض عن حسن استماعه واتباعه طال عناؤه فى التأديب بذلك فيجربى فى غير مألوف ويدركها على غير نسبة فتوجد آدابه ومعاملاته سئية الاوضاع بادية الخلل ويفسد حاله فى معاشه بين ابناء جنسه وهذا معنى القول المشهور من لم يودّبه والده آدبه الزمان اى من لم يلقن الآداب فى معاملة البشر من والديه وفى معناهما المشيخة والاكابر

ويتعلم ذلك منهم رجوع الى تعلمه بالطبع من الوقائع
على توالي الايام فيكون الزمان معلّمه وموّدّبّه لضرورة
ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه (وهذا) هو العقل
التجريبيّ وهو يحصل بعد العقل التمييزيّ الذي يقع به
الافعال كما بيّناه وبعد هذين مرتبة العقل النظريّ الذي تكفل
بتفسيره اهل العلوم فلا يحتاج الى تفسيره في هذا الكتاب
والله جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون

فصل في علوم البشر وعلوم الملائكة

انا نشهد في انفسنا بالوجدان الصحيح وجود ثلاثة عوالم
(اولها) عالم الحسّ ونعتبره بمدارك الحسّ الذي شاركنا
فيه الحيوانات بالادراك (ثم) نعتبر الفكر الذي اختصّ به
البشر فنعلم منه وجود النفس الانسانية علما ضروريا بها بين
جنينا من مداركها العلمية التي هي فوق مدارك الحسّ
فتراه عالما اخر فوق عالم الحسّ (ثم) نستدلّ على عالم
ثالث فوقنا بما نجد فينا من آثاره التي تلقى في افئدتنا
كالارادات والوجهات نحو الحركات الفعلية فنعلم ان هناك
فاعلا يبعثنا عليها من عالم فوق عالمنا وهو عالم الارواح
والملائكة وفيه ذوات مدركة لوجود آثارها فينا مع ما
بيننا وبينها من المغايرة وربّها يستدلّ على هذا العالم



PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الاعلى الروحاني وذواته بالروياء وما نجد في النوم ويلقى
الينا فيه من الامور التي نحن في غفلة عنها في اليقظة
وتطابق الواقع في الصحيحة منها فنعلم انها حق ومن
عالم الحق واما اضغاث الاحلام فصور خيالية يخزنها الادراك
في الباطن ويجول فيها الفكر بعد الغيبة عن الحس ولا نجد
على هذا العالم الروحاني برهانا اوضح من هذا فنعلمه
كذلك على الجملة ولا ندرك له تفصيلا (وما يزعمه)
الحكماء الالهيين في تفصيل ذواته وترتيبها المسماة
عندهم بالعقول فليس شيء من ذلك بيقيني لاختلال شرط
البرهان النظري فيه كما هو مقرر في كلامهم في المنطق
لان من شرطه ان تكون قضاياها اولية ذاتية وهذه الذوات
الروحانية مجهولة الذاتيات فلا سبيل للبرهان فيها ولا يبقى
لنا مدرك في تفاصيل هذه العوالم الا ما نقتبسه من الشرعيات
التي يوضحها الايمان ويحكمها واقعد هذه العوالم في مدركنا
عالم البشر لانه وجداني مشهود في مداركنا الجسمانية
والروحانية ويشترك في عالم الحس مع الحيوانات وفي
عالم العقل والارواح مع الهلائكة الذين ذواتهم من جنس
ذواته وهي ذوات مجردة عن الجسمانية والهادة وعقل
صرف يتحد فيه العقل والعقل والمعقول وكأنه ذات حقيقتها
الادراك والعقل فعولهم حاصلة دائما مطابقة بالطبع

لمعلوماتهم لا يقع فيها خلل البتة (وعلم) البشر هو حصول
صورة المعلوم في ذواتهم بعد ان لا تكون حاصلة فهو كله
مكتسب والذات التي يحصل فيها صور المعلومات وهي
النفس مادة هيولانية تلبس صور الوجود بصور المعلومات
الحاصلة فيها شأ شأ حتى تستكمل ويصح وجودها بالموت
في مادتها وصورتها فالمطلوبات فيها مترددة بين النفي
والاثبات دائما بطلب احدهما بالوسط الرابط بين الطرفين
فاذا حصل وصار معلوما افتقر الى بيان المطابقة
وربما اوضحها البرهان الصناعي لكنه من وراء الحجاب وليس
كالعائنة التي في علوم الهلانة وقد ينكشف ذلك الحجاب
فيصير الى المطابقة بالعيان الادراكي فقد تبين ان
البشر جاهل بالطبع للتردد الذي في علمه وعالمه بالكسب
والصناعة لتحصيله المطلوب بفكره بالشروط الصناعية وكشف
الحجاب الذي اشرنا اليه انما هو بالرياضة بالاذكار التي
اقضلها صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وبالتنزه عن
المتناولات المهمة وراسها الصوم وبالوجهة الى الله بجميع
قواه والله علم الانسان ما لم يعلم

فصل في علوم الانبياء عليهم الصلاة والسلام

انا نجد هذا الصنف من البشر تغريبهم حالة الهبة خارجة عن

منازع البشر واحوالهم فتغلب الوجهة الربانية فيهم على البشرية في القوى الادراكية والنزوعية من الشهوة والغضب وسائر الاحوال البدنية فتجدهم متنزهين عن الاحوال البشرية الا في الضرورات منها مقبلين على الاحوال الربانية من العبادة والذكر لله بما تقتضى معرفتهم به مخبرين عنه بما يوحى اليهم في تلك الحالة من هداية الامة على طريقة واحدة وسنن معهود منهم لا يتبدل فيهم كانه جبلّة فطرهم الله عليها وقد تقدّم لنا الكلام في الوحي اول الكتاب في فصل المدركين للغيب وبيّنا هنالك ان الوجود كلّه في عوالمه البسيطة والمركبة على ترتيب طبيعي من اعلاها واسفلها متصلة كلّها اتصالا لا ينخرم وان الذوات التي في آخر كل افق من العوالم مستعدّة لان تنقلب الى الذات التي تجاورها من الاسفل والاعلا استعدادا طبيعيا كما في العناصر الجسمانية البسيطة وكما هو في النخل والكرم من آخر افق النبات مع الحلزون والصدف من افق الحيوان وكما في القرود التي استجمع فيها الكيس والادراك مع الانسان صاحب الفكر والروية وهذا الاستعداد الذي في جانبي كل افق من العوالم هو معنى الاتصال فيها (وفوق) العالم البشري عالم روحاني شهدت لنا به الآثار التي فينا منه بما يعطينا من قوى الادراك

والارادة فذوات ذلك العالم ادراك صرف وتعقل مجص
وهو عالم الملائكة (فوجب) من ذلك كله ان يكون
للنفس الانسانية استعداد للانسلاخ من البشرية الى الملكية
لتصير بالفعل من جنس الملائكة وقتا من الاوقات وفى
لمحة من اللحظات ثم تراجع بشريتها وقد تلقت فى
عالم الملكية ما كلفت بتبليغه الى ابناء جنسها من البشر
وهذا هو معنى الوحي وخطاب الملائكة والانبياء كلهم
مفطورون عليه كانه جبله لهم ويعالجون فى ذلك الانسلاخ
من الشدة والغطيط ما هو معروف عنهم وعلومهم فى تلك
الحالة علم شهادة وعيان لا ياحقه الخطأ والزلل ولا يقع فيه
الغلط والوهم بل المطابقة فيه ذاتية لزوال حجاب الغيب
وحصول الشهادة الواضحة عند مفارقة هذه الحالة الى
البشرية لا يفارق علمهم الوضوح استصحابا له من تلك
الحالة الاولى ولما هم عليه من الذكاء المفضى بهم اليها
يتردد ذلك فيهم دائما الى ان تكمل هداية الامة التى
بعثوا لها كما فى قوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى الى
انما الهكم اله واحد فاستقيبوا اليه واستغفروه فافهم ذلك
وراجع ما قدمناه لك اول الكتاب فى اصناف الهدركين
للغيب يتضح لك شرحه وبيانه فقد بسطنا هنا لك
بسطا شافيا والله الموفق

فصل في ان الانسان جاهل بالذات عالم بالكسب

قد بيّنا اول هذه الفصول ان الانسان من جنس الحيوانات وان الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذي جعل له يوقع به افعاله على انتظام وهو العقل التمييزي او يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من ابناء جنسه وهو العقل التجريبي او يحصل به في تصوّر الموجودات غائبا وشاهدا على ما هي عليه وهو العقل النظري وهذا الفكر انما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ويبدأ من التمييز فهو قبل التمييز خلو من العلم بالجملة معدود من الحيوانات لاحق بمبدأه في التكوين من النطفة والعلقة والمضغة وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحس والافئدة التي هي الفكر قال تعالى في الامتنان علينا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة فهو في الحالة الاولى قبل التمييز هيولا فقط لجهله بجميع المعارف ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بالآتة فكمّل ذاته الانسانية في وجودها وانظر الى قوله تعالى مبدأ الوحي على نبيه اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم اي اكسبه من العلم ما لم يكن حاصله له بعد ان كان علقة ومضغة فقد كشفت

لنا طبيعته وذاته ما هو عليه من الجهل الذائتي والعلم الكسبي وإشارت اليه الآية الكريمة تقرر فيه الامتنان عليه باول مراتب وجوده وهي الانسانية وحالته الفطرية والكسبية في اول التنزيل ومبدأ الوحي وكان الله عليما حكيما

فصل في ان تعليم العلم من جملة الصنائع

وذلك ان الحذق في العلم واليقين فيه والاستيلاء عليه انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من اصوله وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلًا وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي لانا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد مشتركًا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو مبتدئ فيه وبين العامي الذي لم يحصل علما وبين العالم التحريير والملكة انما هي للعالم والشادي في الفنون دون من سواهما فدل على ان هذه الملكة غير الفهم (والملكات) كلها جسمانية وسواء كانت في البدن او في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة فتفتقر الى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم او صناعة يفتقر الى مشاهير المعلمين فيها معتبرا عند اهل كل افق وجيل ويدل ايضا على ان تعليم العلم صناعة اختلاف

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

لاصطلاحات فيه فلكل امام من الائمة المشاهير اصطلاح في
التعليم يختص به شأن الصنائع كلها فدل على ان ذلك
لاصطلاح ليس من العلم اذ لو كان من العلم لكان واحدا
عند جميعهم الا ترى الى علم الكلام كيف تخالف في
تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين وكذا اصول الفقه
وكذا العربية والفقه وكذا كل علم يحتاج (1) الى مطالعته
تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة فدل على انها صناعات
في التعليم والعلم واحد في نفسه واذا تقرر ذلك (فاعلم)
ان سند العلم لهذا العهد قد كاد ان ينقطع عن اهل المغرب
كلهم باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه وما يحدث عن
ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما سر وذلك ان
القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والاندلس واستبحر
عمرانهما وكان فيهما للعلوم والصنائع اسواق نافقة وبحور
زاخرة ورسخ فيهما التعليم لامتداد عصورهما وما كان فيهما
من الحضارة فلما خربتا انقطع التعليم عن المغرب الا قليلا
كان في اول دولة الموحدين بهراكش مستفاد منهما ولم
ترسخ الحضارة بهراكش لبداءة الدولة الموحدية في اولها
وقرب انقراضها بمبدئها فلم تتصل احوال الحضارة فيها
الا في الاقل وبعد انقراض الدولة بهراكش ارتحل الى

(1) يتوجه. Man. C. et D.

المشرق من افريقية القاضي ابو القاسم بن زيتون لعهد
اواسط الهية السابعة فادرك تلميذ الامام ابن الخطيب
واخذ عنهم ولقن تعليمهم وحذق في العقليات والنقلات
ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن وجاء على اثره
من المشرق ابو عبد الله ابن شعيب الدكالي كان ارتحل
اليه من المغرب فاخذ عنه مشيخة مصر ورجع الى تونس
واستقر بها وكان تعليمه مفيدا فاخذ عنهما اهل تونس واتصل
سند تعليمهما في تلميذهما جيلا بعد جيل حتى انتهى الى
القاضي محمد بن عبد السلام شارح ابن الحاجب وتلميذه
وانتقل من تونس الى تلمسان في (1) ابن الامام وتلميذه فانه
قرأ مع ابن عبد السلام على مشيخة واحدة وفي مجالس باعيانها
وتلميذ ابن عبد السلام بتونس وابن الامام بتلمسان لهذا
العهد الا انهم من القلة بحيث يخشى انقطاع سندهم (ثم)
ارتحل من زاوية في آخر الهية السابعة ابو علي ناصر الدين
المشد الى المشرق وادرك تلميذ ابي عمرو ابن الحاجب
واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرأ مع شهاب الدين القرافي
في (2) مجالس واحدة وحذق في العقليات والنقلات ورجع
الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل
سند تعليمه في طلبتها وربها انتقل الى تلمسان عمران

(1) Man. C. فراء D. في manque.

(2) Man. C. et D. omettent في.

المشدد الى تلميذه واوطنها وبث طريقته فيها وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل او اقل من القليل وبقيت فلس وسائر امصار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ولم يتصل سند التعليم فيهم فعسر عليهم حصول الملكة والحدق في العلوم (وايسر) طرق هذا الملكة قوة اللسان بالمحاورة والهناءظرة في المسائل العلمية فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرامها فتجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوفا لا ينطقون ولا يفاوضون وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة ولا يحصلون في طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من ترى منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة في علمه ان فاوض او ناظر او علم وما اتاهم القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده والا فحفظهم ابلغ من حفظ من سواهم لشدة عنايتهم به ووطنهم انه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدّة المعيّنة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ستة عشر سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدّة بالمدارس على المتعارف هي اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية او اليأس من تحصيلها فطال امدها بالمغرب

لهذه العصور لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة
لا ممتا سوى ذلك واما اهل الاندلس فذهب رسم التعليم
من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين
بها منذ مئتين من السنين ولم يبق من رسم العلم عندهم
الا فن العربية والادب اقتصروا عليه وانحفظ سند تعليمها
بينهم فانحفظ بحفظه (واما) الفقه عندهم فرسم خلو واثربعد
عين (واما) العقلية فلا اثر ولا عين وما ذاك الا لانقطاع
سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو على عامتها
الا قليلا بسيف البحر شغلهم بمعاشهم اكثر من شغلهم بما
بعدها والله غالب على امره (واما المشرق) فلم ينقطع سند
التعليم فيه بل اسواقه نافقة وبحوره زاخرة لاتصال العمران
الموفور واتصال السند فيه وان كانت الامصار العظيمة التي
كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة
الا ان الله قد ادال منها بامصار اعظم من تلك وانتقل
العلم منها الى عراق العجم بخراسان وما وراء النهر من
المشرق ثم الى القاهرة وما اليها من المغرب فلم تنزل
موفورة وعمرانها متصلا وسند التعليم بها قائما (فاهل) المشرق
على الجملة ارسى في صناعة تعليم العلم بل وفي سائر
الصنائع حتى انه ليظن كثير من رحالة اهل المغرب الى
المشرق في طلب العلم ان عقولهم على الجملة اكمل من

عقول اهل المغرب وان نفوسهم الناطقة اكمل بفطرتها من نفوس اهل المغرب ويعتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة (1) الانسانية لها يرون من كيسهم في العلوم والصنائع وليس كذلك ولا بين قطر (2) المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي تفاوت في الحقيقة الواحدة اللهم الا (3) الاقاليم المنحرفة مثل الاول والسابع فان الامزجة فيها منحرفة والنفوس على نسبتها كما مر وانما الذي فضل به اهل المشرق اهل المغرب فهو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة من العقل المزيد كما تقدم في الصنائع (ونزيدة) الآن شرحا وتحقيقا وذلك ان الحضرة لهم آداب في احوالهم من المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذلك سائر عاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم فلهم في ذلك آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون (4) به من اخذ وترك حتى كانت حدود لا تتعدى وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الاخر عن الاول منهم ولا شك ان كل صناعة مترتبة فيرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا مزيدا تستعد به لقبول صناعة اخرى وينتهي به العقل لسرعة الادراك للمعارف (ولقد) يبلغنا في تعليم الصنائع عن اهل

(1) Man. A. et B. الحقيقة.

(2) Man. D. فطر.

(3) Man. D. ajoute ان.

(4) Man. D. يتكسبون.

مصر غايات لا تدرك مثل أنهم يعلمون الحجر الانسيّة
 والحيوانات العجم من الهاشي والطائر مفردات من الكلام
 والافعال يستغرب ندورها ويعجز اهل المغرب عن فهمها فضلا
 عن تعليمها وحسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر
 الاحوال العادية تزيد الانسان ذكاء في عقله واضاءة في فكره
 بكثرة الملكات الحاصلة للنفس اذ قدّمنا ان النفس انها تنشأ
 بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات فيزدادون بذلك
 كيسا لها يرجع الى النفس من الآثار العلميّة فيظنه العاوي
 تفاوتاً في الحقيقة الانسانيّة وليس كذلك الا ترى الى
 الحضر مع اهل البدو كيف تجد الحضري متحلّياً بالذكاء
 ممثلاً من الكيس حتى ان البدوي ليظنه انه قد فاته في
 حقيقة انسانيته وعقله وليس كذلك وما ذاك الا لاجادته
 من ملكات الصنائع والآداب في العوائد والاحوال الحضريّة
 ما لا يعرفه البدوي فلها امتلاء الحضري من الصنائع
 وملكاتها وحسن تعليمها ظن من قصر عن تلك الملكات
 انها لكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها
 وجبليتها عن فطرته وليس كذلك فاتا نجد في اهل البدو
 من هو في اعلا رتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته وانها
 الذي ظهر على اهل الحضر من ذلك فهو رونق الصنائع
 والتعليم فان لهما آثارا ترجع الى النفس كما قدّمناه وكذا

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

اهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة
واعلا قدما وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة لها قدمناه
في الفصل قبل هذا ظن المغفلون في بادي الرأي انه
لكمال الانسانية اختصوا به عن اهل المغرب وليس ذلك
بصحيح فتفهه والله يزيد في الخلق ما يشاء

فصل في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة
والسبب في ذلك ان تعليم العلم كما قلناه من جملة
الصنائع وقد كنا قدمنا ان الصنائع انما تكثر في الامصار
وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة والحضارة والترّف تكون
نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لانه امر زائد على المعاش
فمتى فضلت اعمال اهل العمران عن معاشهم انصرفت
الى ما وراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي
العلوم والصنائع ومن تشوّف بفطرته الى العلم ممن نشأ في
القرى والامصار غير المتهدنة فلا يجد فيها التعليم الذي هو
الصناعي لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه ولا بدّ
له من الرحلة في طلبه في الامصار المستبحرة شأن الصنائع
في اهل البدو واعتبر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان
والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام واستوت فيها
الحضارة كيف زحرت فيها بحار العلوم وتفتنوا في

اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين ولها تناقص عمرانها وابدع سكانها انطوى ذلك البساط جهلة بها عليه وفقد العلم بها والتعليم وانتقل الى غيرها من امصار الاسلام (ونحن) لهذا العهد نرى ان العلم والتعليم انما هو بالقاهرة من بلاد مصر لما ان عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف من السنين فاستحكمت فيها الصنائع وتفتنت ومن جعلتها تعليم العلم (واكد) ذلك فيها وحفظه ما وقع لهذه العصور بها منذ مائتين من السنين في دولة الترك من ايام صلاح الدين بن ايوب وهلم جرا وذلك ان امراء الترك في دولتهم يخشون عادية سلطانهم على من يتخلفونه من ذريتهم لما له عليهم من الرق او الولاء ولما يخشى من معاتب الهلك ونكباته فاستكشروا من بناء المدارس والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف الهللة يجعلون فيها شركا لولدهم ينظر عليها او نصيب فيها مع ما فيهم غالبا من الجنوح الى الخير والصلاح والتماس الاجور في المقاصد والافعال فكثرت الاوقاف لذلك وعظمت الغلات والفوائد وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة جراتهم منها وارتحل اليها الناس في طلب العلم من العراق والمغرب ونفقت اسواو العلوم وزخرت بحارها والله يخلق ما يشاء

فصل في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعلم ان العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الامصار تحصيلها وتعليلها هي على صنفين صنف طبيعي للانسان يهتدى اليه بفكره وصنف نقلّي ياخذة عن وضعه والاول هي العلوم الحكيمية الفلسفية وهي التي يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ويهتدى بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يقفه نظره ويبحثه على الصواب من الخطاء فيها من حيث هو انسان ذو فكر والثاني هو العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة الى الخبر عن الوضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحاق الفروع من مسائلها بالاصول لان الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه فتحتاج الى الاحاق بوجه قياسي الا ان هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الاصل وهو نقلّي فرجع هذا القياس الى النقل لتفرعه عنه (واصل) هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيوننا للاستفادة منها ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل

القران واصناف هذه العلوم النقلية كثيرة لان المكلف يجب عليه ان يعلم احكام الله المفروضة عليه وعلى ابناء جنسه وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص او الاجماع او بالاحاق فلا بد من النظر في الكتاب ببيان الفاظه اولا وهذا هو علم التفسير ثم باسناد نقله وروايته الى النبي صلعم الذي جاء به من عند الله واختلاف روايات القراء في قراءته وهذا هو علم القراءات (ثم) باسناد السنة الى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة احوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق باخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك وهذه هي علوم الحديث (ثم) لا بد في استنباط هذه الاحكام من اصولها من وجه قانوني يفيدنا العلم بكيفية هذا الاستنباط وهذا هو علم اصول الفقه وبعد هذه تحصل الثمرة بمعرفة احكام الله في افعال المكلفين وهذا هو الفقه (ثم) ان التكاليف منها بدني ومنها قلبي وهو المختص بالايمان وما يجب ان يعتقد مما لا يعتقد وهذه هي العقائد الايمانية في الذات والصفات وامور الحشر والنعيم والعذاب والقدر والحجاج عن هذه بالادلة العقلية هو علم الكلام (ثم) النظر في القران والحديث لا بد ان تتقدمه العلوم اللسانية لانه متوقف عليها وهي اصناف فمنها علم (اللغة) وعلم (النحو) وعلم (البيان) وعلم (الادب) حسبما نتكلم عليها

يعلم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun

كلها وهذه العلوم النقلية كلها مختصة بالملة الاسلامية واهلها
وان كانت كل ملة على الجملة لا بدّ فيها من مثل ذلك
فهي مشاركة لها في الجنس البعيد من حيث انها العلوم
الشرعية (1) المنزلة من عند الله تعالى على صاحب الشريعة
المبلغ لها واما على الخصوص فمباينة لجميع الملل لانها
ناسخة لها وكل ما قبلها من علوم الملل فمهمجورة والنظر
فيها محظور فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة
غير القران وقال صلعم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهناء والهكم
واحد وراى صلعم في يد عمر رضى الله عنه ورقة من
التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ثم قال الم
اتكم بها بيضاء نقيّة والله لو كان موسى حيا ما وسعه
الا اتباعي (ثم) ان هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت
اسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وانتهت فيها
مدارك الناظرين الى التي لا فوقها وهذبت الاصطلاحات
وترتبت (2) الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن
والتنسيق وكان لكل فن رجل يرجع اليهم فيه واوضاع يستفاد
منها التعليم واختص المشرق من ذلك والمغرب بما هو
مشهور منها حسبما نذكره الآن عند تعديد هذه الفنون وقد

(1) Man. A. et B. زينت. D. رتبت.

(2) Man. D. et D. علوم الشريعة.

كسدت لهذا العهد اسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران
فيه وانقطاع سند التعليم كما قدّمناه في الفصل قبله وما ادرى
ما فعل الله بالمشرق والظنّ به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في
العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكماليّة لكثرة العمران فيه
والحضارة ووجود الاعانة لطالب العلم بالجرّاية من الاوقاف
التي اتسعت بها ارزاقها والله مقدر الليل والنهار

علوم القرآن من التفسير والقراءات

القران هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتي
المصحف وهو متواتر بين الامة الا ان الصحابة رووه عن
رسول الله صلعم على طرق مختلفة في بعض الفاظه
وكيفيات الحروف في ادائها وتنوّل ذلك واشتهر الى
ان استقرت منها سبع طرق معيّنة تواتر (1) نقلها ايضا بادائها
واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها من الجسم
الغفير فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة وربما
زيد بعد ذلك قراءات اخر لحقت بالسبع الا انها عند ائمة
القراءة لا تقوى قوتها في النقل وهذه القراءات السبع
معروفة في كتبها وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها
لانها عندهم كيفيات للاداء وهو غير منضبط وليس ذلك

(1) تنائر. Man. C.

عندهم بقادح في تواتر القرآن وإبائه الأكثر وقالوا بتواترها
وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها كالمدّ والتسهيل (1) لعدم
الوقوف على كَيْفِيَّتِهِ بالسمع وهو الصحيح ولم يزل
القرء يتداولون هذه القراءات وروايتها إلى أن كتبت العلوم
ودوّنت فكتبت فيها (2) كتب من العلوم وصارت صناعة
مخصوصة وعلماء منفردا وتناقلها الناس بالمشرق ولاندلس
في جيل بعد جيل إلى أن ملك بشرق لاندلس مجاهد
من موالى العامريين وكان معنيا بهذا الفن من بين فنون
القرآن لما أخذ به مولاة المنصور بن أبي عامر واجتهد
في تعليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بحضرته
فكان سهمه في ذلك وافر واختص مجاهد بعد ذلك
بإمارة دانية والجزائر الشرقية فنفت بها سوق القراءة بما كان هو
من أئمتها وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموما وبالقراءة
خصوصا فظهر لعهدده أبو عمرو الداني وبلغ العناية فيها ووقفت
عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أسانيدها وتعددت تواليفه فيها
وعوّل الناس عليها وعدلوا عن غيره واعتهدوا من بينها كتاب
التيسير له ثم ظهر بعد ذلك فيما يليه من العصور والأجيال
أبو القاسم ابن فيرة من أهل شاطبة فعمد إلى تهذيب ما
دونه أبو عمرو وتلخيصه فنظم ذلك كله في قصيدة لغز

(1) Man. C. التسهيل.

(2) Man. C. et D. فيها.

فيها أسماء القراء بحروف البجد على ترتيب احكمه ليتيسر
عليه ما قصد من الاختصار وليكون اسهل للحفظ لاجل
نظها فاستوعب فيها الفن استيعابا حسنا وعنى الناس
بحفظها وتلقينها للولد (1) المتعلمين وجرى العمل على ذلك
في امصار المغرب والاندلس وربما اضيف الى فن القراءات
فن الرسم ايضا وهي اوضاع حروف القران في المصحف
ورسومه الخطية لان فيه حروفا كثيرة وقع رسمها على غير
المعروف من قياس الخط كزيادة الياء في باييد (2) وزيادة
الالف في لا اذبحنه ولا اوضعوا والواو في جزاؤ الظالمين
وحذف الالف في مواضع دون اخرى وما رسم فيه من
التاءات ممدودا والاصل فيه مربوط على شكل الهاء وغير
ذلك وقد مرّ تعليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في
الخط فلما جاءت هذه مخالفة لاطواع الخط وقانونه احتج
الى حصرها فكتب فيها الناس ايضا عند كتبهم في العلوم
وانتهت بالمغرب الى بنى عمرو الداني المذكور فكتب
فيها كتبنا من اشهرها كتاب المقنع واخذ به الناس وعولوا
عليه ونظمه ابو القاسم الشاطبي في قصيدته الشهيرة على
روى الراء وولع الناس بحفظها (ثم) كثر الخلاف في الرسم
في كلمات وحروف اخرى ذكرها ابو داود سليمان بن

(1) Man. D. الولدان.

(2) Man. B. باييد. C. نايد.

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

بجراح من موالي مجاهد في كتبه وهو تلميذ ابي عمرو
الداني المشهور بحمل علومه ورواية كتبه (ثم) نقل بعده
خلاف اخر فنظم الخراز من المتأخرين بالهجر ارجوزة
اخرى زاد فيها على المقنع خلافا كثيرا وعزاه لناقله واشتهرت
بالهجر واقتصر الناس على حفظها وهجروا بها كتب ابي
داوود وابي عمرو والشاطبي في الرسم

واما التفسير

فاعلم ان القران نزل بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم
وكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه وكان
ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض
الدينية بحسب الوقائع ومنها ما هو في العقائد الايمانية
ومنها ما هو في احكام الجوارح ومنها ما يتقدم ومنها ما
يتأخر ويكون ناسخا له وكان النبي صلعم هو المبين لذلك
كما قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم فكان النبي
صلعم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه
اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال
منها منقولاً عنه كما علم من قوله اذا جاء نصر الله والفتح
انها نعى النبي صلعم وامثال ذلك عن الصحابة رضوان
الله عليهم وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل عنهم

ولم يزل ذلك متناقلا بين الصدر الاول والسلف حتى
 صارت المعارف علوما ودوتت الكتب فكتب الكثير
 من ذلك ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين
 وانتهى ذلك الى الطبرى والواقدى والثعالبي وامثالهم
 من المفسرين فكتبوا فيه ما شاء الله ان يكتبوه من الآثار ثم
 صارت علوم اللسان صناعية (1) من الكلام فى موضوعات
 اللغة واحكام العرب والبلاغة فى التراكيب فوضعت الدواوين
 فى ذلك بعد ان كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى
 نقل ولا كتاب فتنوسى ذلك وصارت تتلقى من
 كتب اهل اللسان فاحتيج الى ذلك فى تفسير القران
 لانه بلسان العرب وعلى منهاج بلاغتهم وصار التفسير على
 صنفين تفسير نقلى مستند الى الآثار المنقولة عن السلف
 وهى معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول ومقاصد الآى
 وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين وقد
 جمع المتقدمون فى ذلك واوعوا الا ان كتبهم ومنقولاتهم
 تشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود والسبب فى
 ذلك ان العرب لم يكونوا اهل كتاب ولا علم
 وانما غلب عليهم البداوة والامية فاذا تشوفوا الى معرفة
 شئ مما تشوف اليه النفوس الانسانية فى اسباب

(1) Man. D. صناعة.

المكونات وبدء الخليقة واسرار الوجود فانما يسألون عنه
اهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه (1) منهم وهم اهل التوراة
من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى واهل التوراة الذين
بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك الا ما
تعرفه العامة من اهل الكتاب ومعظمهم حمير الذين اخذوا
بدين اليهودية فلما اسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق
له بالاحكام الشرعية التي يحتاطون لها مثل اخبار بدء
الخليقة وما يرجع الى الحدثان والملاحم وامثال ذلك
وهؤلاء مثل كعب الاحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام
وامثالهم فامتلاءت التفاسير من النقولات عنهم في امثال
هذه الاغراض اخبارا موقوفة عليهم وليست مما يرجع الى الاحكام
فيتحرى فيها الصحة التي يجب بها العمل وتساهل
المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه
النقولات واصلها كما قلناه عن اهل التوراة الذين يسكنون
البادية ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك
الا انهم بعد صيتهم وعظمت اقدارهم بما كانوا عليه من
المقامات في الدين والملة فتلقيت بالقبول من يومئذ فلما
رجع الناس الى التحقيق والتمحيص وجاء ابو محمد بن عطية
من المتأخرين بالمغرب فانحص تلك التفاسير كلها وتحرى

(1) يستقبلونه.

ما هو اقرب الى الصحة منها ووضع ذلك في كتاب
متداول بين اهل المغرب ولاندلس حسن المنحى (وتبعه)
القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب
اخر مشهور بالمشرق (والصنف الاخر من التفسير) وهو ما يرجع
الى اللسان من معرفة اللغة والبلاغة في تأدية المعنى بحسن
المقاصد والاساليب وهذا الصنف من التفسير قل ان ينفرد عن
الاول اذ الاول هو المقصود بالذات وانما جاء هذا بعد
ان صار اللسان وعلومه صناعات نعم يكون في بعض
التفسير غالبا (ومن) احسن ما اشتمل عليه هذا الفن من
التفسير كتاب الكشاف للزمخشري من اهل خوارزم العراق
الا ان مؤلفه من اهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج
على مذاهبهم الفاسدة حيث تعرض له في آي القران من
طرق البلاغة فصار بذلك للمحققين من اهل السنة
انحراف عنه وتحذير الجمهور من مكانه مع اقرارهم برسوخ
قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة واذا كان الناظر فيه واقفا
على المذاهب السنيّة محسنا (1) للحجاج عنها فلا جرم انه
مأمون من غوائله فليغتنم مطالعته لغرابة فنونه في اللسان
(ولقد) وصل اليها في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين
وهو شرف الدين الطيبي من اهل توريز من عراق العجم

(1) Man. D. مجتنباً.

شرح فيه كتاب الزمخشري هذا وتتبع الفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال وادلتها بزييفها ويبين ان البلاغة انما تقع في الآية على ما يراه اهل السنة لا على مذهب المعتزلة فاحسن في ذلك ما شاء مع امتناعه (1) في سائر فنون البلاغة وفوق كل ذي علم عليم

علوم الحديث

واما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة فان منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لظفا من الله تعالى بالعباد وتخفيفا عنهم باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها (ومعرفة) الناسخ والمنسوخ وان كان عامًا للقران والحديث الا ان الذي في القران منه اندرج في تفاسيره وبقي ما كان خاصًا بالحديث راجعا الى علومه فاذا تعارض الخبران بالنفي والاثبات وتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل وعلم تقدم احدهما تعين ان المتأخر ناسخ وهو من اهم علوم الحديث واصعبها قال الزهري اعيا الفقهاء واعجزهم ان يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلعم من منسوخه وكان للشافعي رضي الله عنه فيه قدم راسخة (ومن) علوم

(1) Man. A. et B. امتناعه.

الحديث (1) معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحدثين
لمعرفة الاسانيد والرواة واسمائهم وكيفية اخذ بعضهم عن
بعض واحوالهم وطبقاتهم واختلاف اصطلاحاتهم وتحصيل
ذلك ان الاجماع واقع على وجوب العمل بالخبر الثابت
عن رسول الله صلعم وذلك بشرط ان يغلب على الظن

(1) Les deux manuscrits C. et D. offrent ici une rédaction toute différente. On y lit :

من علوم الحديث النظر في الاسانيد ومعرفة ما يجب العمل به من الاحاديث
يوقوعه على السند الكامل الشروط لان العمل انما يجب بما يغلب على النظر صدقه
من اخبار رسول الله صلعم فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن وهو بمعرفة
رواة الحديث بالعدالة والضبط وانما يثبت ذلك بالنقل عن اعلام الدين بتعديلهم
وبراءتهم من الجرح والغفلة ويكون لنا ذلك دليلا على القبول او الترك وكذلك
مراتب هولاء النقلة من الصحابة والتابعين وتفاوتهم في ذلك وتمييزهم فيه واحدا
واحدا وكذلك الاسانيد تتفاوت بائصالها وانقطاعها بان يكون الراوى لم يلق
للراوى الذى نقل عنه وبسلامتها من العلل الموهنة لها وينتهى بالتفاوت الى طريقين
يحكم بقبول الاصلى ورد الاسفل ويختلف في المتوسط بحسب المنقول عن ائمة الشأن
ولهم في ذلك الفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة مثل الصحيح
والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك من
القابض المتداولة بينهم ويؤبوا على كل واحد منها ونقلوا ما فيها من الخلاف لائمة
الشأن او الوفاق ثم النظر في كيفية اخذ الرواة بعضهم عن بعض بقراءة او كتابة او
مناولة او اجازة وتفاوت رتبها وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد ثم
اتبعوا ذلك في الفاظ تقع في متن الحديث من غريب او مشكل او تصحيف او
مفتروق منها ومختلف وما يناسب ذلك هذا معظم ما ينظر فيه اهل الحديث وغالبه
وكانت احوال نقلة الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفة كل عند
اهل بلده فممنهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراق ومنهم بالشام ومصر
والجميع معروفون ومشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل الحجاز في اعصارهم في
الاسانيد اعلا ممن سواهم واثبتن في الصحة لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة
والضبط وتجاوهم عن قبول المجهول الحال في ذلك

صدقه فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل
 ذلك الظن وذلك بالنظر في اسانيد الحديث بمعرفة
 رواته بالعدالة والصبط والاتقان والبراءة من السهو والغفلة
 بوصف عدول الامة لهم بذلك (ثم) تفاوت مراتبهم فيه ثم
 كيفية رواية بعضهم عن بعض بسماع الراوى من الشيخ
 او قراءته عليه او سماعه تقرأ عليه وكتابة الشيخ له او مناولته
 او اجارته في الصحة والقبول منقول عنهم واعلا مراتب
 المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن وادون مراتبها الضعيف
 ويشتمل على المرسل والمنقطع والمعضل والهعلل والشاذ
 والغريب والمنكر فمنها ما اختلفوا في رده ومنها ما اجتمعوا
 عليه وذلك شأنهم في الصحيح فمنه ما اجتمعوا على
 قبوله وصحته ومنها ما اختلفوا فيه وبينهم في تفسير هذه
 الالقباب اختلاف كثير (ثم) اتبعوا ذلك بالكلام في الفاظ
 تقع في متون الحديث من غريب او مشكل او تصحيف
 او مفترق ووضعوا لهذه الفصول كلها قانونا كفيلا ببيان
 تلك المراتب والالقباب وسلامة الطرق عن دخول النقص
 فيها (واول) من وضع في هذا القانون من فحول
 ائمة الحديث ابو عبد الله الحاكم وهو الذي هذبها وظهر
 محاسنه وتواليفه فيه مشهورة (ثم) كتب ائمتهم فيه من بعده
 واشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب ابى عمرو بن الصلاح

كان في أوائل الهاية السابعة وتلاه محيي الدين النووي
 بمثل ذلك والقرن شريف في معزاه لأنه معرفة ما يحفظ به
 السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى يتعين قبولها او
 ردها (واعلم) ان رواية السنة من الصحابة والتابعين معروفون
 في امصار الاسلام منهم بالحجاز وبالكوفة والبصرة ثم بالشام ومصر
 والجميع معروفون ومشهورون في اعصارهم وكانت طريقة اهل
 الحجاز في الاسانيد اعلا من سواهم وامتن في الصحة لاشتدادهم
 في شروط النقل من العدالة والضبط بتجافهم عن قبول المستورين
 المجهولة احوالهم وسيد الطريقة الحجازية بعد السلف الامام
 مالك عالم المدينة ثم اصحابه مثل الامام ابي عبد الله
 محمد ابن ادريس الشافعي رضى الله عنه وابن وهب وابن
 بكير والقعنبى ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الامام احمد بن
 حنبل في اخرين من امثالهم (وكان) علم الشريعة في
 مبداء الامر نقلا صرفا لا نظرا ولا رايًا ولا تعمقا في القياس
 وشمرها السلف وتحرروا الصحيح حتى اكملوها (وكتب)
 مالك رحمه الله كتاب الموطأ على طريقة الحجازيين اودعه
 اصول الاحكام من الصحيح المتفق عليه ورتبه على ابواب
 الفقه (ثم) عنى الحفاظ بمعرفة طرق الاحاديث واسانيدھا
 المختلفة الحجازية والعراقية وغيرها وربما يقع اسناد الحديث
 من طرق متعددة وعن رواية مختلفين وقد يتحد في بعض

الاحاديث ويتعدّد ويتكرّر الحديث في ابواب الفقه باختلاف
 المعاني التي اشتهل عليها (وجاء) مجد بن اسعيل البخاري
 امام المحدثين في عصره فوسع نطاق الرواية وخرج احاديث
 السنة على ابوابها في مسنده الصحيح وجمع طرق
 الحجازيين والعراقيين والشاميين واعتمد منها ما
 اجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه وكرّر الاحاديث يسوقها في
 كل باب بمعنى ذلك الباب الذي تضمنه الحديث فتكرّرت
 لذلك احاديثه في الابواب باختلاف معانيها كما اشرنا
 اليه فاشتمل كتابه على سبعة آلاف حديث ومايتين
 تكرّرت منها ثلاثة آلاف وفرق الطرق والاسانيد عليها
 مختلفة في كل باب (ثم) جاء الامام مسلم ابن الحجاج القشيري
 رحمه الله فالف مسنده الصحيح اتبع فيه البخاري في
 نقل المجمع على صحته وحذف المتكرّر منها وجمع الطرق
 والاسانيد فبوّبه على ابواب الفقه وتراجمه ومع ذلك فلم
 يستوعب الصحيح كله واستدرك الناس عليهما بما اغفلا عن
 شروطهما (ثم) كتب ابو داود السجستاني وابو عيسى
 الترمذي وابو عبد الرحمن النسوي في السنن باوسع من
 الصحيح وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل اما من الرتبة
 العالية في الاسناد وهو الصحيح كما هو معروف واما من الذي
 دونه كالحسن وغيره ليكون ذلك اماما للسنة والعمل

بها وهذه هي المسانيد المعتمدة (1) في الهلة وهي اتمها كتب الحديث في السنة (2) (ولحق) بهذه الخمسة مسانيد اخرى كهسند ابي داود الطيالسي والبزار وعبد بن حميد والدارمي وابو يعلى الهوصلي والامام احمد قاصدين فيها المسندات عن الصحابة من غير ان يكون محتجا بها هكذا قال ابن الصلاح وفي الرواية عن الامام احمد انه كان يقول لابنه عبد الله في كتابه المسند وهو يشتمل على احد وثلاثين الف حديث وعن جماعة من اصحابه انهم قالوا قرأ علينا المسند وقال هذا كتاب انتقيته من سبعماية الف وخمسين الف حديث فما اختلف فيه المسلمون من الاحاديث النبوية ولم يجدوه فيه فليس بحجة فهذا يدل على ان جميع ما في مسنده يصح الاحتجاج به عكس ما قاله ابن الصلاح نقلته من مناقب الامام احمد لابن الجوزي (وقد) انقطع

(1) المشهورة Man. C. et D.

(2) Les man. C. et D. offrent ce qui suit : فانها وان تعددت فترجع الى هذه في الاغلب ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث وربها تفرّد عنها الناسخ والمنسوخ فيجعل فتنا برأسه وكذا الغريب وللناس فيه تواليف مشهورة ثم المؤلف والمختلف وقد ألف الناس في علوم الحديث واكثروا ومن فحول علمائه واثمتهم ابو عبد الله الحاكم وتواليفه فيه مشهورة وهو الذي هذب واظهر محاسنه واشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب عمرو بن الصلاح كان لعهد اوائل المائة السابعة وتلاه محيبي الدين النووي به مثل ذلك والفن شريف في معزاة لانه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة.

لهذا العهد تخريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين اذ العادة تشهد بان هؤلاء الأئمة على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفايتهم واجتهادهم لم يكونوا ليغفلوا شئاً من السنة او يتركوه حتى يعثر عليه المتأخر هذا بعيد عنهم وانما تنصرف العناية لهذا العهد الى تصحيح الأمهات المكتوبة وضبطها بالرواية (1) واسنادها الى مؤلفيها لتتصل الاسانيد محكمة من مبدئها الى منتهاها ولم يزيدوا في ذلك على العناية باكثر من هذه الأمهات الخمسة الا في الاقل (فاما) صحيح البخاري وهو اعلاها رتبة فاستصعب الناس شرحه واستغلقوا (2) منحاها (3) من اجل ما يحتاج اليه من معرفة الطرق المتعددة ورجالها من اهل الحجاز والشام والعراق ومعرفة احوالهم واختلاف الناس فيهم وكذلك يحتاج الى امعان النظر في التفقه في التراجم (4) لانه يترجم الترجمة ويورد فيها الحديث بسند او طريق ثم يترجم اخرى ويورد فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنه من المعنى الذي ترجم به الباب وكذلك في ترجمة وترجمة الى ان يتكرر الحديث في ابواب متفرقة بحسب معانيه واختلافها ومن النظر في تراجمه بيان

عن مصنفها والنظر في اسانيدها الى مؤلفيها وعرض ذلك على ما (1) Man. C. et D. تقرّر في علوم الحديث من الشروط والاحكام.

(2) Man. D. استغلقوا.

(3) Man. C. et D. تنحلّه.

(4) Man. D. الفقه وتراجمه. Man. A. et B. النفقة. Man. C. تراجمه.

المناسبة بين الترجمة والاحاديث التي في ضمنها فقد
 وقع له كثير من تراجمه خفاء المناسبة بينها وبين الاحاديث
 التي في ضمنها وطال كلام الناس في بيانها كما وقع في
 كتاب الفتن في الباب الذي ترجم فيه بقوله باب
 تخريب البيت ذو السويقتين من الحشمة ثم قال في الباب
 قال الله تعالى واذا جعلنا البيت مثابة للناس وامنا ولم يرد
 على ذلك شأ وخفي على الناس وجه المناسبة بين هذه
 الترجمة وما في الباب فمنهم من قال كان المصنف رحمه
 الله يكتب التراجم في المسودة ثم يكتب الاحاديث في كل
 ترجمة بحسب ما تيسر له وتوقى قبل ان يستوفى حشو
 التراجم فروى الكتاب كذلك وسمعت من اصحاب
 القاضي ابن بكار قاضي غرناطة واستشهد في واقعة طريف
 سنة احدى واربعين وسبعماية وكان قائما على صحيح البخاري
 انه اراد بالترجمة تفسير الآية بان ذلك مشروع لا مقدر
 لان الاشكال انما جاء من تفسير جعلنا بقدرنا واذا كان
 بمعنى شرعنا لم يكن لبس في تخريب ذي السويقتين
 ايها سمعت ذلك من شيخنا ابي البركات البلغيقي عنه
 وكان من اجلة تلميذه ومن شرح الكتاب ولم يستوف
 هذا كله فيه فلم يوف حق الشرح كابن بطال وابن المهلب
 وابن التين ونحوهم ولقد سمعت كثيرا من شيوخنا رحمهم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

الله يقولون شرح كتاب البخاري دين على الأمة يعنون ان
احدا من علماء الأمة لم يوف ما وجب له من الشرح
بذلك الاعتبار (واما) صحيح مسلم فكثرت عناية علماء
المغرب فيه واكتبوا عليه واجمعوا على تفضيله على كتاب
البخاري قال ابن الصلاح انما تفضل (1) على كتاب البخاري
بما وقع فيه من تجريده عما مزج به البخاري كتابه من
غير الصحيح مما لم يكتبه على شرطه واكثر ما وقع له ذلك
في التراجم واملا الامام المازري من فقهاء المالكية عليه
شرحا وسماه المعلم بفوائد المسلم واشتمل على عيون من
علم الحديث ومتمين من الفقه ثم اكمله القاضي عياض
من بعده وتممه وسماه اكمال المعلم وتلاهها محيي الدين
النووي بشرح استوفى ما في الكتابين وزاد عليها وجاء
شرحا وافيا واما كتب السنن الاخرى الثلاثة وفيها معظم
مأخذ الفقهاء فاکثر شرحها في كتب الفقه الا ما يختص
بعلم الحديث فكتب الناس عليها واستوفوا من ذلك
ما يحتاج اليه من علوم الحديث وموضوعاتها والمسانيد التي
اشتبهت على الاحاديث المعمول بها من السنة (واعلم) ان
الاحاديث قد تميزت مراتبها لهذا العهد بين صحيح
وحسن وضعيف ومعلول وغيرها ميزها ائمة الحديث

(1) Man. A. et B. يفضل.

وجهابذته وعرفوها ولم يبق طريق في تصحيح ما لم يصح
من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث
بطرفها واسانيدها بحيث لو روى حديث بغير سنده وطريقه
تفظّوا الى انه قد قلب عن وضعه ولقد وقع مثل ذلك
للإمام محمد بن اسماعيل البخاري حين ورد على بغداد
وقصد المحدثون اسحانه فسأله عن احاديث قلبوا اسانيدها
فقال لا اعرف هذه ولكن حدثني فلان ثم اتى بجمع
تلك الاحاديث على الوضع الصحيح ورد كل متن الى
سنده فاقرّوا له بالامامة (واعلم) ايضا ان الأئمة المجتهدين
تفاوتوا في الاكثار من هذه البضاعة (1) والاقلال فابو حنيفة
رحمه الله يقال انه انما بلغت روايته الى سبعة عشر حديثا
او نحوها الى خمسين ومالك رحمه الله انما صح عنده ما
في كتاب الموطا وغايتها ثلثماية حديث او نحوها واحمد
بن حنبل رحمه الله في مسنده ثلاثون (2) الف حديث والكل
على ما اداهم اليه اجتهادهم في ذلك وقد يقول بعض
المتعصبين المتعسفين ان منهم من كان قليل البضاعة في
الحديث ولهذا قلت روايته ولا سبيل الى هذا المعتقد في
كبار الأئمة لان الشريعة انما تؤخذ من الكتاب والسنة ومن
كان قليل البضاعة من الحديث فيتعين عليه طلبه وروايته

(1) Man. D. الصناعة.

(2) Man. C. et D. اربعون.

والجدّ والتشمير في ذلك لياخذ الدين عن اصول صحيحة
 ويتلقى الاحكام عن صاحبها المبلغ لها عن الله وانما اقل
 منهم من اقل الرواية لاجل المطاعين التي تعترضه فيها
 والعلل التي يغمص في طرقها سببها والجرح مقدم عند
 الاكثر فيؤديه الاجتهاد الى ترك الاخذ بما يعرض مثل
 ذلك فيه من الاحاديث وطرق الاسانيد ويكثر ذلك فتقل
 روايته لضعف الطرق هذا مع ان اهل الحجاز اكثر رواية
 للحديث من اهل العراق لان المدينة دار الهجرة وماوى
 الصحابة ومن انتقل منهم الى العراق كان شغلهم بالجهاد
 اكثر والامام ابو حنيفة انها قلت روايته لما شدد في شروط
 الرواية والتحمل فاستصعب وضعف الحديث اذا عارضه
 العقل القطعي فاستصعبت روايته فقل حديثه الا انه ترك
 روايته الحديث متعمدا فحاشاه من ذلك ويدلك على انه
 من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتناء مذهبه بينهم
 والتعويل عليه واعتباره ردا وقبولا واما غيره من المحدّثين وهم
 الجمهور فتوسّعوا في الشروط وكثر حديثهم والكل عن اجتهاد
 وقد توسّع اصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم
 وروى الطحاوي فاكثر وكتب مسنده وهو جليل القدر
 الا انه لا يعدل الصحيحين لان الشروط التي اعتمدها البخاري
 ومسلم في كتابيهما مجمع عليهما بين الامة كما قالوه

وشروط الطحاوي غير متفق عليها كالرواية عن المستور الحال
 وغيره فلذا قدم الصحيحان بل وكتب السنن المعروفة
 عليه لتأخر شرطه عن شروطهم ومن اجل هذا قيل في
 الصحيحين بالاجماع على قبولهما من جهة الاجماع على
 صحة ما فيهما على الشروط المتفق عليها فلا تاخذك ريبة
 في ذلك فالقوم احق الناس بالظن الجميل بهم والتماس
 المخرج الصحيحة لهم (ثم) من علوم الحديث تصريف
 هذا القانون في الكلام على الاحاديث واحدا واحدا في
 ابوابها وتراجمها في تفاسير هذه المسانيد كما فعله الحافظ
 ابو عمر بن عبد البر وابو محمد بن حزم والقاضي عياض
 ومحيي الدين النووي وابن العطار بعدهما وكثير من ائمة
 المغاربة والمشاركة وان كان في كلامهم على تلك
 الاحاديث غير ذلك من فقه متونها ولغتها وعرابها الا ان
 كلامهم في اسانيدنا بصناعة الحديث اوعب واكثر هذه
 اصناف علوم الحديث المتداولة بين ائمة الاعصار لهذا
 العهد والله الهادي الى الحق والمعين عليه



APPENDICE.

Pages 363 et suiv.

Au lieu des six chapitres que j'ai donnés, d'après les manuscrits A. et B., les deux exemplaires C. et D. offrent seulement ce qui suit :

فصل في ان العلوم والتعليم طبيعيتي في العمران البشري

وذلك ان الانسان قد شاركته جميع الحيوانات في
 حيوانيته من الحس والحركة والغذاء والكن وغير ذلك
 وانما تميز عنها بالفكر الذي يهتدى به لتحصيل معاشه
 والتعاون عليه بابناء جنسه والاجتماع المهية لذلك وقبول ما
 جاءت به الانبياء عن الله تعالى والعمل به واتباع صلاح
 اخراه فهو مفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر
 فيه طرفة بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر وعن هذا
 الفكر تنشأ العلوم وما قدمناه من الصنائع ثم لاجل هذا
 الفكر وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحصيل
 ما يستدعيه الطباع فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس
 عنده من الادراكات فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه
 بمعرفة او ادراك (1) او اخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين

(1) ادراء. Man. D.



يبلغونه لمن يلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه
وعلمه ثم ان فكره ونظرة يتوجه الى واحد من الحقائق
وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد اخر ويتمرن على ذلك
حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له
فيكون علمه حينئذ بها يعرض لتلك الحقيقة عليها مخصوصا
وتتشوق نفوس اهل الجيل الناشئ الى تحصيل ذلك
فيفزعون الى اهل معرفته ويجيء التعليم من هذا فقد تبين
بذلك ان العلم والتعليم طبيعي في البشر والله اعلم

PROLÉGOMÈNES
d'Ebn-Khaldoun.

R. ISTIT. ORIENTALE
N. inv. 16145
BIBLIOTECA M. RIPA

